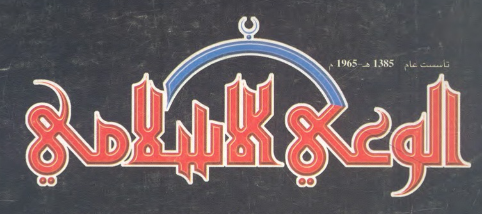




تأسست عام 1385 هـ-1965 م

العدد 470 - السنة (41) - شوال 1425 هـ - نوفمبر / ديسمبر 2004 م

الشيخ محمد سلطان الندوي:

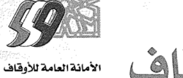
المنظمات الصهيونية تستغل فقر الدول الإسلامية



المنتدى الأول لأدب الاختلاف والحوار

ثورة الهندسة الوراثية... إنجازات لا حدود لها







الأمانة العامة للأوقاف

دعم طلبة الدراسات العليا في مجال الوقف

تعلن الأمانة العامة للأوقاف عن فتح باب الترشيح لعشر منح دراسية من خلال مشروع دعم طلبة الدراسات العليا، تقدم من خلاله دعماً مالياً جزئياً لطلبة الماجستير والدكتوراه في مجال الوقف.

شروط الحصول على الدعم:

١ - ألا يكون الطالب حاصلاً على منحة دراسية أو إجازة دراسية بأجر.

٢ - أن يتناول الباحث في رسالته موضوع الوقف أو ما يتعلق به.

٣ - أن يرفق الطالب ملف الترشيح بالمستندات التالية: (موجز عن السيرة العلمية الذاتية. صورة معتمدة عن آخر مؤهل جامعي حصل عليه الطالب أو ما يعادله. شهادة صادرة عن إحدى الجامعات تفيد تسجيل الطالب بها للحصول على درجة الماجستير أو الدكتوراه وقبول موضوع الرسالة. نسخة من خطة معتمدة من جانب المشرف على الرسالة».

٤ - الحد الأقصى لفترة الدعم المادي الذي تقدمه الأمانة العامة للأوقاف يبلغ سنتين ميلاديتين لطلبة الماجستير، وثلاث سنوات ميلادية لطلبة الدكتوراه، ويجوز تمديد فترة الدعم لسنة إضافية واحدة في بعض الحالات الاستثنائية.

فعلى الراغبين في الترشيح لهذا المشروع تقديم ملفاتهم مباشرة إلى:

إدارة الدراسات والعلاقات الخارجية قسم الدراسات. الطابق الثاني

أو إرسالها عن طريق البريد:

مشروع دعم طلبة الدراسات العليا. ص.ب: ٦٤٦١٤ الشويخ / ب الرمز البريدي: ٧٠٤٥٧ الكويت

لمزيد من المعلومات الاتصال على:

(داخل الكويت) - هاتف: ٨٠٤٧٧٧ - داخلي: ٣١٤٢ / ٣١٤٦ / ٣١٤٧

(خارج الكويت) - ٠٠٩٦٥٢٥٣٢٧٤٢ - داخلي ٣١٤٢ / ٣١٤٦ / ٣١٤٧

فاكس: ٠٠٩٦٥٢٥٤٢٥٢٦

موقع الأمانة: www.awqaf.org البريد الالكتروني: serd@awqaf.rog





رئيس التحرير جاسم محمد مطر شهاب
e.mail: alwaei@alwaei.com

الاجتهاد نبض الأمة

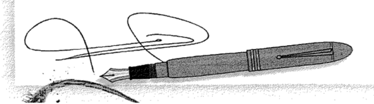
على الرغم من بعض الإشراقات المضيئة والمتغيرات الإيجابية في أحوال أمتنا في الوقت الراهن، إلا أن أمتنا مازالت تعاني من مشكلات وقضايا شائكة في شتى مجالات الحياة في عصر العولمة والبرمجيات والاتصالات والثورة المعلوماتية والتكنولوجية. الأمر الذي انعكس سلباً على عطاء الإنسان المسلم وتفكيره ونظرته إلى الحياة، كما جعلت الآخرين ينظرون إلى الإسلام على أنه دين تخلف وتطرف وتقوقع وانعزال.

هذه الصفات السلبية أصبحت ملازمة لنا، راسخة في عقولنا، نرددها ونجتر مفرداتها، فأعمالنا وتصرفاتنا وتعاملاتنا فيما بيننا ومع الآخرين تؤكد هذه الرؤية وتعززها وتجعل من أي محاولة للرد عليها موضع ريبة وشك لا تقدم ولا تؤخر، فيما مسيرة الحضارة الإنسانية تسير سيراً حثيثاً قاطعة المسافات ومحطمة الحواجز والحدود، ومحققة الإنجازات في فترات زمنية قياسية.

إن أمتنا المسلمة المؤمنة بدستورها الخالد «القرآن الكريم»، مطالبة بتغيير واقعها المتخلف، مهتدية بنهج قرآنها الذي وصفه رب العالمين فيه هدى ورحمة للناس!.

لقد وضع القرآن الكريم الأطر العامة للحياة وترك للمسلمين حرية الاجتهاد والبحث عن الحلول الناجعة لمشكلات العصر المستجدة في كل زمان ومكان، وهنا تكمن عظمة القرآن وقوة الإسلام، فحركية الإسلام تستمد قوتها وفاعليتها من حركة الاجتهاد، فكلما كانت هذه الحركة نشطة وفاعلة كانت حياة المسلمين أكثر أمناً ورخاء واستقراراً وديمومة، والذين يزعمون أن الاجتهاد في الإسلام مدعاة للفرقة والتمزق مخطئون لأن الاجتهاد يعني التنوع والثراء والتيسير على أبناء هذه الأمة وإزالة لكثير من العقبات عن طريق تقدمها وازدهارها، وهو روح تسري في جسد الأمة تشحذ همتها وتجمع طاقتها للوصول إلى أسمى الغايات وأنبل الدرجات.

إن الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين الذي تشكل أخيراً مطالبٌ بتفعيل حركة الاجتهاد والتجديد واكتشاف مواطن الخلل في الأمة، وبيان أسباب القصور وتحديد مواطن العجز والتقصير التي أقعدت الأمة وغيبت دورها الإيجابي الفاعل في مسيرة الحضارة الإنسانية وذلك من خلال إيجاد رؤى موحدة لجميع قضايا الأمة ونقل الأمة من حركة السكون والتأخر والمرض إلى حال من الوعي واليقظة وتربية جماهير الأمة على الولاء وصدق الانتماء وترسيخ مفاهيم الأمة الواحدة علماً وعملاً، وحكماً وممارسة وتطبيقاً، وحسناً فعل الاتحاد حين أصدر أول فتوى جامعة منذ تأسيسه حول: حكم الاختطاف واتخاذ الرهائن، وهي قضية حساسة تمس كل مسلم بسبب ما يجري في العراق، فهل يكون هذا الاتحاد بارقة أمل لهذه الأمة يجدد لها أمور دينها ويضعها على المسار الصحيح، كما أراده الله لها؟ (كنتم خير أمة أخرجت للناس) هذا ما نأمله، والله من وراء القصد ■





إسلاميـــة • شهريـــة • جامعـــة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير جاسم محمد مطر شهاب

العدد 470 – العام الواحد والأربعون – شـوال 1425 هـ – نوفمبـر / ديسمبـر 2004 مـ

كلمة العدد

أمتنا والعيد

يحل العيد على شعوب أمتنا وهي مازالت في غيبوبة فُرضت عليها قسراً منذ قرون عدة، فأقعدتها عن الحركة والحيوية والنهوض والبناء الحضاري، وسلبت البسمة والفرحة من وجوه أبنائها، وعمَّقت الفجوة المعرفية بينها وبين الآخرين، ما جعلهم ينظرون إليها نظرة دونية، بل وصل الأمر بهم إلى محاربة الإسلام نفسه ووصمه بالتخلف والجمود والانغلاق والعجز.

إن الخروج من هذا المأزق الحضاري الراهن يكمن في بناء الإنسان المسلم بناء متكاملاً وتقوية جهاز المناعة لديه، وإعادة شخصيته المسلوبة وإنسانيته الضائعة، وتحريره من عوامل الخوف والقلق والانهزامية والانكسار، ومن ثم وضعه في طريق التغيير والبناء المنشود،ليكون إنساناً قادراً على فهم متغيرات العصر وعلومه، يعرف كيف يتعامل مع الآخرين، بفكر وسطي معتدل.

لقد حاولنا في هذا العدد من خلال عدد من الموضوعات التركيز على هذا الفكر الوسطي، باعتباره شرطاً ضرورياً لأي تغيير أو بناء حضاري وقاعدة أساسية للحوار بيننا وبين الغرب، وجسراً يُعبر عليه للوصول إلى قلوب الآخرين وتحقيق عالمية الإسلام المنشودة، وهذا ما ركزت عليه الندوة التي عقدتها في الآونة الأخيرة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت تحت عنوان: «أدب الاختلاف والحوار في الإسلام» والتي تجدون تفاصيل ما طرح فيها داخل هذا العدد.. كلنا أمل أن يترسخ هذا النهج لتسعد الأمة وتنهض من كبوتها، والله من وراء القصد.

الوعي الإسلامي

في هذا العدد

ندوات:

المنتدى الأول لأدب الاحتلال والحوار

انطلاقاً من استراتيجية وزارة الأوقاف الكويتية في محاربة الفكر المتطرف وترسيخ الفكر الوسطي المعتدل، انعقد المنتدى الأول لأدب الاختلاف والحوار بمشاركة كوكبة من علماء الأمة ومفكريها...



أحكام:

مكانة «العرض» في المقاصد الشرعية

هل استنباط الأحكام الشرعية يستند إلى مقاصد الشريعة؟ وهل هذه المقاصد أهم ما ينبغي معرفته ومراعاته عند عملية الاجتهاد التنزيلي وكيف قسَّم علماء الأصول مقاصد الشريعة؟

فكر:

القيم والقواعد المشتركة أساس الحوار بين الإسلام والغرب

الحوار بين الإسلام والغرب قضية مطروحة على الساحة الإسلامية والعالمية، ترى ما القواسم المشتركة التي يجب أن يقوم عليها هذا الحوار وتركيزه للتفاهم وهل الغرب المادي والكنيسة النصرانية تحول دون انسجام المواقف وتقارب المبادرات؟.

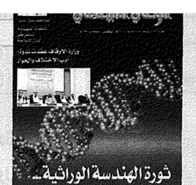
إقرأ في العدد اللاحق

المراقب الإداري والمالي
خالد عبداللطيف بوقماز

إدارة التحرير
تمام أحمد الصباغ

التحرير
أحمد توفيق هلال

موضوع الغلاف



الحياة الإنسانية المعاصرة تشهد ثورة لا مثيل لها في مجال الثقافة الحيوية، الأمر الذي أثر في شتى مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والفكرية.

موقع الوزارة على شبكة الانترنت Homepage: www.islam.gov.kw

موقع المجلة على شبكة الانترنت www.alwaei.com



Islamic Monthly Magazine,
Published By The Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

Al-Waei Al-islami
P.o. Box 23667 Safat
13097 Kuwait
TEL.: 844 044 / 5348 974
FAX : (+965) 5348954

المحتويات

الأبواب الثابتة

الاشتراكات

• داخل الكويت: للأفراد ٧.٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارا كويتيا
• الدول العربية: للأفراد ١٠ دنانير كويتية (او مايعادلها).
• دول العالم: لأفراد ٢٠ دينارا كويتيا (او مايعادلها).
• للمؤسسات: ٢٥ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

المراسلات

رئيس التحرير مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧
الصفاة 13097 ـ الكويت
هاتف:
٥٣٤٨٩٧٤ / ٨٤٤٠٤٤
فاكس:
(+٩٦٥) ٥٣٤٨٩٥٤

الأسعار

• الكويت : ٥٠٠ فلسا • السعودية : ٧ ريالات • البحرين : ٥٠٠ فلس • قطر : ٧ ريالات • الإمارات : ٧ دراهم • سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن : دينار واحد • مصر : ٢ جنيه • السودان : ٥٠٠ جنيه • موريتانيا : ٢٠٠ أوقية • تونس : ٢ دينار • الجزائر : ١٠ دنانير • اليمن : ٧٠ ريال • لبنان : ٢٠٠٠ ليرة • سورية : ٥٠ ليرة • المغرب : ١٠ دراهم • ليبيا : دينار واحد • اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله • اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

التوزيع

وكيل التوزيع شركة الخليج لتوزيع الصحف والمطبوعات هاتف: ٤٨١٦٨٨٥ - فاكس: ٤٨٣٦٦٨٠ - ٤٨٤١٠٢٦ - ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت

• السودان. الخرطوم - العمارات - شارع ٣٧ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١) • اليمن - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت ٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) ف ٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر • لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٢٧٧٠٨٨ / ٢٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص.ب ٢٥/١٨٤ • سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت ٢١٢٦٢٩٨ / ٢١٢٠٣٢٩ (١١ ٠٠٩٦٣) ف ٢١٢٢٥٣٢ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات • الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٠٠٩٦٢٦) ف ٤٦٣٥١٥٢ • مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع • الإمارات العربية المتحدة - دبي - ص.ب ٦٠٤٩٩ - ت ٢٦٢٣٩٢٠ (٠٠٩٧١٤) ف ٢٦٦٣٧٦٨ - شركة الإمارات للنشر والتوزيع • مصر - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦ - دار الأهرام • المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع • المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية للتوزيع والصحف • سلطنة عمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع • قطر - الدوحة - ص.ب ٦٣٣ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر

"
ترحب الوعي الإسلامي برسائل القراء، وتنشر منها ما يتوافق وسياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الآخرين وحرية الرأي. وتحتفظ بحق تنقيح الرسائل واختصارها.
"

تواصل

حق العودة من المنظور الصهيوني

إذا كان حق عودة الفلسطينيين إلى ديارهم، في فلسطين يمثل مطلباً وطنياً وقومياً، بالنسبة للعرب وللفلسطينيين على السواء، فإن الدولة الصهيونية ترى هذا الحق الفلسطيني الأصيل، مصدر تهديد لوجودها كدولة يهودية في المقام الأول، وخطراً ديموغرافياً على أمنها القومي لأنه يتعلق بعودة مئات الآلاف من اللاجئين الفلسطينيين من مواطن شتاتهم، إلى داخل الوطن الأم السليب، بمدنه، وقراه، وبلداته التي يسكنها اليهود اليوم.

وترجع المخاوف الإسرائيلية من هذه العودة، بسبب التفوق الديموغرافي الفلسطيني الذي يمكن في خلال عقدين من الزمان، أن يحول الأغلبية اليهودية إلى أقلية مهمشة، مما قد يفضي إلى القضاء على الدولة اليهودية التي هي حلم الصهيونية الأوحد.

ياسر دويدار

الثقافة الإسلامية.. ومواجهة: التطرف.. الاغتراب.. البطالة

لا شك أن الثقافة الإسلامية.. تمتلك آليات بناءة لتحقيق البناء والتنمية في شتى مجالات الحياة.. وأصبحت ضرورة حياتية لمواجهة التحديات الخارجية.. وخصوصاً أن المجتمع المسلم بحاجة لامتلاك التطور التقني الذي يشكل جانباً رئيساً من النهضة الاجتماعية والاقتصادية لأي مجتمع.

وهكذا فإن إعداد استراتيجيات ثقافية فاعلة وخطط طويلة وقصيرة المدى هي السبيل لتحقيق قوة الأمة.

ومن أهم المشكلات المعاصرة التي تؤرق فكر كل حامل لرسالة الإسلام بإخلاص وجدية.. مشكلة.. التراشق بكلمات: التطرف.. الاغتراب.. البطالة. وكأن السياسات المعاصرة في بلدان الأمة لا تجيد التعامل مع تحديات العصر.. ويجب أن نكون على قناعة في ظل التحليل الواقعي للمجتمع المسلم بأن المسلمين لا يصلح أمرهم حتى يصلح علماؤهم.. ولا يصلح علماؤهم حتى يصلح تعليمهم.. ولا يصلح تعليمهم إلا إذا استلهمت بواعثه ومقاصده وأهدافه من الإسلام. هنا أولى أوليات العمل لأي بناء، امتلاك المدخل الثقافي لتحقيق أي نقلة حضارية جديدة.. ومن أجل إنهاء وضعية التخلف والتبعية.

يحيى السيد النجار

العذاب المشهود وأصحاب الأخدود

مازلنا نعيش آثار الحادي عشر من سبتمبر التي زلزلت المسلمين زلزالاً شديداً، فالأكثرية منهم خشيت وعيداً وراحت تهادن شيطاناً مريداً، وتتخذ من العدو أخاً فريداً، وتفر من الشقيق شيبة ووليداً.

والقلة هي التي صمدت صموداً، ودافعت عن الإسلام فعلاً وردوداً، وأقامت بين الإسلام وعداته سدوداً، أكفانهم على أيديهم وحفروا لأنفسهم لحوداً، يعلمون أن مصيرهم كرائديهم أخدوداً، لا يعبأون بالموت أسوداً، وهم يعلمون لابد منه وروداً، فاتخذوا من الصبر والاستشهاد أنشوداً، أملهم مع نبيهم حوضاً موروداً، وأن يكونوا مع صحبه شهوداً. هؤلاء القوم بين ظهرانينا يفتك بهم يومياً على يد الأعداء وبأيدي الأخوة الأشقاء، فكم من نيام وكم من هائم بالغرام وكم من آكل كالأنعام، وكم ممن شغلته الأموال والأهلون والشهوات والبطون، ولكن القلة بالغالي والنفيس يضحون، ولله في كل لحظة لا ينسون.

ومن أسف.. فإن الظلمة بهم يفتكون، ولجهادهم لا يذكرون، ولمبادئهم يعادون، ولدمائهم يسفكون، ولأجسادهم يقمعون، وفي أرزاقهم يحاربون، وينسون أنهم يوم القيامة موقوفون، وعن هؤلاء سيُسألون.

الحسين محمد حميد . مصر

ردود خاصة

- د.عمر سيد إبراهيم حسن . مصر: المجلة أصدرت كشافاً لموضوعات المجلة يتألف من ثلاثة أجزاء، قيمة الأجزاء الثلاثة خمسة دنانير كويتية، يضاف إليها أجور البريد، أرسل شيكاً بالمبلغ المذكور ليصار إلى إرسالها إليك.
- القارئ حسان حمد عبدالله الخالدي . الأردن: وصلت مقالاتك وتم تحويلها لقسم المراجعة لإجازتها في حال مطابقتها لنهج المجلة وضوابط النشر فيها.
- القارئ أحمد عبدالرحمن . السعودية: ننشر سلسلة من المواقع المفيدة للبحث عن عناوين الجامعات على شبكة الإنترنت:

www.mit.edu.8001/people/cdmello/univfull.html
www.galilei.com.ar./index.html
www.admi.net/world/uni/
www.collegenews.com/schiff.htm
www.ensemp.fr/~scherer/euni/
univ- www.ac.by/sciece/organisa.html
www.utexas.edu/world/univ/alpha/

لا مكافاة أفضل من الفوز بتسع جوائز جديدة

لخدماتها على الطائرة

اليوبيل الذهبي

مبروك

50

اليوبيل الذهبي
GOLDEN JUBILEE

1954 - 2004

نفذها بيت الزكاة الكويتي في إطار بروتوكولات التعاون بين مصر والكويت

افتتاح مشاريع خيرية في مصر

افتتح وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الدكتور «عبدالله المعتوق» يوم ٢٠٠٤/١٠/١م مشروعات خيرية عدة قام بتنفيذها بيت الزكاة الكويتي، في إطار بروتوكولات التعاون بين مصر والكويت.

وقد قام الوزير الدكتور «المعتوق» بافتتاح مجمع «محمد بن جاسم القناعي» الإسلامي المتكامل في قرية «أبوالعباس» في مركز «العياط» محافظة «الجيزة».

وقال مدير المكتب الكويتي للمشروعات الخيرية في القاهرة «إسماعيل عبدالله الكندري»: إن المجمع يضم مسجداً كبيراً ومصلى للسيدات ومئذنة وخدمات ومعهداً أزهرياً يتكون من ثلاثة طوابق ومستوصفاً خيرياً يضم عيادات متنوعة، وقد بلغت كلفته نحواً من مليون ونصف المليون جنيه مصري.

وحضر الافتتاح الذي جرى وسط احتفال حضرته قيادات شعبية وتنفيذية في المحافظة شيخ الأزهر د.«محمد سيد طنطاوي»، ووزير الأوقاف المصري د.«محمود حمدي زقزوق»، ومحافظ الجيزة د.«فتحي سعد».

كما حضره سفير الكويت لدى مصر ومندوبها الدائم لدى جامعة الدول العربية «أحمد الكليب» والمدير العام لبيت الزكاة «عبدالقادر ضاحي» وأعضاء الوفد المرافق للوزير.

وأكد وزير الأوقاف خلال الكلمات التي ألقيت لهذه المناسبة أن ما تقوم به الكويت وشعبها للإسهام في مشاريع التنمية المختلفة إنما هو رسالة حب وتقدير لدور مصر الرائد.



د.«عبدالله المعتوق»

د.«محمد سيد طنطاوي»

ودعا إلى أهمية استمرار هذه المشاريع التي تعزز بدورها العلاقات المميزة التي تربط الكويت بشقيقتها مصر كما نقل تحيات أهل الكويت أميراً وحكومة وشعباً لأهل مصر.

من جانبه، أثنى شيخ الأزهر على دور الكويت في مجال العمل التنموي الخيري، معبراً عن تقديره للكويت أميراً وحكومة وشعباً على هذا الدعم المتواصل لشعب مصر من خلال المشاريع المختلفة التي ينفذها المكتب في محافظات مصر.

كما أثنى وزير الأوقاف المصري في كلمته على مسيرة المكتب الخيري وعلى التعاون القائم بين وزارتي الأوقاف في البلدين في هذا المجال. ورحب محافظ الجيزة بالحضور الطيب على أرض المحافظة، وأشاد بالأعمال الخيرية التي ينفذها المكتب الكويتي للمشروعات الخيرية في القاهرة، والتي تجسد روح الحب المتبادل بين الشعبين وتمنى استمرار هذه المسيرة الخيِّرة، على صعيد آخر قام وزير الأوقاف بافتتاح مسجد «عبدالله الشويب» في محافظة «بني سويف» ومبنى عيادات الطوارئ في مستشفى «الواسطى العام» الملحقين بمركز «الشويب» لأمراض الكلى في المستشفى الذي تم افتتاحه العام ٢٠٠٣ بتكلفة إجمالية قدرها مليوني جنيه مصري، ليصبح من أكبر المشاريع المنفذة في مصر، وحضر الافتتاح محافظ «بني سويف» د.«محمد أنس قاسم» وعدد من قيادات المحافظة وسط احتفال رسمي وشعبي كبيرين.

وقال «الكندري»: إن هذه الافتتاحيات تأتي استكمالا لمسيرة المكتب الخيرية في محافظات مصر الشقيقة، مؤكداً أيضاً أن هناك مشاريع في محافظات أخرى سيتم افتتاحها مستقبلاً.

وكان وزير الأوقاف د.«عبدالله المعتوق» قد وصف العلاقات بين مصر والكويت بأنها عميقة للغاية وأنها ليست وليدة الحاضر، ولكنها علاقات راسخة وقديمة.

وقال الوزير الدكتور «المعتوق» لدى وصوله إلى القاهرة: «إن الإسهامات التي يقدمها أهل الكويت لأشقائهم في مصر ما هي إلا تعبير عن تقديرهم للدور الريادي الذي تلعبه مصر في المنطقة العربية.

ورأى أن هذه الإسهامات تؤكد العلاقات الجيدة بين البلدين التي تنمو يوماً بعد يوم لما فيه مصلحة الجانبين وآمالهما المشتركة.

وذكر الوزير الدكتور «المعتوق» أن زيارته لمصر تندرج تحت بروتوكول التعاون المشترك بين قطاعي الأوقاف والشؤون الإسلامية بين دولة الكويت ومصر، مشيراً إلى أنه سيتم افتتاح بعض المشاريع الخيرية التي يقوم بتنفيذها بيت الزكاة الكويتي من خلال مكتبه الإقليمي في القاهرة، حيث يتم تمويلها بأموال المحسنين والمتبرعين من أهل الخير في الكويت. يذكر أن الوزير «المعتوق» سيقوم بافتتاح عدد من المشاريع الخيرية في محافظتي الجيزة وبني سويف، كما سيجتمع إلى وزير الأوقاف المصري الدكتور «حمدي زقزوق» لبحث سبل دعم التعاون بين البلدين في المجالات الدينية ■

الأوقاف احتفلت بتكريم حملات الحج

أشاد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الدكتور «عبدالله المعتوق» بحملات الحج الكويتية والجهات والشخصيات التي أسهمت في خدمة الحجاج خلال العام ١٤٢٤هـ، مشيراً إلى أن خدمة الحجاج مفخرة لكل مسلم ووسام شرف على صدر كل عامل.

وأضاف الوزير الدكتور «المعتوق» في كلمة ألقاها في حفل أقامته إدارة الحج في وزارة الأوقاف تحت رعايته خصص لتكريم الحملات والشخصيات والجهات التي أسهمت في خدمة حجاج العام الماضي، أن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية تقف وقفة احترام لمن يسعى جاهداً للوصول إلى أعلى مراتب الخدمة الشريفة ويحصل بعد ذلك على درجات التفوق. وذكر أن الحج يعتبر عبادة خالصة لله وسعي صادق نحو تطهير النفس البشرية من أدران الغفلة والضعف.

وأعرب الوزير الدكتور «المعتوق» عن شكره لحكومة «خادم الحرمين الشريفين»، ووزارة الحج السعودية، وسفير المملكة لدى دولة الكويت، بالإضافة إلى لجنة شؤون الحج في وزارة الأوقاف.

من ناحيته، قال وكيل وزارة الأوقاف المساعد لشؤون الحج والقرآن الكريم والدراسات الإسلامية «مطلق القراوي» في كلمته: إن هذا الحفل يهدف إلى توجيه رسالة شكر وثناء إلى أولئك الصادقين والجادين من أصحاب حملات الحج، إضافة إلى تحفيز الآخرين ليقتدوا بالفائزين.

وذكر أن مسألة الحج ليست مسألة نقل فقط، بل هي مسألة ضبط وتنظيم وأمن وسلامة وخدمة وعمل.

ونوّه بأن الكويت من أوائل الدول التي وضعت نظاماً دقيقاً لحملات الحج بيّنت فيه بكل وضوح الشروط الرسمية التي تفرض على من يرغب بتسيير حملات للحج

الاجتماع الثالث للجنة حماية الشباب من الانحراف والتطرف

ترأس وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الدكتور «عبدالله المعتوق» يوم ٢٠٠٤/١٠/١٢م، الاجتماع الثالث للجنة صياغة البرامج والخطط الكفيلة لحماية الشباب من مظاهر الانحراف والتطرف الديني التي شكلها مجلس الوزراء بالقرار ٨٣٣، وذلك بحضور ممثلي الوزارات التي تتشكل منها اللجنة وهم: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، وزارة الداخلية، وزارة الإعلام، وزارة التربية. وتقرر خلال الاجتماع تشكيل فريقي عمل وهما:

- فريق صياغة البرامج والخطط الكفيلة لحماية الشباب من مظاهر الانحراف السلوكي وكلف اللواء «محمد السبيعي» - الوكيل المساعد لشؤون التخطيط والتنمية في وزارة الداخلية برئاسة هذا الفريق.

- والفريق الآخر كلف بصياغة البرامج والخطط الكفيلة لحماية الشباب من مظاهر التطرف والتعصب الديني، وكلف د. «عادل الفلاح» وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية برئاسة الفريق.

وسيعمل كل فريق على اختيار أعضاء من المختصين والفاعلين في المجالات النفسية والتربوية والاجتماعية والثقافية والدينية من الأكاديميين وأصحاب الخبرة والمتخصصين في مجالات عمل كل لجنة.

الأوقاف تقيم مسابقة الخطبة المميزة

تقيم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية مسابقة «الخطبة المميزة» التي تقوم على معالجة موضوعات ذات صلة بواقعنا المعاصر وذلك لتحفيز الخطباء على التنافس فيما بينهم للتعاون على البر والتقوى. وقال مدير مكتب الشؤون الفنية في الوزارة «حمد الشهاب» إن المسابقة تهدف إلى تشجيع الخطباء على القراءة والاطلاع، إضافة إلى إعدادهم للخطب بما يحقق الغرض منها أسلوباً وموضوعاً وإلقاء.

وأضاف الشهاب: إن شروط المسابقة هي: أن يكون الخطيب إماماً معيناً أو متطوعاً في الوزارة وأن يقدم سيرته الذاتية مكتوبة وأن تكتب الخطبة وتسجل على شريط كاسيت بصوت المتسابق على ألا تتجاوز ١٥ دقيقة وتقدم في موعد أقصاه ٢٠ من شهر نوفمبر ٢٠٠٤م.

وعن الموضوعات التي يجب أن تشتمل عليها الخطب المتنافسة أوضح أهمية «الحكمة وأثرها في الدعوة إلى الله» و«وسطية الإسلام»، و«أدب الحوار»، إضافة إلى «أدب العالم والمتعلم»، و«الشباب عدة اليوم وأمل المستقبل»، و«الاعتصام بحبل الله».

حصاد الأخبار

- افتتح وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية د. «عبدالله المعتوق» أعمال الجمعية العامة التاسعة للهيئة الخيرية الإسلامية العالمية التي انعقدت في الكويت ٢٠٠٤/١٠/٧م.
- أصدر وكيل وزارة الأوقاف د. «عادل الفلاح» تعميماً منع بموجبه الجمع بين المنصب الإشرافي للعاملين في الوزارة وبين الإمامة والخطابة في المساجد، اعتباراً من منتصف شهر نوفمبر ٢٠٠٤م.
- كما شارك الوكيل «الفلاح» في اجتماعات مجلس الشورى لاتحاد المنظمات الإسلامية الذي انعقد في «استنبول» في الفترة بين ٧ - ٢٠٠٤/١٠/١٠م.
- أقامت إدارة الدراسات الإسلامية في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الملتقى الثقافي الخامس تحت شعار «مهنتي سر سعادتي» وذلك في الفترة بين ١٣ - ١٥ سبتمبر ٢٠٠٤م.
- شكلت وزارة الأوقاف لجنتين لمراجعة المصاحف الموجودة في مخازن الوزارة والتي تعود طباعتها للأمانة العامة للأوقاف.
- طرحت إدارة الثقافة الإسلامية في الوزارة مسابقتها الثقافية السابعة لأبناء الجالية الإسلامية للعام ٢٠٠٤م.
- حشدت وزارة الأوقاف زخماً كبيراً في الفاعليات والأنشطة خلال شهر رمضان الماضي، وقد أقيمت هذه الأنشطة في ٤٣٢ مسجداً، وشارك في تقديمها أكثر من ٣٦٠ عالماً وداعية.
- شركة الاتصالات المتنقلة والشركة الوطنية للاتصالات وبالاتفاق مع مكتب التوجيه المجتمعي في الوزارة، ببث رسائل توعوية على مدار السنة، تهدف إلى معالجة بعض القضايا الاجتماعية والسلوكية وتدعم السلوكيات الراقية في المجتمع الكويتي وقد بدأ البث مع بداية شهر رمضان الماضي.

تحت رعاية وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية د. «عبدالله المعتوق»

المنتدى الأول لأدب الاختلاف والحوار

بحضور نخبة من العلماء والمفكرين وتحت رعاية وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية د.«عبدالله المعتوق» الذي أناب عنه الأستاذ «مطلق القراوي» وكيل وزارة الأوقاف المساعد لشؤون الدراسات الإسلامية وشؤون القرآن الكريم والحج، عقدت الوزارة في قاعة الاحتفالات في مقر الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية منتداها الأول «أدب الاختلاف والحوار» على مدى يومين متتالين في ١٨ . ١٩ شعبان ١٤٢٥هـ الموافق ٢ . ٣ أكتوبر ٢٠٠٤م.

الوعي الإسلامي





وأكد الأستاذ «القراوي» في كلمة افتتاح الندوة التي ألقاها إنابة عن راعي الندوة أن الإسلام يأمر المسلمين بالحوار مع المخالفين لهم في العقائد بل يأمر الإسلام المسلمين بالتعاون معهم على ما فيه البر والخير للإنسان حتى عند الاعتداء فعندما منعت قريش المسلمين من أداء شعائر العمرة في بيت الله نزل قول الله تعالى: (ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) المائدة:٢.

وأضاف القراوي: إنه بالرغم من وضوح هذه المبادئ الإسلامية في التعاون وفي أدب الحوار والخلاف، فقد حمل أشخاص لواء الفرقة وحرموا التعاون مع من خالفوهم في وسائل العمل بدعوى أن العقيدة الصحيحة توجب عليهم أن يهجروا غيرهم حتى يتوبوا عن بدعتهم.

وأضاف القراوي: لقد أجمع المسلمون على قاعدة في الأمور الخلافية وهي أن رئيس المسلمين أي الخليفة أو الحاكم هو الذي بيده سلطة الدولة، وهو الذي يملك إصدار قانون يمنع الخلاف في الأمور الاجتهادية، لهذا أجمع الفقهاء أنه لا يجوز للمفتي والفقيه أن ينقض حكم الحاكم وقضاء القاضي إلا إذا اصطدم بنص صريح أو قاعدة قطعية، ولو قدم المتصارعون والمتنازعون هذه القاعدة الإسلامية لامتنعوا عن المتاجرة في الرأي والخلاف وكفوا ألسنتهم عن الطعن في غيرهم.

شرعية الحوار

وبعد كلمة الافتتاح عقدت أولى ندوات المنتدى تحت عنوان: «مفهوم الحوار والاختلاف»، واهتمت بمحور الكتاب والسنة في الفكر المعاصر وتحدث في بدء الندوة الداعية السعودي عوض القرني مشيراً إلى كلمة الحوار ومشتقاتها التي وردت في القرآن الكريم ثلاث مرات، ووردت مادة الجدال تسع وعشرين مرة، ووردت قصص الحوار في القرآن أكثر من ٥٠٠ مرة منها حوار بين الله سبحانه وتعالى وإبليس والملائكة، وبين الله ورسوله، كما في قصة آدم، وفي قصة إبراهيم، وقصة موسى، وقصة عيسى عليهم السلام.

وأكثر من الحديث عن سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وبخاصة قبل الهجرة في حواره مع المشركين كما تحدث عن حواره مع قريش في مواقف متعددة كما حدث مع عتبة بن ربيعة، ومثلما وقع عندما جمعهم في الأبطح، وحين حاورهم في الأسواق ومواسم الحج وفي غير ذلك كثير.

أهداف الحوار

وعن أهداف الحوار قال «القرني» إنها تتلخص في الاستجابة لأمر الله سبحانه وتعالى حيث كلفنا بالدعوة إلى دينه وتبليغ هذا الدين إلى العالمين وتصحيح صورة الإسلام والمسلمين ودفع التهم عن المسلمين والدفاع عن قضاياهم عند الآخرين لأن الكثير من الناس يقعون فريسة للتشويه المتعمد من القلة المغرضة كما تحدث عن أهداف مراجعة الذات وتقويمها والارتقاء بها وعن حل المشكلات الناشئة فيما بيننا واكتشاف آفاق للتعاون أوسع والحوار الوطني - الحوار الإسلامي -، بالإضافة لاستدراك المفاهيم الخاطئة لدينا عن الآخرين لأن فهم الآخر على حقيقته مقدمة ضرورية لاتقاء شره أو لإقناعه بما لدينا من حق أو على الأقل إعطاء الآخر فرصة لفهمنا أو للاستفادة مما عند الآخر، إذ لا يمكن فهمه بغير محاورته ومباحثته وسماع ما عنده، هذا إضافة إلى البحث عن قواسم مشتركة مع الآخرين لحل المشكلات القائمة أو تخفيف آثارها عن الإنسان، فما رسالتنا في جوهرها إلا رحمة للعالمين، وبالحوار نستطيع اكتشاف آفاق التعاون الممكنة بيننا وبين الآخر.

أزمة اختلاف

بدوره تحدث عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية د.«محمد الطبطبائي» فقال: إننا نعيش أزمة أدب الاختلاف في هذا الوقت، حيث وصلت الأمور في بلدنا إلى أعلى ما تصل إليه فلدينا بالفعل أزمة في التعامل والحوار، ونعيش أزمة حقيقية في الاختلاف يقع تحتها الكثير من الأمور مثل أزمة الأخلاق، فنحن نعاني من وجود الفرقة بين القلوب عندما ينظر أحدنا إلى كتاب الله عز وجل، وقال «الطبطبائي»: يجب أن نعرف ما الاختلاف وكيف نتحاور والآداب الواجب توافرها في التحاور؟، وللأسف من أسباب أزمتنا الجهل في دين الله وعدم معرفتنا بهدي الرسول صلى الله عليه وسلم.

وأشار الطبطبائي إلى أن مشكلتنا بدأت عندما حزبنا أنفسنا وتحولنا إلى تيارات وبعد ذلك نريد بناء الأحكام، ومن الطبيعي أن تكون هناك أخطاء



«مطلق القراوي»:

بالرغم من وضوح المبادئ الإسلامية في أدب الحوار والخلاف إلا أن هناك أشخاصاً حملوا لواء الفرقة وحرموا التعاون مع من خالفوهم

تحتاج إلى تصحيح، وللأسف أصبحنا نتناول مصطلحات منها مسلم إسلامي ومسلم غير إسلامي، وهذه مصطلحات خاطئة وتمت تفرقة المسلمين فيما بينهم، وتطرق د.«الطبطبائي» إلى ضوابط الاختلاف فقال: هناك ضوابط لجواز الاختلاف في الشرع منها أن تكون من مسائل الاختلاف وليست من مسائل الاتفاق وأن يكون الاختلاف بين العلماء في كل فن فلا يخالف العامي الأئمة في مسائل الشرع.

الجزر المعزولة

من جانبه، تحدث د.«أحمد الربيعي» مشيراً إلى أن اجتماعنا هذا يمثل التحام الجزر المعزولة التي لا تتحاور، وهذا الاجتماع سمة من سمات المجتمعات التي تريد التطور، ونحن نعيش في قلق مع الحاضر ولا نستطيع مواجهة الأمم المتقدمة ونبقى دولاً تستهلك ويوجد لدينا تناقض واضح وعلينا الخروج من الهزات ونحن جميعاً نعيش في مشكلة أو أزمة.

وقال «الربيعي»: إن الصراع بين المذاهب والتيارات يعتبر مشكلة في عالمنا الحاضر ويدخل الشباب في قضايا لا تنتهي ويجب أن نشق الطريق الصحيح وأن نعرف جيداً أن هناك حدوداً للاختلاف وحدوداً للحوار شرط ألا يكفر أحدنا الآخر، ويجب عدم استخدام الأحاديث النبوية في غير موقعها وألا نقتل الناس تحت مظلة الجهاد، وأن يكون الحوار قضيتنا الأساسية.

بدوره عقب الشيخ «ناظم المسباح» بقوله: إن ضياع الدين أن يأتي من يفسر كتاب الله على مزاجه ويريد أن يطوِّع واقع الأمة الإسلامية على هواه، فيجب أن نعظم ونجل كتاب الله وللأسف هناك أقزام يريدون الدخول من باب تمييع أصول وقضايا دين الله عز وجل الذي وضع حداً فاصلاً بين الكفر والإيمان.

ثمار الحوار

وفي ثاني جلسات المنتدى قدم د.«وائل الحساوي» ورقة عن ثمار الحوار أكد فيها أن الأمة الإسلامية تعيش اليوم عصر التداخل الثقافي والفكري والاجتماعي على مستوى العالم وهذا ما خلق تحديات جديدة أمام الأمم والحضارات واختبر قدراتها على البقاء وصلاحية مبادئها وثقافاتها ومدى مقاومتها للذوبان والتحلل.

مجالات الحوار

ومن جانبه تحدث د.«إبراهيم الهديان» عن أهمية الحوار فقال: إنها تكمن في تزويد الطرف الآخر بالمعرفة والعلم الصحيح، وذلك لقطع الطريق على الفهم الخاطئ والأفكار الهدامة، وكذلك تنفيس إحباط وغض الطرف للآخر والعمل على تهدئته، بالإضافة إلى استخدام الأدلة التي تقنع الطرف الآخر. وأخيراً أشار إلى أن الضرب والعنف لا يولد إلا العنف لأن وجود أسباب للعنف كالدوافع الدينية أو الطائفية أو الاقتصادية أو الاجتماعية مصحوبة بحماس الشباب وكذلك وصول الطرف المعارض وخصوصاً من الشباب إلى مرحلة اليأس وبخاصة في إمكانية الحصول على مبتغاهم قد يدفعهم إلى التصعيد ضد الطرف الذي يقمعه وضد المجتمع مما يهدد الاستقرار.

«عوض القرني»:





أهداف الحوار تتلخص في الاستجابة لأمر الله وتبليغ دعوته للعالمين

الدعوة قول وعمل

من جهته، أكد عضو هيئة التدريس في كلية الشريعة د.«سيد نوح» أن «الإسلام مذهب حياة وليس مجرد صيام وصلاة، وإذا أردنا تبليغه للناس يجب أن يكون ذلك بالكلمة الطيبة والأسلوب الحسن».

وقال: «قضيتنا كانت دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، الآن أصبحت قضيتنا تبليغ الإسلام الوسط إلى المسلمين أنفسهم».

وأكد «نوح» أن هذه «الندوات ستكون لها فائدة إذا تبعتها دعوة طريقة عملية تنزلها إلى الواقع، يجب أن تكون هناك خطة متصلة بالتعليم والبيوت والمؤسسات لإيصال فكرة أدب الحوار إليها، وإذا كان الشيخ يقول كلمته ويذهب لينام فإنه يدق مسماراً في نعش الدعوة الإسلامية، قضيتنا أن نبرز الإسلام أمام الناس على أنه دين الرحمة، وتعميق الحوار لابد أن يكون له وجود على أرض الواقع، ولابد أن نعمل كي يبقى الإسلام دين الوسطية وليس دين العنف والإرهاب».

الهدوء وحسن الظن

من جانبه، أكد المحاضر «سالم البهنساوي» أن «من أدب الحوار الهدوء وحسن الظن بالآخر، وليس لأحد منا التشدد في رأيه أو التمسك بوجهة نظره وإلغاء الآخر وتكفير الإنسان أياً كان هذا الإنسان، ومهما كانت وجهة نظره، ولا أسمح لأحد أن يهين الإنسان بسبب وجهة نظره وينعته بصفات غير لائقة وبخاصة في الحوار المتأدب».

كما ذكرت المفكرة الإسلامية الداعية «خديجة المحميد» في تعقيبها على كلمات الجلسة الثانية «إننا منهزمون لأننا لم نعتمد الحوار أساساً في حياتنا، ولابد أن يتحول الحوار إلى حوار فعلي مبرمج ضمن خطة مؤسسية وآلية نستفيد منها من تجارب الإسلام التاريخية، وأتمنى أن نركز في نقاشنا على آليات الحوار فلا خلاف على ضرورة الحوار».

وعددت «المحميد» أنواع الحوار، وذكرت منها: «الحوار الاقتصادي الذي ينفع في تحقيق مصالح للمسلمين والحوار الديني بين أطراف المذهب الواحد، والحوار الوطني بين مختلف فئات الشعب والحوار العقائدي مع الأديان الأخرى».

وسألت «المحميد» عن سبب «غياب مدرسة أهل البيت الزاخرة بالعبر والدروس في أساليب الحوار وآدابه».

ولفتت «المحميد» إلى أن بعض المؤسسات الغربية «تريد التأكيد على أن دين الإسلام دين وحشية جبل على رفض الآخر».



حضور بارز تابع فعاليات الندوة

د.محمد الطبطبائي:

مشكلتنا بدأت عندما حزبنا أنفسنا إلى تيارات

عدم التطرف

وفي بداية الجلسة الأولى من اليوم الأخير للمنتدى الذي شارك في جلساته وزير الأوقاف د.«عبدالله المعتوق» شرح المفكر الإسلامي والداعية «جاسم مهلهل الياسين» أن «الضوابط العامة للحوار من أجل حماية الأمة من الغلو تكمن في عدم التطرف في الحوار. حيث إن التطرف مرتبط بالتعصب الذي يعني عدم قبول الحق عند ظهور الدليل بناء على ميل إلى جهة أو طرف أو جماعة أو فكر، وهذا التعصب قد يكون دينياً أو مذهبياً أو طائفياً أو عرقياً أو سياسياً أو حزبياً، ووضوح الهدف من الحوار هو الوصول إلى حفظ وأمن واستقرار الدولة والمجتمع من أجل أن تتواصل وتستمر مشاريع الإصلاح والعمل على والجانب الدعوي الخيري المحلي والعالمي على وجه العموم، أما على وجه الخصوص فيجب أن يكون الحوار في ظل ظروف مستقرة وآمنة وهامش مناسب من الحرية، فضلاً عن حماية المقاصد الشرعية المعروفة ووضع سياسات عملية تكفل نجاح الحوار في المجتمع من خلال العمل على زيادة تفعيل أنشطة التيار الإسلامي المعتدل، الثقافية والسياسية والاجتماعية منها لتشمل ساحات عمل العناصر المتطرفة وإشراكها في هذه الأنشطة للحد من تطرفها وجذبها إلى مسارات معتدلة بهدف تنفيذ برنامج متكامل التواصل مع عناصر التطرف بكل أشكاله وذلك بإقامة سلسلة من اللقاءات والحوارات والنقاشات حول مختلف القضايا.

تزكية النفس

أوضح الأستاذ في كلية التربية د.«إبراهيم الخليفي» أن الحوار «نشاط إنساني نستخدم فيه هبة البيان التي وهبنا الله إياها لنحسن أحوالنا ونصلح بها شؤوننا ونتواصى بها بالحق والصبر والحكمة. قال الله تعالى: (خلق الإنسان علمه البيان) الرحمن:٤،٣. والحوار هو تواصل راق ذو مستويات عدة، فمنه ما يكون بين البشر وخالقهم جل وعلا، ومنه ما يكون بينهم وبين أنبيائهم، ومنه ما يكون بينهم أنفسهم. والحوار القرآني نموذج أراد له الله أن يكون عالي الشأن والمكانة. فهو يتسم باللطف والوضوح والرفعة والسمو، كل ذلك لاستلال «سخائم النفس الإنسانية الناجحة المتمردة».

وذكر «الخليفي» أن أول ا لأسس النفسية الصحية للمحاور هي الاستقرار والعيش الآمن مع الذات، فالعاقل ناهيك عن المؤمن هو من يحرص على تزكية نفسه، فيزكي أنوار المستويات العليا للنفس من لوامة ومطمئنة. فالقرب من النفس وتمحيص أدوائها ووضع اليد على نواقصها يجعل المرء راقياً مفلحاً.

الرضا بالنتائج

من جهته، شرح أستاذ كلية الشريعة في الجامعة د.«طارق الطواري» أن «من أصول الحوار تقديم الأدلة المثبتة أو المرجحة للدعوى وصحة تقديم النقل في الأمور المنقولة، وسلامة كلام المناظر ودليله من التناقض، فالمتناقض ساقط بداهة، والاتفاق على القضايا المسلمة والثابتة، والتجرد وقصد الحق والبعد عن التعصب والتزام آداب الحوار، «أهلية المحاور»، فإذا كان من الحق ألا يمنع صاحب الحق عن حقه، فمن الحق ألا يعطى هذا الحق لمن لا يستحقه كما أن من الحكمة والعقل والأدب في الرجل ألا يعترض على ما ليس له أهلاً، ولا يدخل فيما ليس هو فيه كفئاً».

وذكر الطواري أن «من أصول الحوار الرضا والقبول بالنتائج التي يتوصل إليها المحاورون والالتزام الجاد بها، وبما يترتب عليها، وإذا لم يتحقق هذا الأصل كانت المناظرة ضرباً من العبث الذي يتنزه عنه العقلاء».

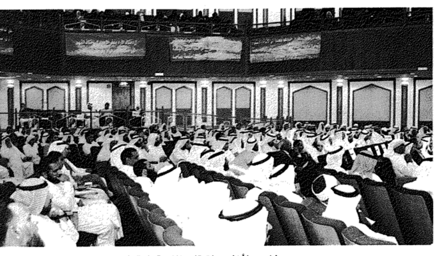
من جانبه، ذكر عضو اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية د.«أيوب الأيوب» أن «هناك الكثير من المهارات التخصصية التي يتميز بها العالم العربي عن غيره، وهناك مهارات ذهنية تصورية تتعلق بمعرفة الإنسان ومهارات إنسانية يدخل فيها الذكاء الوجداني الاجتماعي».

ودعا الأيوب إلى «احترام الأطراف المتحاورة لبعضها بعضاً، وليس بالضرورة أن يصل أي من المتحاورين إلى مرحلة الاقتناع بفكرة الآخر».

وشرح «الأيوب» أن «من مهارات الحوار ضبط النفس وترتيب كل طرف لأفكاره للوصول إلى حديث هادف مع ضرورة تحديد الموضوع الذي يتم التناقش حوله كي لا يكون الحوار ضائعاً ومن دون عنوان».

كما تحدث أستاذ الشريعة في جامعة الكويت «جمعان الحربش» معقباً على المحاضرين في الجلسة الأولى فقال: إن «آداب الاختلاف في الرأي والحوار قضية أصبح لها تأثير على المجتمعات، وبادرة جيدة من وزارة الأوقاف تنظيم منتدى يتحدث عن هذه القضية، وندعو الوزارة أيضاً أن تبدأ ببعض الحوارات التي تبنى على الشفافية بمشاركة نخبة من العلماء».

وأكد «الحربش» أن «العلم ليس حكراً على أحد، والاختلاف في الرأي قضية تمس الناس جميعاً»، لافتاً إلى أن «بعضهم لا يملك أهلية التحاور فيغلب على الحوار طبعه وطبيعته ويسبب مشكلات في الاختلاف في الرأي من دون أي داع لذلك».



جمهور غفير ملأ المدرجات تابع الندوة باهتمام

جاسم مهلهل الياسين:

التطرف مرتبط بالتعصب الذي يعني عدم ثبوت الحق

واعتبر «الحربش» أن «من حسن التصرف والذكاء أن يتحاور الإنسان مع الجميع وخصوصاً في مجتمع صغير مثل المجتمع الكويتي، وعلى المتحاور ألا يغلظ القول مع من يتحدث معه حتى لو خالفه الرأي».

وقال المحامي «محمد حسين الدلال» إن الشيخ «جاسم مهلهل الياسين» «أشار إلى قضية مهمة جمعت بين التأصيل الشرعي والفقه بالواقع من خلال ما ذكره من أهمية معرفة النظم والتشريعات الدولية والمحلية وأثرها في المحاورة والجدال، وخصوصاً حين تحدث عن أثر المعاهدات والعلاقات الدولية وهي مسألة مرتبطة بجوانب شرعية ودستورية وقانونية تتطلب أن يتم التعامل معها بعناية لتحقيق مقاصد الشرع والوصول إلى الحوار بأفضل صورة».

كما ذكر الداعية الإسلامي الشيخ «محمد العوضي» أن «الاختلاف في الرأي منهج تربوي قديم، ولابد أن نتحاور في الخطاب العام وألا نجعل البلبلة والاختلاف طريقنا».

وشرح «العوضي» أن «الحوار دائماً يكون له أبعاد عدة هي البعد التربوي والنفسي، والناس لهم مذاهب وتوجهات مختلفة إلا أن أي إنسان هو نتاج التأثر والتعلم من البيئة التي عاش وتربى فيها، فبعضهم أتى من بيئة الحزب أو من الجماعة أو المذهب ولا يمكن أن نلوم أحداً على تأثره ببيئته، لكننا في النهاية تجمعنا أمور عدة ومن ثمَّ يجب أن ننادي بفتح الحوار الهادف المتعقل الذي يقرب وجهات النظر ويفتح القلوب على بعضها بعضاً للوصول إلى حوار فعلي ونافع لكل الأحزاب والتيارات».

كذلك أكدت أستاذة الجامعة الدكتورة «سعاد بوحمرا» على أهمية «احترام أطراف الحوار لبعضهم بعضاً واحترام الآراء الصادرة عن كل منهم، ولابد من تهيئة الظروف والأجواء المناسبة وخصوصاً في أثناء الحوار كأن يبتسم الداعية عندما يخطب في الناس».

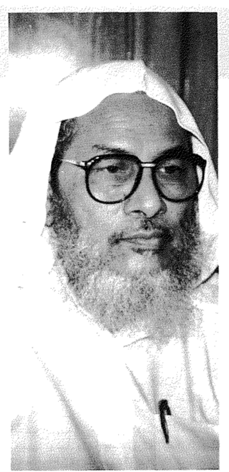
ودعت «بوحمرا» إلى «التحاور مع الأبناء في ظل وجود التقنيات الحديثة التي لا نأمن شرها مثل «البلوتوث» و«الإنترنت»، لذلك لابد من فتح باب الحوار مع الشباب والأطفال لحمايتهم من العادات السيئة التي دخلت إلى مجتمعنا، ومن المهم جداً تربية أبنائنا وفق منهج الرسول صلى الله عليه وسلم».

كما طالب الدكتور «بشير الرشيدي» بـ«جعل الحوار أسلوباً من أساليب الحياة المتعددة التي نمارسها في حياتنا اليومية مثله مثل العمل والرياضة والترفيه وارتياد الديوانيات».

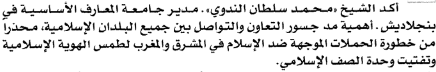
وأوضح «الرشيدي» أن «الحوار نعني به تبادل الصورة الذهنية التي يحملها كل طرف وتوضيحها عبر أسلوب الاتصال المباشر والدائم بين أفراد الأسرة الواحدة وأفراد المجتمع على نطاق أوسع». وطالب «الرشيدي» «وسائل الإعلام أن ترسخ مبدأ الحوار كأسلوب حياة» ■

سماحة الشيخ محمد سلطان الندوي مدير «جامعة المعارف الإسلامية» في بنجلاديش لـ الوعي الإسلامي

المنظمات الصهيونية تستغل فقر الدول الإسلامية لمسخ الأجيال الجديدة

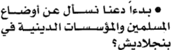


حاوره: محمد عبدالشافي القوصي



أكد الشيخ «محمد سلطان الندوي». مدير جامعة المعارف الأساسية في بنجلاديش. أهمية مد جسور التعاون والتواصل بين جميع البلدان الإسلامية، محذراً من خطورة الحملات الموجهة ضد الإسلام في المشرق والمغرب لطمس الهوية الإسلامية وتفتيت وحدة الصف الإسلامي.

وأشار الشيخ «الندوي» إلى أهمية تفعيل دور الأدب الإسلامي لتنشئة الأجيال الجديدة في المجتمعات الإسلامية على تعاليم الشريعة السمحة وأخلاقياتها في مواجهة الإباحية التي يروجها الغرب في محاولة لاختراق المجتمعات الإسلامية المعاصرة وفصلها عن جذورها العقدية، مؤكداً أهمية الفكر والإبداع الإسلامي في مواجهة كل محاولات الغزو الثقافي بدرجة لا تقل عن العلوم الحديثة... وفيما يلي نص الحوار:



● بدءاً دعنا نسأل عن أوضاع المسلمين والمؤسسات الدينية في بنجلاديش؟

- ولله الحمد يبلغ تعداد المسلمين في «بنجلاديش» حالياً نحو مئة وثلاثين مليون نسمة، أي يشكلون نسبة ٨٨٪ تقريباً من تعداد السكان، والنسبة الباقية من «الهنادك والبوذيين»، ومختلف الديانات الأخرى، وتعتبر «بنجلاديش» ثاني أكبر الدول الإسلامية، وعلى الرغم من أن الحكومة «البنجلاديشية» لا تزال علمانية، إلا أن المسلمين يمارسون جميع شعائرهم الدينية ولهم حرية إنشاء المساجد والمدارس الإسلامية، وإقامة مؤسسات وجمعيات إسلامية لخدمة الإسلام والمسلمين والإنسانية بعامة، ويوجد أكثر من عشرة آلاف مدرسة إسلامية موزعة بين المدارس الحكومية والأهلية وهناك عدد كبير من الكتاتيب التي توجد في كل قرية يسكنها المسلمون.

● وماذا عن دور الأدب الإسلامي في تأصيل الهوية الإسلامية في بنجلاديش؟

- هناك أدباء وشعراء إسلاميون يخدمون الإسلام بإخلاص ويعالجون قضاياه في مجال الحقل الإبداعي والفكري، وقد أثروا المكتبة الإسلامية بإبداعاتهم وبخاصة أعضاء رابطة الأدب الإسلامي العالمية الذين لهم جهود طيبة في مجالات الأدب المختلفة، من رواية وقصة وشعر، ويقومون بدور فاعل لتأصيل الهوية الإسلامية، وترسيخ كيانها الإسلامي، ويقدمون للأطفال والشباب نماذج رائعة من القصص والروايات الإسلامية لمواجهة القصص الماجنة التي يبثها الغرب، وكل ذلك في سبيل ايجاد جيل صالح يتربى في ظل الأدب الإسلامي ويقوم باستخدام مواهبه لصالح الإسلام والمسلمين.

● وهل ثمة مشكلات بعينها تواجه مسلمي بنجلاديش في الوقت الراهن.

- المسلمون في «بنجلاديش» مثل مسلمي البلاد المتاخمة يعانون ظروفاً وعقبات وعراقيل ويواجهون الفتن الموجهة ضد الدين الإسلامي، حيث توجد المنظمات الصهيونية والتنصيرية على نطاق واسع في البلاد، وتقوم هذه المنظمات بتقديم خدمات إغاثية ومساعدات مادية مستمرة مستغلة وقوع كوارث طبيعية في الدولة بين الحين والآخر، وتفشي الفقر والجهل، هذا إلى جانب فئة «القاديانيين»

وغيرهم، وفي مواجهة ذلك كله، يقوم العلماء والدعاة المخلصون من المسلمين بتقديم واجبهم في مقاومة هذه الظاهرة ويقدمون أقصى ما لديهم من إمكانات لهذا الغرض.

• هل الأدب الإسلامي يقوم بالدور المنوط به في الدفاع عن الإسلام والمسلمين؟ وهل تأثرت الثقافة والفكر الإسلامي في بنجلاديش بمثل هذه التحديات بشكل أو بآخر؟

ـ كان الفكر والثقافة وحتى الإبداع الإسلامي مصطلحاً غريباً وغير مألوف لدى كثير من الناس في بلادنا، وبلاد أخرى رغم ظهوره مع بداية الإسلام، فالصحابة رضي الله عنهم دافعوا عن الإسلام باللسان والسنان، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم مشجعاً لـ«حسان ابن ثابت» «اهج قريشاً فإنه أشق عليهم من رشق النبل»، واليوم نشطت حركة الأدب والفكر الإسلامي، وأقيمت رابطة الأدباء والشعراء الإسلاميين، ولم يعد هذا الأدب شيئاً غريباً، بل أصبح حقيقة راهنة، ومن ثمَّ بدأ الإقبال على الرابطة في كل بلاد المسلمين، ولم يكن روَّاد الأدب الإسلامي يكتبون للتسلية أو لإشباع رغباتهم وإنما تلبية لنداء ضمائرهم وانتصاراً للإسلام، ودفاعاً عنه، وهناك كثير من الشعراء الذين أنتجوا دواويناً شعرية تناولوا فيها قضايا الإسلام والمسلمين. والشعر له تأثير غير شعوري لا يستطيع أن ينكره أحد. لذا فإن لأدب والثقافة الإسلامية موجودة وتقوم بدورها في الدفاع عن الإسلام والمسلمين.

• الكلمة أصبحت من الأسلحة الفتاكة التي تهزم الشعوب قبل أن تهزمها الجيوش وتدمرها، هل روَّاد الأدب الإسلامي يمتلكون هذا السلاح؟

ـ الكلمة نفسها سلاح للأدباء، فمثلما هي في بعض الأحيان هدَّامة فتاكة، تغزو من دون سيف ولا سنان، كذلك تكون هي نفسها الهادفة البناءة كما قال تعالى في الآية ٢٤ من سورة إبراهيم: «ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء»، فالكلمة يمكن أن تمهد الطريق لإشعال ثورة في النفوس والتذمر من الحاضر

الإبداع الإسلامي عليه مسؤولية كبرى في حماية هوية الأمة الثقافية

والتطلع إلى مستقبل زاهر، وقد تسببت في انقراض دول كافرة أو علمانية وإنشاء دول أخرى مسلمة، وروَّاد الأدب الإسلامي يملكون هذا السلاح ومن ثمَّ يجب عليهم أن يخدموا الإسلام بأقلامهم ومواهبهم ولا يطلبون لذلك من الناس ثناء ولا جزاء إنما يجب أن يكونوا على يقين أنهم من جند الله في أرضه الذين سخرهم لرفعة دينه، وجعلهم سبباً في تهيئة الأمة وتعبئة شعوبها للدفاع عن إسلامها وتاريخها الحضاري.

• وماذا عن «جامعة دار المعارف الإسلامية»، ودورها في هذا الصدد؟

ـ المدارس الإسلامية في «بنجلاديش» كان ينقصها التطوير اللائق في مناهجها التعليمية لتتماشى مع متطلبات العصر الراهن، ولذلك جاء إنشاء الجامعة من أجل إعداد رجال العصر المهرة الذين يستطيعون أن يعملوا في مجالات التربية، والدعوة الإسلامية وخصوصاً في أمات العلوم واختيار الأسلوب العصري للتعليم والدعوة، وتم إنشاء جامعة في مدينة «شيتاغونغ» وذلك بإيعاز من فقيد العلم والأدب الشيخ «أبوالحسن علي الندوي»، وشهادتها معادلة من ندوة العلماء في الهند، والجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وتشمل مناهجها التعليمية العلوم الإسلامية وتركز على تعليم اللغة العربية، وشعارها الجمع بين القديم الصالح، والجديد النافع، وأهم أهدافها تخريج علماء ودعاة مؤهلين يستطيعون مقاومة تحديات العصر الجديد والقضاء على الجاهلية الجديدة والدفاع عن الإسلام بأسلحة العلم والثقافة، وقد تقدمت الجامعة في تحقيق أهدافها إلى حد كبير في هذه الفترة التي لا تزيد على ستة عشر عاماً منذ إنشائها، وتعد بالفعل معملاً لتفريخ الدعاة والعلماء في «بنجلاديش».

المدارس الإسلامية ضرورة ملحة لمواجهة العلمانية ومحاولات تهميش الشريعة

• وعلى الصعيد الحكومي هل تتلقون دعماً حكومياً لبناء المدارس الإسلامية أم تقومون بذلك من خلال جهودكم الفردية، وكيف يقاوم المسلمون التيارات الوافدة؟

ـ المسلمون في «بنجلاديش» في رباط دائم، فهم يواجهون التيارات الوافدة بإخلاص وهمّة عن طريق إلقاء الخطب وعقد الندوات ومؤتمرات للنقاش في قضايا إسلامية مهمة ومن خلال كتاباتهم في المجلات والصحف، وأيضاً هناك إنشاء مدارس إسلامية لإعداد جيل صالح متخصص في العقيدة الإسلامية والعلوم الشرعية المستمدة من الكتاب والسنة، وذلك كله بجهود فردية من دون مساعدة معنوية أو مادية من الحكومة، لأن مساعدة الحكومة تنحصر في مدارس وكليات رسمية وعصرية والمدارس الحكومية لا تهتم بالتعليم الإسلامي وتخريج العلماء الواعين والدعاة، والمدارس هذه كلها تضرب على وتر واحد وتبذل جهودها من أجل السير على خطا مرسومة من رجال الحكم والسلطة، وتعمل على تخريج رجال للعمل في مجالات التعليم العلماني والطب والهندسة والتكنولوجيا وغيرها من العلوم التي تسمى علوم الحياة، وكل ذلك بمعزل عن تخريج كوادر متخصصة في علوم الشريعة بمعناها الواسع، وذلك هو مبلغهم من العلم.

• ما الذي يمكن ن تقدمه الدول الإسلامية الكبرى لدعم المسلمين في بنجلاديش؟

ـ الدول العربية والإسلامية بدورها الريادي تستطيع أن تدعم المسلمين في «بنجلاديش» بالإسهام في تغطية مصروفات المدارس الإسلامية الأهلية وإنجاز مشاريعها العمرانية عن طريق الجهات الإسلامية الخيرية لأن شعب «بنجلاديش» لا يستطيع حمل أعباء الأنشطة الإسلامية كلها بسبب فقره ومعاناته من الأزمات الاقتصادية والسياسية والكوارث الطبيعية من حين إلى حين، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هل ترحمون وترزقون إلا بضعفائكم وفقرائكم» وهذه هي رسالتنا إلى الشعوب المسلمة الشقيقة في مختلف أنحاء العالم ■

من روائع حضارتنا

بوابات دمشق القديمة...

باب توما الباب الذي دخل منه عمرو بن العاص يوم فتح دمشق.

شاهد على تراكم الحضارات

اعداد : تمام أحمد

تشتهر مدينة دمشق القديمة بالكثير من الأوابد والمواقع الأثرية المهمة التي تدل على تاريخها العريق وتراكم الحضارات المتعاقبة عليها ومن أبرز آثار هذه المدينة المتبقية حتى الآن أبوابها وسورها.

مدينة الأبواب السبعة

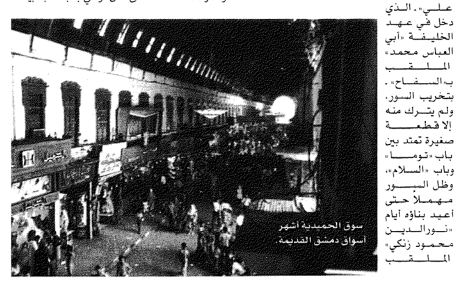
عرفت مدينة دمشق بأنها مدينة الأبواب السبعة فهي تضم أبواباً أثرية لا يزال بعضها قائماً بشكله الأثري بعد أن أجريت عليه ترميمات كثيرة خلال عصور متلاحقة» وهناك جزء من السور لا يزال قائماً وهو الممتد بين باب «السلام» وباب «توما». فيما تعرضت الأجزاء الأخرى من هذا السور للهدم في عهود سابقة.

وتجري الجهات المعنية في سوريا باستمرار أعمال ترميم وإصلاح لهذا السور وللأبواب السبعة حرصاً من هذه الجهات على إبقاء هذه الأوابد الحضارية والأثرية كشاهد للزائر وللأجيال اللاحقة على عراقة مدينة دمشق.

وقد نشأ سور «دمشق» منذ أن كانت المدينة بين أيدي اليونان والرومان الذين أقاموه لتحصين المدينة جرياً على عادتهم في تحصين المدن وكان حينذاك مستطيل الشكل لأن المدينة تتسع وتمتد بشكل هندسي منتظم.

وكان سور المدينة يضم أرضاً مساحتها ١٠٥ هكتارات هي عبارة عن خندق طبيعي لا يمكن تجاوزه. وظل السور على وضعه المتين حتى دخول العرب والمسلمين مدينة دمشق. فحافظوا عليه طوال أيام الخلفاء الراشدين وأيام بني أمية لحماية المدينة.

وتعرض السور لعمليات هدم عندما احتل العباسيون مدينة دمشق، حيث قام «عبدالله بن علي». الذي دخل في عهد الخليفة «أبي العباس محمد» الملقب بـ«السفاح». بتخريب السور، ولم يترك منه إلا قطعة صغيرة تمتد بين باب «توما» وباب «السلام»، وظل السور مهملاً حتى أعيد بناؤه أيام «نورالدين محمود زنكي» الملقب بـ«الشهيد»، ثم استكمل البناء بعد ذلك في العهد الأيوبي.



سوق الحميدية أشهر أسواق دمشق القديمة.

الأبواب أيام الزنكيين

وقد أدخل «نورالدين زنكي» على بعض أبواب دمشق تعديلات كان الهدف منها أمرين، أولهما حربي ويتمثل في إقامة مسجد ومنارة «مئذنة» فوق كل باب بغية مراقبة العدو من مكان مرتفع عند اقترابه من دمشق إبان الحملات الصليبية إضافة إلى رفع الأذان، أما الأمر الآخر هو جانب اقتصادي هدفه إقامة سوق صغير «باشورة» عند كل باب لتنشيط الحركة التجارية في المدينة.

وكان يوجد في سور دمشق الذي بُني أوائل القرن الثالث للميلاد سبعة أبواب رومانية ومازالت قائمة حتى الآن، وهي باب «الجابية

مبان أثرية تنتشر حول البوابات

والصغير والشرقي والسلام وباب توما والفرج والفراديس (العمارة)» إضافة إلى أبواب اندثرت مثل باب «كيسان والبريد والجنيق والنصر».

وعدل «نورالدين زنكي» بعضاً من أبواب السور، فقام بسد باب «كيسان» وفتح باب «الفرج» الذي جدده الملك «الصالح أيوب» سنة ١٢٤١م، وكذلك فتح باب «النصر» عند سوق «الأروام» بداية سوق «الحميدية» وهدم الباب سنة ١٨٦٣م أيام الوالي «محمد رشدي» باشا، أما باب «الجنيق» الواقع بين باب «توما» وباب «السلام» فقد سد منذ عهد بعيد.

ويعتبر باب «شرقي» من أجمل أبواب دمشق وأضخمها القائمة حتى الآن، ويقع في الجهة الشرقية من السور وينتهي عند الشارع المستقيم وقد بني في العهد الروماني أي أوائل القرن الثالث للميلاد ونزل عنده «خالد بن الوليد» عندما فتح مدينة دمشق ومعه دخل «عبدالله بن علي» حين احتلها العباسيون، ثم جدد الباب في عهد «نورالدين زنكي».

ويمر الزائر عبر هذا الباب إلى سوق مختص ببيع التحف الشرقية ويحمل اسم «سوق باب شرقي».

عند أبواب دمشق
ترتفع المباني الدمشقية القديمة.



باب توما

ومن الأبواب المهمة التي لا تزال قائمة حتى الآن، باب «توما» الذي تم تجديده في عهد الملك «الناصر داود بن عيسى الأيوبي» سنة ٦٢٥هـ - ١٢٢٧م.

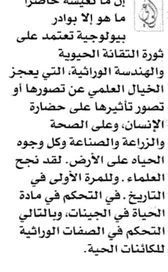
وهذا الباب في الأصل هو باب بُني في عهد الرومان ونُسب إلى أحد عظمائهم واسمه «توما»، وكانت عنده كنيسة حوِّلت فيما بعد إلى مسجد، ويروى أن «عمرو بن العاص» نزل عنده يوم فتح دمشق.

ومن أبواب دمشق باب «كيسان» الذي سدَّه «نورالدين زنكي» وفتح باب «الفرج»، ثم أعيد فتحه في عهد المماليك، وترجع تسميته بهذا الاسم نسبة إلى «كيسان» مولى الخليفة «معاوية بن أبي سفيان» الذي أعتقه بعد نزوله عند الباب إبان فتح مدينة دمشق، وأصبح هذا الباب مدخلاً لكنيسة القديس «بولص» «سانت بول»، التي شيِّدت العام ١٩٣٩م في المكان نفسه الذي تم فيه إنزال القديس «بولص» بسلة من فوق السورة، فتمكن من الوصول إلى أوروبا ومنها إلى إيطاليا.

ويقول مؤرخون دمشقيون: إن أبواب دمشق كانت تنسب إلى الكواكب وأن باب «كيسان» ينسب إلى «كوكب زحل».

وهناك باب «السلام» الذي يقع إلى الغرب من باب «توما» وكان أصلاً رومانياً أعاد «نورالدين زنكي» بناءه ثم تهدم في عهد الملك «الصالح أيوب» في العهد الأيوبي، وكان يسمى أيضاً باب «السلامة» وباب «الشريف»، وجاءت تسميته باب «السلامة» لصعوبة دخول الغزاة منه بسبب كثافة الأشجار والأنهار في جهته، وكذلك لأن الراغبين في دخول دمشق للسلام مع الخلفاء الأمويين يمرون عبر هذا الباب.

أما باب «الفراديس» يسمى اليوم باب العمارة والفراديس «هي البساتين»، وهناك باب الصغير الذي سمي بهذا الإسم لأنه كان أصغر أبواب دمشق وهو باق إلى الآن، وباب «الجابية» وينسب إلى قرية «الجابية» لأنه الخارج إليها كان يخرج منه ■



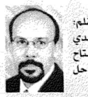
إن ما نعيشه حاضراً ما هو إلا بوادر بيولوجية تعتمد على ثورة التقانة الحيوية والهندسة الوراثية، التي يعجز الخيال العلمي عن تصورها أو تصور تأثيرها على حضارة الإنسان، وعلى الصحة والزراعة والصناعة وكل وجوه الحياه على الأرض. لقد نجح العلماء - وللمرة الأولى في التاريخ - في التحكم في مادة الحياة في الجينات، وبالتالي التحكم في الصفات الوراثية للكائنات الحية.



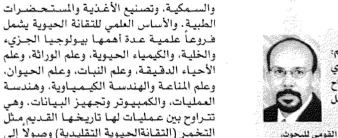




ثورة الهندسة الوراثية... منشأ وتطور وإنجازات



بقلم: د. وجدي عبد الفتاح سواحل
المركز القومي للبحوث، القاهرة

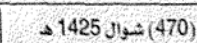


(١) ما هية التقانة الحيوية والهندسة الوراثية

يمكن أن توصف التقانة الحيوية بأنها التعديل والتحسين التقني للكائنات الحية، أو بأنها تطبيق المبادئ العلمية والهندسية على صناعة المواد بوسائط حيوية مثل: الكائنات الحية الدقيقة أو الخلايا الحيوانية أو النباتية أو الإنزيمات، لتوافر السلع والخدمات التي تشمل المنتجات الزراعية والحيوانية والميكروبية والسمكية، وتصنيع الأغذية والمستحضرات الطبية. والأساس العلمي للتقانة الحيوية يشمل فروعاً علمية عدة أهمها بيولوجيا الجزيء والخلية، والكيمياء الحيوية، وعلم الوراثة، وعلم الأحياء الدقيقة، وعلم النبات، وعلم الحيوان، وعلم المناعة والهندسة الكيمياوية، وهندسة العمليات، والكمبيوتر وتجهيز البيانات. وهي تتراوح بين عمليات لها تاريخها القديم مثل التخمر (التقانة الحيوية التقليدية) وصولاً إلى الهندسة الوراثية (التقانة الحيوية الجزيئية)، أي القدرة على عزل جين من كائن حي ونقله إلى كائن حي آخر، وبذلك يتم تخليق نباتات وحيوانات مهجنة جينياً «تمتلك المميزات المرغوبة».

ما الأساس الذي تقوم عليه الهندسة الوراثية؟

لا يوجد تشابه دقيق بين أي اثنين من البشر سواء كانوا من النساء أو الرجال أو الأطفال ممن يعيشون على كوكب الأرض والذين يزيد تعدادهم على خمسة مليارات إنسان. وينطبق الشيء نفسه على النباتات والحيوانات والكائنات الدقيقة. وذلك التنوع الأحيائي اللانهائي الموجود في كل الكائنات الحية - أو بمعنى أدق: المخزون الجيني - هو حجر الأساس الذي تقوم عليه الهندسة الوراثية، وقد ساعدت إعادة اكتشاف قوانين «جريجو يوهان مندل» للوراثة في فترة مبكرة من هذا القرن على زيادة فهم أصل جوهر التنوع الجيني. والظواهر الأساسية في هذه العملية هي الانفصال والتغيير ثم إعادة تجميع الجينات، وهذه



العمليات الثلاث معاً تولّد فرصاً للتنوع الجيني الهائل في الكائنات الحية. في الماضي ومنذ أكثر من عشرة آلاف سنة أدى وجود التنوع الجيني إلى تمكين الإنسان من اختيار نباتات مثل: القمح والشعير والأرز من النباتات البرية لزراعتها. ثم أعقب ذلك تحسين لهذه المحاصيل عن طريق الانتقاء من التنوع الذي ينتج بشكل طبيعي. ومنذ بداية هذا القرن استخدمت تقنيات التهجين المخطط. ثم أسلوب إدخال التغيرات الوراثية والبيولوجية بهدف تخليق تكوينات جديدة. وأصبح التهجين أسلوباً لزيادة نمو المحاصيل والحيوانات. وهي ظاهرة تعرف بالتنشيط التهجيني. ولقد كان التعرف إلى الجينات لنوع من نبات القمح شبه القزمي في اليابان ومن الأرز في الصين في الأربعينيات هو الذي قدم المواد الخام للثورة الخضراء التي شوهدت في هذين المحصولين في آسيا في أواخر الستينيات. وهكذا أصبح التنوع الأحيائي هو أساس استمرار تحسين النباتات والحيوانات والكائنات الدقيقة التي تهم الزراعة والصناعة والدواء.

لقد فتح «جيمس واطسون» و«فرانسيس كريك» مجال الهندسة الوراثية - منذ أربعين عاماً - عندما وصفا التركيب الحلزوني المزدوج لجزيء الحمض النووي الريبوزي المختزل (DNA). ومنذ ذلك الحين انتقل الاهتمام إلى دراسة الأساس الجزيئي للتنوع الجيني، وإلى توحيد الأساليب التي يمكن أن تساعد على تكوين مجموعات جينية جديدة عن طريق التحكم بالجينات وتقنيات إعادة اتحاد المادة الوراثية (Recombinant DNA) والاستنساخ الحيوي(Cloning) وقد فتحت هذه التقنيات عالما جديداً من الهندسة الوراثية يؤدي إلى إنتاج كائنات حية معدلة وراثياً، أي تحتوي على مادة وراثية (DNA) أدخلت فيها بطريقة صناعية من كائن حي آخر غير منتسب إليها.

(٢) منشأ وتطور الهندسة الوراثية

جاءت الهندسة الوراثية كمحصلة طبيعية لثورتين علميتين، هما: ثورة اكتشاف أسرار المادة الوراثية (DNA)، وثورة اكتشاف إنزيمات التحديد (Restriction enzymes) التي تقوم بقص الـ (DNA) في مواقع محددة. وبدأت الثورة الأولى عندما اكتشف العلماء أن الحمض النووي(DNA) هو المادة الوراثية، ثم اكتشاف تركيبه الكيمياوي (عبارة عن شريطين متكاملين من السكر والفوسفات والقواعد النيتروجينية الأربع وهي: الأدينين والجوانين والسيتوسين والثيامين)، ويأخذ هذان الشريطان شكل الحلزون، وهناك نقاط معينة في هذين الشريطين تلتقي كل منها بالأخرى، وكل شريط يحمل المعلومات الكاملة اللازمة للتحكم في بناء البروتينات اللازمة لتوجيه المعلومات الحيوية، التي يؤدي مجموع تفاعلها في النهاية إلى تكوين الكائن الحي وقيامه بوظائفه الحيوية المختلفة. ثم تبعه اكتشاف أسرار الشفرة الوراثية (وهي تتابع القواعد النيتروجينية في كلمات وجمل تقوم بتخزين المعلومات الوراثية في لوح محفوظ مسؤول عن حياة الكائن الحي من الإنبات حتى الممات، وهي الجينات) وفك رموزها. وبذلك استطاع أن يقرأ «شفرة» كل جين ويتعرف إليها، ثم استطاع تخليقها معملياً، أو الحصول عليها من استخلاص الـ (DNA) من أي كائن حي، أو حتى الفيروسات، ومن ثم القيام بعمليات الجراحة الوراثية التي يقوم بإعادة ترتيبها في شفرات.

الهندسة الوراثية منحت فرصاً لا حدود لها لاستخدام المخزون الجيني الناتج من التنوع الإحيائي

وفيما يلي أهم القفزات والاكتشافات والثورات العلمية التي كان لها الفضل في منشأ وتطور الهندسة الوراثية، وكذلك بعض الإنجازات التي كانت بعيدة حتى عن الخيال.

- ١٨٦٦م أجرى الراهب النمساوي «جريجور يوهان مندل» تجارب على نبات البازلاء من خلال عمليات التهجين، وتوصل إلى مجموعة من القوانين لتفسير وراثة الخصائص البيولوجية في الكائنات الحية، ولكن نتائج تجاربه لم تنشر.
- ١٩٠٠م أعاد كل من «دي فريز وباستون» وآخرون اكتشاف قوانين «مندل» في علم الوراثة ثم نشرها في دورية تصدرها جمعية محلية في النمسا. وقد كانت جهود هؤلاء العلماء هي الخطوة الأولى التي بدأها علماء البيولوجيا في التطوير المعاصر في علم الوراثة، والتي حولت هذا العلم إلى علم تجريبي دقيق.
- ١٩٠٣م افترض «ستون» أن الجينات تقع على الكروموسومات.
- ١٩١٠م أثبتت تجارب «مورجان» أن الجينات تقع على الكروموسومات.
- ١٩١١م اشتق «جوهانسين» المصطلح العلمي «جين» (Gene).
- ١٩١٨م ظهر المصطلح العلمي التقنية البيولوجية (Bio-technologie) باللغة الألمانية.
- ١٩٢٢م أعد «مورجان» أول خريطة للجينات الموجودة على كروموسومات حشرة الفاكهة (الدوروسوفيلا) (Drosophila).
- ١٩٢٨م بداية تجارب التحويل الوراثي (Genetic transformation) في البكتريا. وتعتبر هذه التجارب حجر الأساس للهندسة الوراثية في صورتها الحديثة.
- ١٩٣٢م نشرت أول قصة خيال علمي عن الهندسة الوراثية «عالم جديد شجاع» (Brave new world) للكاتب «الدوس هكسلي».
- ١٩٣٨م ظهور المصطلح العلمي «البيولوجيا الجزيئية»

التقانة الحيوية هي تطبيق المبادئ العلمية والهندسية على صناعة المواد بوسائط حيوية

(Molecular Biology).

- ١٩٤٣م ظهــور نظرية «جين لكل إنزيم» التي ربطت الكيمياء الحيوية وعلم الوراثة. والتي تعرف باسم نظرية «فعل الجين».

- ١٩٤٤م أثبت كل من «أفري وكلود وماكارتي» أن الجينات تتركب من الحمض النووي الريبوزي المختزل (DNA).

- ١٩٤٨م ظهــور المصطلحين العلميين «الهندسة الكيمياوية» (Chemical engineering) و«الطب الجزيئي» (Molecular medicine).

- ١٩٥٢م أكد كل من هيرشي وكاسي دور الـ(DNA) كأساس للمادة الوراثية.

- ١٩٥٣م اكتشف كل من «واطسون» و«كريك» تركيب الـ (DNA) ووضعا أول نموذج له.

- ١٩٥٨م تم تحديد تتابع الأحماض الأمينية لبروتين الأنسولين.

- ١٩٦٠م تم اكتشاف الحمض النووي الريبوزي الرسول (mRNA).

أول محاولة لدمج الخلايا - في معهد «جوستاف» في باريس - حيث قام «جورج بارسكي» بإدماج خلايا فئران في أطباق خاصة مزودة بغذاء معقم.

- ١٩٦٦م فك رموز الشفرة الوراثية بوساطة «جونيد خوران» و«مارشال نيرينبرج».

- ١٩٦٧م تم اكتشاف إنزيمات الربط (Ligase enzymes).

تمكن كل من «ماري فايس»، و«هوارد جرين» من دمج خلايا إنسان بخلايا فأر.

- ١٩٧٠م تمكن «وارنر أربير» و«دانيل ناثانس» و«هاميلتون سميث» من اكتشاف أول إنزيم محدد (قص) خاص (Restriction enzyme).

- ١٩٧١م تمكن «كوهين وبوير» من وضع أساليب أولية لإعادة اتحاد المادة الوراثية (Recombinant DNA).

- ١٩٧٣م عزل أول جين وهو الجين المسئول عن إنتاج الأنسولين.

وضع أساليب وطرق لإعادة اتحاد المادة الوراثية.

بداية التقنية الحيوية الحديثة (Modern Biotechnology).

- ١٩٧٤م أظهور أول تعبير «جين غريب» في البكتريا.

- ١٩٧٧م تم إنشاء أول شركة للهندسة الوراثية «جينيتيك» في أميركا.

إنتاج أول بروتين آدمي بوساطة البكتريا، وهو هرمون المخ «السوماتوستاتين» (Somatostatin).

- ١٩٧٨م تم إنتاج الأنسولين البشري من البكتريا «إشيريشيا كولاي» (E. coli).

اكتشاف طرق لتحديد تتابع «الشفرة» الوراثية.

- ١٩٨٠م تم منح أول براءة اختراع في الهندسة الوراثية، وكانت لكل من كوهين وبوير عن كيفية إعادة اتحاد المادة الوراثية.

- ١٩٨٢م تم إنشاء أول مصنع لإنتاج الأنسولين الآدمي بطرق الهندسة الوراثية في إنجلترا.

أول منتج للهندسة الوراثية يُجاز تسويقه، وكان لقاحًا حيوانياً ضد الإسهال وهو «الأنتروفيرون» لمعالجة الهربي.

أول محاولة ناجحة لنقل الجينات بين الحيوانات.

- ١٩٨٣م تم نجاح الجمع بين جنس العنز وجنس الخروف وظهور ما يسمى بالعنزروف.

صمم «كاري ميليس» جهازاً لمضاعفة المادة الوراثية في المعمل بتفاعل «البوليميرز» التسلسلي (PCR).

أول محاولة ناجحة لنقل الجينات إلى نبات.

ظهور المصطلح العلمي «البيولوجيا الجزيئية النباتية (Plant Molecular Biology).

- ١٩٨٥م تم اكتشاف البصمة الجينية (DNA fingerprint) بواسطة «أليك جيفيرس».

- ١٩٨٦م تم إنتاج خنزير معدل وراثياً يحمل جين هرمون النمو البشري.

- ١٩٨٧م تم استخدام البصمة الجينية كدليل جنائي في المحاكم الأميركية.

أول عملية لتقييم النباتات والكائنات الدقيقة المعدلة وراثياً خارج المعمل.

- ١٩٨٨م تم إنتاج أول كائن دقيق معدل وراثياً أُجيز تسويقه.

- ١٩٨٩م تم عزل الجين المسؤول عن مرض التليف الكيسي (Cystic fibrosis) بوساطة «لاب شي تسي، وفرانسيس كولين».

تمكن «ستيفين روسينبيرج» من تصميم أول نظام لنقل الجينات في الإنسان.

بداية علاج الأمراض الوراثية بالجينات Gene therapy.

- ١٩٩٣م تم عزل الجين المسئول عن مرض هنتجتون (Huntting-ton's disease).

- ١٩٩٤م تم ظهور سلاح الجينات الانتحارية كعلاج للسرطان.

إنتاج أرز مقاوم للآفات والأمراض أطلق عليه «الأرز السوبر».

- ١٩٩٥م تم العلاج الجيني لتبقع الجلد الوراثي.

العلاج الجيني للتحلل الفقاعي الوراثي.

تصنيع هرمون الغدة النخامية الذي يعمل على تنشيط

لا يوجد تشابه وثيق بين أي اثنين من البشر سواء كانوا من النساء أو من الرجال أو الأطفال

فتح «واطسون» و«كريك» مجال الهندسة الوراثية عندما وصفا التركيب الحلزوني المزدوج لجزيء الحمض النووي الريبوزي المختزل (DNA)

التبويض كعلاج للعقم.

- ١٩٩٦م تم استنساخ النعجة «ميجان وموراج» على يد «أيان ويلموت» باستخدام الخلايا الجنينية.

- ١٩٩٧م تم تمكن «سانج لي» بمعهد العلوم والتقنية في كوريا من عزل جين (PHA) المسؤول عن إنتاج بولستر من نوع البكتريا ونقله إلى بكتريا إشيرشيا كولاي (E. coli) لزيادة الإنتاج.

تمكن «إيان ويلموت» من استنساخ النعجة «دوللي» باستنساخ تقنية استبدال الأجهزة الوراثية عن طريق إدماج نواة خلية جسدية من ضرع (ثدي) نعجة فنلندية في بويضة مفرغة (من دون نواة) مأخوذة من نعجة أسكتلندية.

تم استنساخ اثنين من القردة في مركز بحوث «أوريجتون» في الولايات المتحدة الأميركية باستخدام تقنية الفصل المجهري للخلايا الجنينية للحصول على نسخ منها تحمل الصفات الوراثية نفسها.

أعلنت شركة أميركية لتربية الحيوانات عن نجاحها في استنساخ بقرة أطلقوا عليها اسم (جين)، وذلك باستخدام تقنية «استبدال الأجهزة الوراثية» عن طريق استخدام خلايا (Priodial stem) من جنين بقرة عمره ٣٠ يوماً.

الحصول على فئران تحمل كروموسومات بشرية كاملة ينتظم بكل منها نحواً من الألف جين، بعد أن كانت عمليات نقل الجينات لا تتضمن أكثر من جين أو جينين على الأكثر. وأطلقوا عليه اسم (ماني) «الفأر المؤنسن»، وهي كلمة منحوته من كلمتي إنسان وحيوان.

- أعلن «مايكل ماردين» في فرنسا عن نقل جين الهيموغلوبين البشري (ألفا وبيتاغلوبين) إلى كلوروبلاست Chloroplast خلايا نبات التبغ والحصول على النبات الكامل وتمكنه من عزل وتنقية الهيموغلوبين من بذور وجذور النبات.

- ١٩٩٨م تم بدء إنتاج السمك الذكري المتفوق الكبير الحجم باستخدام تقنية التحوير الوراثي.

إنتاج بعوض غير ممرض باستخدام أساليب الهندسة الوراثية.

- ١٩٩٩م تم بدء إنتاج العسل الدوائي عن طريق نباتات تم تعديل أزهارها وراثياً.

استنباط نبات تبغ معدل وراثياً للكشف عن مواقع الألغام.

- ٢٠٠٠م تم إنتاج نبات قطن مهندس وراثيا له القدرة على إنتاج البلاستيك

- ٢٠٠١م تم إنتاج الأرز الذهبي المضاد للعمى وذلك عن طريق إدخال جينات لها القدرة على تكوين مادة «البيتاكاروتين»، وهي المادة الأساسية لفيتامين «أ» المسؤولة عن الإصابه بالعمى.

- المزاوجة الجينية بين العنكبوت والماعز وإنتاج النعجة «ميل» وأختها «موسكاد» اللتين لهما القدرة على إنتاج «بروتين حرير العنكبوت» في حليبهما.

- الإعلان عن الخريطة الجينية البشرية

- ٢٠٠٢م تم إنتاج نبات سبانخ فيه جينات من الخنازير.

الهندسة الوراثية محصلة ثورتين علميتين هما: اكتشاف أسرار المادة الوراثية واكتشاف أنزيمات التجديد

(٣) بعض إنجازات الهندسة الوراثية

فتحت الهندسة الوراثية بذلك فرصاً لا حدود لها لاستخدام المخزون الجيني الناتج من التنوع الأحيائي. وقد شهدت أعوام الثمانينيات وأوائل التسعينيات ظهور بعض ثمار التطبيقات المبكرة للهندسة الوراثية في مجالات عدة. ففي مجال الزراعة حدث تقدم سريع عندما تم إظهار أول نبات مهجن جينياً في العام ١٩٨٢م، ومنذ ذلك الوقت تم تعديل عشرات من النباتات لزيادة إنتاجيتها ومقاومتها للفيروسات ومسببات المرض الأخرى. وفي العام ١٩٩٤م أجريت مئات من التجارب على النباتات المهجنة جينيًا في أوربا وأميركا الشمالية واليابان وأستراليا. وفي مجال تقانة المعالجات الحيوية أنتجت التطبيقات المبكرة لإعادة اتحاد المادة الوراثية (Recombinant DNA) كائنات دقيقة يمكنها تنظيف بقع البترول.

وفي مجال المستحضرات الطبية تم إنتاج هرمونات مثل «الأنسولين» و«هرمون النمو»، ومواد لإذابة تجلطات الدم، ومواد مسببة لتجلط الدم، ومنبه لتكوين الخلايا الليمفاوية، والإنترفيرون (مضاد للسرطان)، وأمصال مضادة للأمراض الناشئة عن الفيروسات والبكتريا والطفيليات (على سبيل المثال: الالتهاب الكبدي الوبائي الناشئ عن فيروس C، والبلهارسيا والملاريا). وفي مجال الإنتاج الحيواني يوجد وسائل للتشخيص للاستغلال التجاري، وأمصال وعقاقير جديدة، وتخصيب في الأنابيب ونقل الجنين في الحيوانات المنزلية، وإعطاء هرمونات النمو لزيادة النمو وإدرار اللبن والأغذية المضادة. وقد استخدمت الحيوانات المهجنة جينيًا مثل فأر مهجن جينياً يحمل جين السرطان البشري في المعمل كنموذج للمرض الإنساني.

في مجال الإنتاج السمكي تم عزل جينات هرمونات النمو من سمك السلمون المرقط ونقلها إلى عدد من أنواع الأسماك التجارية الأخرى

وفي مجال الإنتاج السمكي تم عزل جينات هرمونات النمو من سمك السلمون المرقط ونقلها إلى عدد من أنواع الأسماك التجارية الأخرى.

أما في مجال الصناعة فقد تم تحويل حيوي للنشا إلى منتجات سكرية، وإنتاج مكسبات طعم ورائحة، ومحسنات وعصائر فاكهة معالجة، واستخلاص الأحماض الأمينية والمواد الغذائية الأخرى والمواد الملونة والفيتامينات من الطحالب الدقيقة. كما تم استخلاص أطعمة جديدة من التخمر، وإنزيمات صناعة الجبن، ومنتجات الألبان الخالية من اللاكتوز ومهجنات الخميرة ■



نحو آلية إسلامية لدرء النزاعات

العجز عن اتخاذ موقف دولي مشترك لمواجهة الأزمات والصراعات ينذر بحياة غير آمنة للبشرية كلها



بقلم: محمود محمود النجيري

altawbah939@hotmail.com

لا شك أن النظام الدولي كله في حال أزمة، وأن الروابط التي كانت تربط أجزاء النظام العالمي في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها قد انحلت بمعدلات خطيرة، وخصوصاً في دول الجنوب النامية.

فالعلاقات بين الدول تتكسر وتتبدل بين لحظة وأخرى، وتتفاقم مشكلات الأمن الدولية والإقليمية، ويتزايد الاختلال في التوازن الاقتصادي، وتتصاعد الصراعات الفكرية والثقافية والعسكرية، وكل ذلك في إطار من العجز عن اتخاذ موقف دولي مشترك لمواجهة هذه الأزمة العالمية، مما ينذر باستمرار حياة غير آمنة للبشرية كلها.

ومما يؤسف له أن العالم الإسلامي على الرغم من الصحوة الإسلامية المتصاعدة في أرجائه - لا يخرج عن هذا الإطار، فهو يشهد واقع التجزئة والتخلف والتنابذ والفرقة والتدافع والشقاق الفكري، والتحزب السياسي، وتحول ذلك إلى تكفير أحياناً، وعنف أحياناً أخرى، بل قتل واستحلال للأموال والأعراض.

وإذا كان النظام الدولي عاجزاً عن تقديم منهج صالح لدرء النزاعات بين الدول يطبق فعلاً بنزاهة، ويحتوي الصراعات التي تتفاقم في العالم، فإن الإسلام يضع منهجاً لحل النزاعات بالعدل بين الدول بعامة والدول الإسلامية بخاصة، ومن شأن هذا المنهج إذا جليت جوانبه أن يحقق العدل، ويوفر القواعد القانونية الدولية، ويحدد آلية التنفيذ وسبيل الإصلاح وتصفية الخلافات.

الأسس الإسلامية لدرء النزاعات

يحتاج المسلمون إلى إنشاء آلية لدرء النزاعات بينهم ترتكز على الأسس التي وضعها الإسلام في هذا الجانب، وهي:

١ - عدم إثارة موضوعات خلافية بين المسلمين، حتى لا تختلف القلوب يقول الله سبحانه: (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) الأنفال:٤٦.

٢ - الرد إلى الكتاب والسنَّة عند الاختلاف لقول الله تعالى: (وإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) النساء:٥٩.

٣ - التحاكم إلى طائفة من المسلمين عادلة، وإلى أهل العلم والفضل من الأمة عند التنازع، يقول الله عز وجل: (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به، ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) النساء:٨٣.

٤ - عدم اللجوء إلى القوة واحترام رأي الآخرين، والالتزام بأدب الخلاف.

٥ - الخضوع لحكم الكتاب والسنَّة، ولما تقضي به الطائفة المحكمة وعلماء الأمة في النزاعات.

٦ - النظر إلى رأي الآخرين على أنه خطأ يحتمل الصواب، وإلى الرأي الشخصي على أنه صواب يحتمل الخطأ، وهذا في الأمور الاجتهادية، لا المقطوع بها.

٧ ـ تجنب الهوى والكبر والجدال والمماراة والتخاصم.

خصائص آلية درء النزاعات الإسلامية

يمكن تحديد خصائص آلية درء النزاعات الإسلامية فيما يلي:

١ ـ سبق النظام الإسلامي لدرء النزاعات على القانون الدولي.

٢ ـ تميزها بأحكام خاصة في القتال، فلا يباغت الطرف المعتدي بالقتال، ولكن لابد من استخدام أساليب كثيرة لمحاصرة أهل الفتنة والسيطرة عليهم وعلى فتنتهم، حتى يفيئوا إلى أمر الله تعالى وهو الصلح، وتتمثل الخطوات المتدرجة فيما يلي:

أ ـ مجادلة المفتونين وبيان وجه الحق فيما أشكل عليهم.

ب ـ التحكيم لمن يرتضونه من علماء الأمة وفضلائها.

جـ ـ اعتزالهم والتحذير من أهل البدع وبيان ضلالاتهم، وبيان فسادها على العقيدة والأمة.

هـ ـ حصارهم اقتصادياً وإعلامياً وسياسياً، وذلك لإطفاء نار فتنتهم حتى لا تنتشر، وتجفيف منابعها حتى لا تجتذب آخرين لا قدرة لهم على التمييز بين الخبيث والطيب.

هـ ـ القتال بعد الإنذار.

٣ ـ تفردها بخطوات متتابعة، تتدرج من المحاولات السلمية والفكرية، إلى القتال، ثم التسوية وتصفية النزاع، وهذا في قول الله عز اسمه: (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) الحجرات:٩.

٤ ـ هي آلية خاصة لفض النزاعات داخل الأمة الإسلامية على مستوى فردي وجماعي ودولي، وتجنب تدخل الدول الكبرى.

٥ ـ مصدرها رباني، ويدها مؤمنة رحيمة، ومقصدها إصلاحي، وغاياتها محدودة.

٦ ـ تحاصر هذه الآلية جذور البغي الفكرية والإعلامية والاقتصادية داخل النطاق الإسلامي حتى لا تتسع الفتنة، ولا تبادر إلى القتال إلا لرفع بغي مسلح، فهي تواجه الفكر بالفكر، والسلاح بالسلاح.

٧ ـ آلية أخلاقية تلتزم الأمانة والطهارة والنزاهة في عملها.

٨ ـ الأمة الواحدة التي يجمعها الإيمان هي التي تقوم بدرء النزاع برحمة وعدل وقوة كافية لدرء الفتنة والفساد.

وهذه الآلية لابد لها من تقنين يقوم به اختصاصيون حتى يكون العلاج القانوني الإسلامي جاهزاً لمواجهة الاعتداءات والنزاعات، ومن الواضح أن النزاعات التي تنشأ في العالم تنشأ



الروابط التي كانت تربط أجزاء النظام العالمي في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها قد انحلت بمعادلات خطيرة

معها محاولات علاج قانوني، ولكن القانون الدولي نراه قاصراً بالنسبة لآلية درء النزاعات الإسلامية التي جلوناها، بالإضافة إلى أن القانون لا يطبق إلا على الضعفاء، وذلك لأن السياسة الدولية بلا مبادئ وتحكمها سيادة القوة والقهر، لا الحق والعدل، وتبرر الغايات الوسائل، وتذر العصبية القومية والعنصرية قرنها الشيطاني، فالمصالح العليا للدول الكبرى هي التي تتحكم، وهي تستخدم الأمم المتحدة لتحريك الرياح في الاتجاه الذي تريد، وقد رأينا كثيراً من المشكلات الدولية يفشل النظام العالمي في حلها، وأبلغ مثال على ذلك مشكلة فلسطين، حيث تتكبر إسرائيل على كل الحلول السلمية ولا تعبأ بالقانون الدولي.

معوقات آلية درء النزاعات الإسلامية

هناك عدد من العقبات في واقعنا نراها تعوق عمل آلية درء النزاعات الإسلامية، منها:

١ ـ الاختلافات السياسية والثقافية والاقتصادية بين الدول الإسلامية، وهي دول تختلف بعداً وقرباً من الأخذ بالإسلام نفسه في تشريعاتها المختلفة، وأكثرها لا يزال يتبع قوانين وتشريعات غير إسلامية في قليل أو كثير من شؤونه المختلفة.

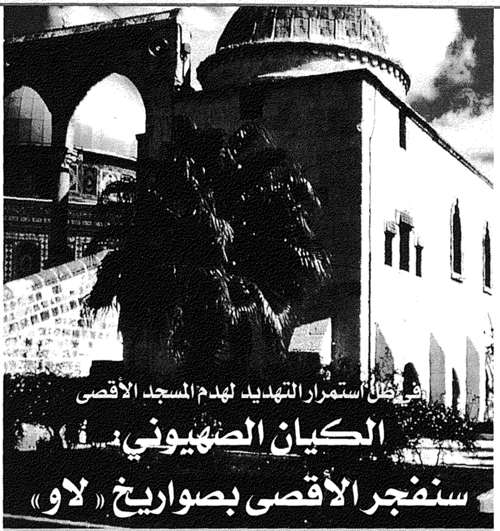
٢ ـ الضعف العسكري الذي يجعل وجود الطائفة الثالثة العادلة المحايدة القادرة على تأديب البغاة وردهم عن بغيهم بالقوة حين لا يجدي الصلح ـ أمراً مستبعداً ـ ويفتح الباب لتدخل القوى الكبرى في النزاع.

٣ ـ ضعف المؤسسات التي تجمع العالم الإسلامي الرسمية وشبه الرسمية، وعدم كفايتها لأداء كل ما هو مطلوب على الساحتين الإسلامية والدولية، مثل: منظمة المؤتمر الإسلامي، ورابطة العالم الإسلامي، والمنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم «الإيسيسكو»، والهيئة الخيرية الإسلامية العالمية.

٤ ـ تسلط مبدأ السيادة الوطنية وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول ـ على العلاقات بين الدول الإسلامية، مع حساسية شديدة في ذلك، تؤدي في كثير من الأحيان إلى التنافر السياسي.

٥ ـ ضعف التنسيق بين الدول الإسلامية على جميع الأصعدة، وخصوصاً في السياسة والاقتصاد، وغياب الرغبة المخلصة والإرادة السياسية في الاعتماد على الذات في احتواء النزاعات التي تنشأ بين المسلمين داخل البيت الإسلامي.

٦ ـ غياب سلطة إسلامية عالمية مهيمنة تحتكم إليها الدول الإسلامية عند التنازع، يكون لها نفوذها ومصداقيتها وقدرتها على التنفيذ ■



في ظل استمرار التهديد لهدم المسجد الأقصى

الكيان الصهيوني: سنفجر الأقصى بصواريخ «لاو»

مدير المسجد الأقصى: «تقدم في الاتجاه الإجرامي طرأ على مخططات الجماعات اليهودية المتطرفة»

> إذا كانت المؤسسة الإسرائيلية حريصة على سلامة الأقصى فعليها أن تخلي جميع أفراد شرطتها من المسجد

ميرفت عوف

فلسطين
خاص الوعي الإسلامي

لم تكن تصريحات ما يسمى بوزير الأمن الداخلي الإسرائيلي «تساحي هنغبي»، باحتمال تفجير المسجد الأقصى بوساطة طائرة يتحكم بها عن بعد أو باغتيال شخصية إسلامية داخله من قبل يهود متطرفين الإنذار الأول للإرهاب الصهيوني المتطرف ضد المقدسات الإسلامية.

الحديث عن جدية هذه التهديدات يُدرس على الساحة الصهيونية وهذا ما يثير القلق، وصدرت تصريحات تعتبر بالونات اختبار عن المخابرات الإسرائيلية «أنه يخشى أن ينقل ضباط متديّنون في الجيش الإسرائيلي، صواريخ من طراز «لاو» إلى جهات يهودية يمينية متطرفة، لتنفيذ مخططهم الهادف إلى نسف المسجد الأقصى، وأضافت المصادر عينها: «أن هؤلاء الضباط يواصلون سعيهم لامتلاك هذا النوع من الصواريخ لاستكمال مهمة النقل»، وأوضحت المصادر أن الهدف الأفضل لهذه الصواريخ ليس المسجد الأقصى، وإنما قبة الصخرة بسبب وضوحها، «فهذا الوضوح يسمح بتوجيه الصواريخ نحوها من جهات كثيرة».

وكان جهاز الأمن الداخلي (شين بيت) كشف في بداية الثمانينيات عن شبكة سرية ليهود متطرفين كانت تعد لاعتداء كبير ضد المسجد الأقصى لمنع إزالة المستوطنات اليهودية في شبه جزيرة سيناء.

ونعود مرة أخرى لـ«هنغبي» الذي أكد خلال مقابلة أجرتها معه القناة الإسرائيلية الثانية خلال برنامج «ملتقى الصحافة» أن هناك خطراً في استغلال المكان الأكثر حساسية والأكثر قدسية للمسلمين لتنفيذ عملية معادية أو المسّ بالموقع عينه، وذكرت أحد المصادر الفلسطينية: «لدينا إثباتات تؤكد مخاوفنا، أن هناك نيات حقيقية تنتقل إلى الصعيد التنفيذي لهدم المسجد وليس أفكار فقط».

ولم يكتف «هنغبي» بذلك بل استمر يتحدث باهتمام عن الخطر وضعف آلية الحماية للمسجد الأقصى من قبل الكيان الصهيوني باعتباره هو المسؤول عن حمايته، فقال: «الشرطة تفتقر إلى القدرات التكنولوجية اللازمة لحراسة الحرم القدسي»، وأضاف أن توافر هذه القدرات «يتطلب عشرات ملايين الشواغل التي تحتاجها الشرطة لتكون على قناعة بأن الغلاف الدفاعي حول الحرم فعال».

هناك أكثر من عشرين مجموعة من الجماعات الإسرائيلية المتطرفة تحاول وتعمل على المس بالمسجد وبالمصلين

إمكانات الهدم

في مقابلة أجرتها مؤسسة الأقصى لإعمار المقدسات الإسلامية مع مدير المسجد الأقصى الشيخ «محمد حسين»، أكد أن تحذيرات «تساحي هنغبي» عن مخططات لتفجير المسجد الأقصى حقيقية، وأضاف: «أنّ المجموعات المتطرفة - بأسمائها المختلفة - تفيد أن هناك أكثر من عشرين مجموعة من الجماعات الإسرائيلية المتطرفة التي تحاول وتعمل للمس بالمسجد وبالمصلين فيه - كجماعة - ما يسمون أنفسهم «أمناء جبل الهيكل» وهناك شخصيات كثيرة معروفة أسماؤها، ومعروفة مواقفها ومعروفة نواياها تجاه المسجد الأقصى، والمحاولات السابقة لهذه الجماعات المتطرفة، كشفت حقيقة ما وصل اليه الأمر الآن»، وأوضح الشيخ «حسين»: «لقد حاولت هذه الجماعات من قبل وقبل هذا التاريخ بسنوات أن تصل إلى المسجد الأقصى للمس به أو العبور بالأسلحة أو اقتحام المسجد الأقصى من قبل هذ المجموعات، وما حاول «جرشون سلمون» أن يفعله في العام ١٩٩٠ هو والجماعات المتطرفة ودخولها إلى المسجد ليضع حجر الهيكل الثالث - كما يزعمون - وعلى أثرها حدثت مواجهات ومجزرة في ساحة المسجد المبارك، وكان حصيلتها أن استشهد عشرون فلسطينياً داخل المسجد، ما عدا من استشهد في الخارج، وكانت هناك تداعيات كثيرة لمثل هذا الحدث.

وأكد الشيخ «حسين» أن تحذيرات «هنغبي» الأخيرة تعطي مؤشرات واضحة بأن هؤلاء ينوون المس بالمقدسات، وقال: إن وصول الأمر إلى هذه الخطورة دعت وزير الأمن الداخلي، وهو الجهة المسؤولة عن الأمن، أن يحذر من الخطر، هل يحذر الحكومة؟، هل يحذر الشعب الإسرائيلي؟! هل يحذر الفلسطينيين؟!، هل يحذر العالم الإسلامي؟! وبالتالي ما دام قد وصل إلى قناعات ولديه من المعلومات الاستخباراتية ما يكفي وهو يقول: «القضية ليست أفكاراً، بل هي قفزة إلى مراحل التنفيذ، إذن عليه أن يلاحق هذه الجماعات وعليه أن يتخذ من الإجراءات ما يكفل الأمن ليس للمسجد الأقصى فقط، بل للمسجد وللمصلين في المسجد ولممتلكات المواطنين وأرواح المواطنين لأنه يعتبر بموجب القانون الدولي هو المسؤول عن الأمن، وهو المسؤول عن حماية هذه الممتلكات وهذه المقدسات، فمن هنا تأتي الخطورة من طرف الجماعات المتطرفة التي كشف عنها وحذر من مخططاتها، كون وزير الأمن الداخلي جهة أمنية مسؤولة يحذر من مثل هذا، مما يعني أن تقدما بالاتجاه الإجرامي طرأ على مخططات هؤلاء الجماعات اليهودية المتطرفة.

مؤسسة الأقصى

تعقيبا على الأحداث السابقة أصدرت مؤسسة الأقصى وهي أولى المؤسسات المعنية بشؤون المسجد بياناً في ٢٠٠٤/٨/٤م، عددت فيه المؤسسة الاعتداءات والإجراءات الاحتلالية الإسرائيلية التي قامت بها هذه الجماعات أخيراً، كما أكدت على أن سلسلة الاعتداءات والإجراءات التي تقوم بها الشرطة الإسرائيلية على مصلى ورواد المسجد في محاولة منها لزرع الخوف والترهيب في قلوب المسلمين لإبعادهم عن المسجد الأقصى، لن تزيد مسلمي الداخل الفلسطيني وأهل القدس الشريف والقرى المجاورة إلا تعلقا وحباً للمسجد الأقصى المبارك، وأن كل هذه الإجراءات التعسفية التي تقوم بها السلطة الصهيونية مكشوفة ومعروفة الهدف.

وقالت المؤسسة: «إذا كانت المؤسسة الإسرائيلية وشرطتها حريصة على سلامة المسجد الأقصى - كما تدّعي - وفي الوقت عينه عاجزة عن حمايته كما تعترف بلسانها، فعليها أن تخلي جميع افراد شرطتها من المسجد وأن



محاولات صهيونية دؤوبة لمنع دفن الموتى المسلمين في مقابرهم في القدس

تدع حماية المسجد لأهله ولسدنته ولحراسه من مديرية الحراسة التابعة لدائرة الأوقاف الإسلامية.

تحركات مشبوهة في الأقصى

البيان السابق لمؤسسة الأقصى أكد وجود إجراءات تقوم بها قوات الاحتلال الإسرائيلية وأفراد ما يسمى(حرس الحدود) تستهدف نشر قوات كبيرة من أفرادها داخل المسجد الأقصى المبارك وحوله، وذلك بحجّة حمايته من المتطرّفين اليهود الذين يهددون باقتحامه وتدميره.

وقالت المؤسسة: إنها محاولة للتظاهر بحماية الأقصى، وشككت في أن قوات الاحتلال الإسرائيلي زادت من عناصرها في مدينة القدس لوقف عملية التصعيد والتهديدات المحتملة ضد المسجد، يشار إلى أن الشرطة الإسرائيلية لو أرادت فعلاً منع هؤلاء المتطرفين لفعلت ذلك خارج أسوار المسجد. ولكن لا توجد نيّة لدى سلطات الاحتلال الإسرائيلية التي توفر الدعم والمساندة والحماية لأفراد اليمين المتطرف لحماية المسجد الأقصى، لذلك كثفت دائرة الأوقاف الإسلامية من حضور حراسها في محيط وداخل المسجد تحسبًا لأي طارئ، فيما دعت مؤسسة الأقصى مسلمي الداخل وأهل القدس إلى تأدية جميع الصلوات الخمس في المسجد.

التكبير ممنوع

وقالت مؤسسة الأقصى: إن ثاني الإجراءات التعسفية التي تقوم بها الشرطة الإسرائيلية داخل المسجد أنها تمنع المرشدين والأطفال المشاركين في المخيمات الصيفية الذين يفدون يومياً إلى المسجد الأقصى من ترديد التكبيرات داخل ساحات المسجد، كما تمنعهم من ترديد الشعارات «بالدم بالروح نفديك يا أقصى» أو تمنعهم من إلقاء النشيد أو الشعر المتعلق بالمسجد الأقصى، حيث تقوم الشرطة الإسرائيلية المنتشرة على أبواب المسجد بالتنبيه على مرشدي المخيمات، أن عليهم الامتناع عن التكبيرات وترديد الشعارات وتهددهم إن قاموا بذلك باعتقالهم ومنعهم من دخول الأقصى أو مصادرة بطاقاتهم الشخصية. ومؤسسة الأقصى شاهدة على أكثر من مشهد من هذا القبيل، إذ توجه شرطيان إسرائيليان إلى إحدى المجموعات من الطالبات كن يرددن التكبيرات قريباً من المصلى المرواني، وطلبا من مرشدات المجموعة التوقف فوراً عن التكبير والنشيد وترديد الشعارات، ولمّا أصرت الطالبات على التكبير هدد الشرطيان المرشدات بمصادرة بطاقاتهم الشخصية عندها تدخل أحد الموجودين في المكان قائلاً للشرطي: «إذا كانت هناك أي ادعاءات فعليك أن تتوجه إلى دائرة الأوقاف ولا يحق لك أن تمنع أحداً من المسلمين من التكبير». فرد الشرطي الإسرائيلي: «نحن الشرطة الإسرائيلية أصحاب القرار في الحرم والأوقاف لا دخل لها في ذلك» مما حدى بالطالبات فعلاً أن يتوقفن عن التكبير وترديد الشعارات إلا أنهن بعد ما غادرت الشرطة الإسرائيلية المكان عاودن التكبير وترديد الشعارات وإلقاء الشعر والنشيد الإسلامي.

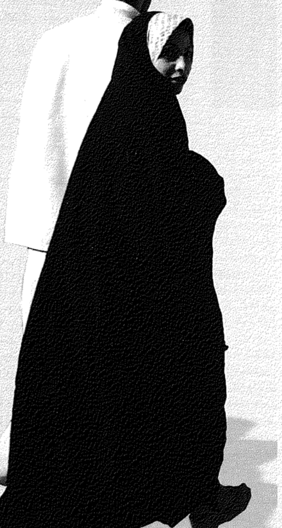
إعاقة دفن الموتى

ولم تكن عملية إعاقة دفن الموتى المقدسيين في مقابرهم أخيراً هي الأولى من نوعها، حيث دأبت قوات الاحتلال على ذلك، وهذا ما أكدته مؤسسة الأقصى التي ذكرت أن موظفين تابعين لسلطة البيئة والحدائق العامة الإسرائيلية حاولت منع دفن أحد الأموات في مقبرة الرحمة المجاورة للمسجد الأقصى بحجة أن هذه الأرض تابعة لسلطة الحدائق العامة ولا يجوز قانوناً دفن الأموات فيها، وحصلت مشادات كلامية بين المشيعين وبين الشرطة الإسرائيلية، وبعد تدخل من جهات مرموقة في مدينة القدس تم دفنه في المقبرة بعد تأخير استمر أكثر من ساعة.

ويذكر أن هناك محاولات دؤوبة لمنع دفن الموتى المسلمين في مقابرهم، ومنها ما تقدم به اليهودي «أريي كينغ» وهو يسكن قريباً من المسجد، باستئناف ما يسمى «المحكمة العليا الإسرائيلية» طلب فيه منع دفن أموات المسلمين في المقابر المجاورة للمسجد الأقصى، مدعياً أن هذا الدفن غير قانوني وأنه تجرى في المكان أعمال توسيع للمقبرة الإسلامية القديمة ■

نظرة جديدة في مقاصد الشريعة الإسلامية

مكانة «العرض» في المقاصد الشرعية



تنحصر مقاصد الشريعة الإسلامية في تحقيق مصالح الخلق العاجلة والآجلة ودفع الضرر عنهم، وذلك بكفالة ضرورياتهم، وتوافر حاجاتهم وتحسينياتهم.

وقد نظر علماؤنا الأقدمون في الأحكام الشرعية نظرة استقراء، وتأملوا عللها وحكمها التشريعية فوجدوها قررت مبادئ عامة وأصولاً كلية استنبطوا منها مقاصد الشريعة.

وتعتبر مقاصد الشريعة من أهم الوسائل في استنباط الحكم الشرعي، ولا نبالغ إذا قلنا: إن المقاصد الشرعية أهم ما ينبغي معرفته ومراعاته عند عملية الاجتهاد التنزيلي؛ ذلك أن كل الأصول الفقهية - ما عدا الكتاب والسنة - مختلف فيها، فإذا ذهب الفقيه في عملية التنزيل إلى حكم من الأحكام عن طريق أصل من الأصول المختلف فيها ربما لا يسلمها له غيره ممن يخالفه في الأصل المعتمد عليه للتوصل إلى هذا الحكم، أما المقاصد فلا يختلف فيها أحد، فمن المستبعد أن يختلف أحد في حرمة دم المسلم ونفسه وماله وغير ذلك من مقاصد؛ ولهذا فإن الاعتماد على مقاصد الشريعة يؤدي بشكل كبير إلى عصمة المجتهد من الزلل؛ فضلاً عن أنه يؤدي إلى حكم يسلم له به الجمهور الأعظم.

وقد قسم علماء الأصول مقاصد الشريعة - من خلال استقراء الأحكام الشرعية الكلية والجزئية - إلى ثلاثة أقسام، هي: الضروريات، والحاجيات والتحسينيات.

فعرَّفوا الضرورة بأنها ما تقوم عليه حياة الناس ولابد منه لاستقامة مصالحهم، وإذا فُقد اختل نظام الحياة، ولم تستقم مصالحهم، وعمت فيهم الفوضى والمفاسد.

وعرفوا الحاجات بأنها ما يحتاج إليه الناس لليسر والسعة، واحتمال مشاق التكليف وأعباء الحياة، وإذا فقدوها لا تتعرض حياتهم للخطر ولا للفوضى، إنما يقعون في الضيق والحرج، فهي

> «المقاصد الشرعية أهم ما ينبغي معرفته ومراعاته عملية الاجتهاد التنزيلي»



بقلم: وصفي عاشور أبو زيد

باحث في العلوم الشرعية - كلية دار العلوم بالقاهرة.

أمور ترفع عنهم الحرج وتخفف عنهم ليتحملوا مشاق التكليف.

أما التحسينيات فقد عرفوها بأنها ما تقتضيه المروءة والفطر السليمة والطباع المستقيمة والأذواق الرفيعة؛ حتى تسير الأمور على أقوم السبل، وإذا فقدوها لا يقعون في ضيق أو حرج، إنما تكون حياتهم مستنكرة في تقدير العقول الراجحة والفطر المستقيمة.

وقسَّم أهل المقاصد الضروريات إلى خمسة أشياء أطلقوا عليها اسم «الكليات الخمس»، هي حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ النسل، وحفظ المال، وأحياناً يكون النسل مرادفاً للعرض عند كثير من الأصوليين.

وأول من أشار إلى هذا التقسيم. أعني التقسيم الثلاثي وتقسيم الضروريات إلى كلياتها الخمس. هو أبو المعالي إمام الحرمين «الجويني»، كما يعلم أهل هذا الشأن(١).

ومما لا ريب فيه أن ريادة أي عالم أو أصالة أي باحث تتجلى في عدم سبقه لما قال، وترديد من يجيء بعده لما قاله، وهذا ما حدث مع الإمام «الجويني» تماماً، فقد ردد «الغزالي» ما قاله «الجويني»، وكذلك «الرازي والآمدي والعز بن عبدالسلام وابن تيمية» وغيرهم.

حتى هيأ الله لهذا العلم الإمام «الشاطبي»، فقفز به قفزة هائلة في كتابه الفريد «الموافقات» فاعتبر بحق «أبو المقاصد» الذي له منها القدح المعلى، وإليه فيها المنتهى.

ثم يظهر على خط الذاكرة الإمام «محمد الطاهر ابن عاشور» في كتابه «مقاصد الشريعة الإسلامية» الذي أضاف فيه إلى علم المقاصد إضافات مهمة.

ثم أتت بعد ذلك دراسات المتخصصين المعاصرين، والأطاريح الجامعية للدارسين التي تسعى إلى سد الفجوة الكبيرة في هذا العلم الجليل.

والمسألة التي أتحدث فيها هنا هي «العرض»، ولست أعني به «النسل» أو «النسب» كما يستخدمه كثير من أهل المقاصد، إنما أعني به ما يتصل بسمعة المسلم ويدور حول ما يسمي بـ «الشرف»، هل هو من مقاصد الشريعة؟ وإذا كان من مقاصدها ففي أي الثلاثة يقع، هل هو «ضروري أم حاجي أم تحسيني»؟.

ولا شك أن حفظ العرض يعتبر من المقاصد الشرعية المقررة عموما، فالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تعرضت للأمر بحفظه، والنهي عن كل ما يؤدي إلى الإساءة لسمعة المسلم، وإشاعة الفاحشة في المجتمع، وتتبع عورة المؤمن. أكثر من أن تحصى، وأشهر من أن تذكر، لكن القضية أن المقاصديين اختلفوا في كون حفظ العرض من الضروريات أم لا؟.

وفيما يلي أورد آراء المؤيدين وآراء المعارضين، وذلك للأمانة العلمية ثم أعقب بعد ذلك متحرياً الحياد والموضوعية، تاركاً المسألة إلى حيث تسير بها الأدلة والبراهين.

أولاً: رأي المؤيدين

يعد «تاج الدين السبكي» ممن أثبتوا العرض ككلية سادسة في الضروريات يقول. يرحمه الله: «والضروري: حفظ الدين فالنفس فالعقل فالنسب فالمال والعرض»(٢).

ويشرح شيخ الإسلام «أبويحيى زكريا الأنصاري» كل واحدة فيقول عند العرض: «أي حفظه المشروع له عقوبة القذف والسب، وهذا زاده الأصل (هكذا) كـ«الطوفي» على الخمس السابقة المسماة بالمقاصد والكليات التي قالوا فيها: إنها لم تبح في ملة من الملل. وعطفي للعرض بالفاء أولى من عطف «الطوفي» له بالواو...»(٣).

ومن هذا النص يتضح أن «الطوفي» ممن أيدوا ذلك إلا أنه. كما يقول «أبويحيى». عطف بالواو بدلاً من الفاء، وقد عطفها «أبويحيى الأنصاري» بالفاء عمدا وهو يشرح، أما «السبكي» في «جمع الجوامع» فقد عطفها بالواو، وقال الشارح: «وهذا. يعنى العرض. زاده المصنف كـ«الطوفي»، وعطفه بالواو إشارة إلى أنه في رتبة المال، وعطف كلاً من الأربعة قبله بالفاء لإفادة أنه دون ما قبله في الرتبة»(٤).

وذكرها قبل «الطوفي» الإمام القرافي يحكيها عمن قبله فيقول: «.... الكليات الخمس وهي: حفظ النفوس والأديان والأنساب والعقول والأموال، وقيل الأعراض»(٥).

وكما هو واضح من هذه النقول أنهم لم يعتمدوا على برهان ولا حجة، ولم يفصلوا في القول ويعرضوا لما يقرره، إنما اكتفوا بذكر المسألة فقط، مع الإيحاء بالتشكيك أحيانا وعدم الرضا، كما في قول «القرافي والسبكي».



رأي المعارضين

الجمهور الأعظم من «المقاصديين» على عدم ذكر العرض من الضروريات؛ فلم يذكره «الغزالي»، ولا إمام الحرمين، ولا «الشاطبي، ولا الآمدي، ولا ابن عاشور»، ولا غير من ذكرنا من المؤيدين(٦).

بل إننا نرى الإمام «ابن عاشور» يعارض ذلك، وينفي أن يكون العرض كلية سادسة للضروريات، يقول: «وأما حفظ العرض في الضرورة فليس بصحيح، والصواب أنه من قبيل الحاجي، وأن الذي حمل بعض العلماء مثل «تاج الدين السبكي» في جمع الجوامع على عَدِّه في الضروريات هو ما رآه من ورود حد القذف في الشريعة، ونحن لا نلتزم الملازمة بين الضروري وبين ما في تفويته حد؛ ولذلك لم يعده «الغزالي» و«ابن الحاجب»ضرورياً»(٧).

وقال أحد الدارسين(٨): «والحقيقة أن جعل العرض ضرورة سادسة إنما هو نزوله بمفهوم هذه الضروريات... وهل صون الأعراض إلا خادم لحفظ النسل»(٩).

هذا تقريبا كل ما قيل في هذه المسألة، ولا شك أن الناظر في الرأيين يجد الرأي المعارض مدعوماً بالأدلة شيئا ما، بخلاف رأي المؤيدين فلم يذكروا دليلاً ولا برهاناً.

مناقشة وترجيح

يقرر الإمام الجليل «محمد الطاهر بن

الله سبحانه وتعالى لا يحد حدا لجريمة أو معصية ما إلا إذا بلغت مبلغا خطيرا

عاشور» أن الذي حمل بعض العلماء مثل: «تاج الدين السبكي» على القول باعتبار العرض من الضروريات هو وجود الحد، ثم ينفي أن يكون الحد هو ما نعول عليه في اعتبار الشيء ضروري.

ونقول: إذا لم نعتمد الحدود ونعول عليها في اعتبار أمر ما ضرورياً أم غير ضروري، فعلى أي شيء نعتمد، وإلى أي شيء نرجع؟!!

إن الله - هو العليم - لا يحد حداً لجريمة أو معصية ما إلا إذا بلغت من الخطورة والمكانة مبلغا بحيث لا تقل - بحال من الأحوال - عن أن تكون شيئاً ضرورياً، والذي يتأمل نصوص القرآن والسنة يجد ذلك واضحاً.

فقد شرع الله حد الردة للمحافظة على الدين، وشرع حد القصاص للمحافظة على النفس، وشرع حد الخمر للمحافظة على العقل، وشرع حد الزنا للمحافظة على النسل، وشرع حد السرقة للمحافظة على المال، وشرع حد القذف للمحافظة على العرض.

يقول تعالى في حد القذف: (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون. إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم. والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين. والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين. ويدرء عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين. والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين) النور: ٤ - ٩.

وهذه هي الأمور الضرورية شرع الله لها الحدود فإن اختلت صارت الحياة مضطربة أو شبيهة بغابة تموج بالأنعام إن لم تنعدم، فلا تتحقق الإنسانية إلا بهذه الأمور، ولا تكتمل كرامة الإنسان إلا بالمحافظة عليها، وإلا تفتقد الإنسانية في الحياة كل معنى كريم.

ويعترض الدكتور «الريسوني»، وحجته في ذلك أن العرض ليس إلا مكملاً لحفظ النسل وخادماً له.

والحق أن هذا ليس بوجه اعتراض؛ لأن المقاصد الشرعية التي قررها الأصوليون كل منها مكمل للآخر وخادم له، ففي الضرورات مثلا نجد المال خادما للنسل والنفس، والنسل خادما للنفس، وكل ذلك خادما للدين، وأما الحاجات فهي خادمة للضرورات، والتحسينيات خادمة للحاجات، وهكذا فكل مرتبة منها تخدم الأخرى وتكملها.

وكيف يكون العرض من الحاجات، وتزهق الأنفس والأموال دونه، كما يقرر ذلك الإمام «الشوكاني» - بحق - حيث يقول بعد ذكر الكليات الخمس: «وقد زاد بعض المتأخرين سادسا، وهو حفظ الأعراض، فإن عادة العقلاء بذل نفوسهم، وأموالهم دون أعراضهم، وما فدي بالضروري فهو بالضرورة أولى، وقد شرع في الجناية عليه بالقذف الحد، وهو أحق بالحفظ من غيره، فإن الإنسان قد يتجاوز عمن جنى على نفسه، ولا يتجاوز عمن جنى على عرضه، ولهذا يقول قائلهم:

تهون علينا أن تصاب جسومنا
وتسلم أعراض لنا وعقول»(١٠).

والعرض في اللغة هو: «ما يمدح به ويذم من الإنسان، سواء كان في نفسه، أو سلفه أو من يلزمه أمره»(١١) أي أنه بتعبيرنا المعاصر: الكرامة والسمعة.

وينبغي أن نفرّق هنا - حتى لا تختلط الأمور - بين العرض والنسل، أو بين حد القذف، وحد الزنا، فحد القذف إنما هو جزاء لإشاعة الفاحشة بين المؤمنين قولاً، أما حد الزنا فهو جزاء لمن قام بهذه الجريمة فعلاً؛ وإلا لما جعل الله لكل واحد حداً خاصا به، وهذا المعنى ينبغي أن يقرر حتى لا يقول قائل بتداخلهما، أو يخلط بينهما.

وليت شعري إذا ضاعت كرامة الإنسان وساءت سمعته في المجتمع الذي يحيا فيه، كم تكون قيمته؟!

فلا يتصور أن يحيا الإنسان حياة كريمة - كما أراد الله لنا وطلب منا - في مجتمع اعتدي فيه على عرضه بالقذف، وساءت فيه سمعته بالكلام. إن الله - تعالى - عندما خلقنا جعلنا على أحسن صورة: (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) التين:٤.

وعند الجزاء يوم القيامة يجازينا بأحسن ما كنا نعمل: (ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله) النور: ٣٨.

وأمرنا أن نقول الأحسن: (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن) الإسراء: ٥٣.

وحثنا على اتباع أحسن القول، بل مدح من يفعل ذلك، وبشرهم، ونوه بهم بإضافتهم إليه سبحانه: (فبشر عباد. الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) الزمر:١٧ - ١٨.

ولما كتب الله لموسى في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء قال له: (فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها) الأعراف: ١٤٥.

كما أن الجدال لا يكون إلا بالتي هي أحسن: (........ وجادلهم بالتي هي أحسن) النحل: ١٢٥.

وكذلك المعاملة بين الناس: (ادفع بالتي هي أحسن السيئة) المؤمنون: ٩٦.

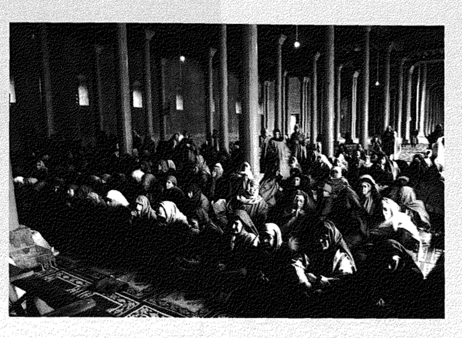
والتصرف في مال اليتيم، بل القرب منه: (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن) الأنعام: ١٥٢، والإسراء: ٣٤.

حتى رد التحية: (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) النساء: ٨٦.

بل خلق الله الموت والحياة جميعا لذلك فقال: (الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً). الملك:٢.

فهل يرضى الله منا - بعد أن قرر «الأحسنية» في كل شيء - إلا أن نعمل أحسن العمل، ونقول أفضل القول، ونحيا أكرم حياة؟!

لقد قال الإمام «ابن عاشور» في الكتاب نفسه الذي نفى فيه كون حماية العرض ضرورة، بعد أن قال إن الضروريات لا يستقيم النظام بإخلالها وتؤول حال الأمة إلى فساد وتلاش قال: «ولست أعني باختلال نظام الأمة هلاكها واضمحلالها؛ لأن هذا قد سلمت منه أعرق الأمم في الوثنية والهمجية، ولكني أعني به أن تصير أحوال الأمة شبيهة



بأحوال الأنعام بحيث لا تكون على الحال التي أرادها الشارع منها»(١٢).

ولعل الذي جعل العرض يدور حوله هذا الخلاف هو عدم تحديد معناه، فتحديد المعنى يتوقف عليه هذا الحكم؛ إذ كيف نحكم على شيء غير محدد المعنى؟

من أجل ذلك يجب تحديد معنى العرض، وهو ما نقلناه في التعريف اللغوي السابق حيث السمعة والكرامة: وقد تتصل السمعة بالاتهام بالزنا، وقد تصل إلى إشاعة صفات سيئة في الإنسان.

فأما أن وصل الاعتداء عليه - أي العرض - بالقذف بالزنا فعندئذ يعتبر من الضروريات، بل لعله - في هذه الحال - يقدم على المال والنفس؛ لأن النفس تذهب دون ذلك، وهذا ما كان يعنيه الإمام «الشوكاني» فيما نقلناه عنه آنفا، وهذا ما نزل فيه حد القذف، ونزلت فيه عشر آيات كاملة في شأن السيدة عائشة - رضي الله عنها - فيما عرف باسم «حادث الإفك» وأكثر من عشر آيات في توابع الحادث ومكملاته.

ومما يقوي اليقين في اعتبار حماية العرض ضرورة بهذا المعنى أن الله توعد الذي تولى كبر هذا الحادث وترويجه بعذاب عظيم (والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم) النور: ١١.

وقرر الله عظم هذا الذنب حين قال: (وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم) النور:١٥.

وتوعد الذين يحبون شيوع الفاحشة في المؤمنين بإطلاق(١٣) فقال: (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة) النور: ١٩.

بل إننا نرى الله يلعنهم - واللعن هو الطرد من رحمة الله - ويتوعدهم بالعذاب العظيم (إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم. يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون. يومئذ يوفيهم الله دينهُمُ الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين) النور: ٢٣ - ٢٥.

ولا يكون التوعد بالعذاب الأليم أو العظيم، ولا يكون الطرد من رحمة الله إلا لأمر جلل، وخطب جسيم، أقل شيء يوصف به أنه كبيرة من الكبائر.

ولا ريب أن المجتمع في هذه الحال يسوده نوع من الشك والاضطراب، ويكتنفه شعور

الجمهور الأعظم من «المقاصديين» رأى عدم ذكر العرض من الضرورات

بالحزن والقلق، مما يدني به إلى حياة لا توصف بأنها حيوانية، فضلا عن أن تكون حياة إنسانية كريمة.

ولنستمع إلى الأستاذ «سيد قطب» - يرحمه الله - وهو يصف أحوال المجتمع، ويصور ما وصل إليه من حزن وقلق، يقول: «هذا الحادث - أي حادث الإفك - قد كلف أطهر النفوس في تاريخ البشرية كلها آلاماً لا تطاق، وكلف الأمة المسلمة كلها تجربة من أشق التجارب في تاريخها الطويل، وعلق قلب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقلب زوجه عائشة التي يحبها، وقلب أبي بكر الصديق، وزوجه، وقلب صفوان ابن المعطل - شهراً كاملا(١٤) - علقها بحبال الشك والقلق والألم الذي لا يطاق.

وعاش المسلمون جميعا شهرهم كله في مثل هذا الجو الخانق، وفي ظل تلك الآلام الهائلة.. والرسول محمد صلى الله عليه وسلم الإنسان يعاني ما يعانيه الانسان، في هذا الموقف الأليم، يعاني من العار، ويعاني فجيعة القلب، ويعاني فوق ذلك الوحشة

مقاصد الشريعة من أهم الوسائل في استنباط الحكم الشرعي

المؤرقة، الوحشة من نور الله الذي اعتاد أن ينير له الطريق»(١٥).

ولعلنا نلحظ عتاب الله للمؤمنين في طريقة الصياغة القرآنية في قوله تعالى: (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين) النور: ١٢، فالسياق يقتضي: لولا إذ سمعتموه ظننتم....)، فهذا - كما يسميه البلاغيون - أسلوب التفات، وهو يخدم الغرض المراد، وهو أن الله أراد أن يشعرهم بأنهم - حين تلقفت ألسنتهم هذا الحديث الذي آذى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبا بكر وعائشة، ولم يبادروا إلى نفيه أو تكذيب قائليه ومروجيه - قد تنكبوا - وهم المؤمنون - الصراط السوي والنهج الأمثل الذي تقتضيه صفة الإيمان.

وفي هذه الحال أيضاً - أعني حال القذف بالزنا - نستطيع أن نفهم قول النبي - صلى الله عليه وسلم: «لا تحاسدوا ولا تناجشوا... كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»(١٦). فقرن النبي بين العرض والمال.

وهناك رواية أخرى للحديث يتقدم العرض فيها على الدم: «كل المسلم على المسلم حرام ماله وعرضه ودمه...»(١٧).

بل إننا نجد رواية ثالثة يقدم العرض فيها على الدم والمال: «المسلم أخو المسلم لا يخونه، ولا يكذبه، ولا يخذله، كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه»(١٨).

فليس من المعقول أن يقرن النبي ـ وقد أوتي جوامع الكلم ـ بين شيئين أحدهما حاجي، والآخر ضروري، أو يقدم الحاجي على الضروري!

بهذا يتبين أن حفظ العرض بهذا المعنى إنما هو من الضرورات «الست»، إن لم يل الدين ويسبق النفس.

وإذا أضيف إلى ذلك تقرير النبي هلاك من وقع في عرض أخيه، ووقوعه في الحرج تأكد المعنى، واتضحت ضرورة حفظ العرض، يقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «يا عباد الله! وضع الله الحرج إلا من اقترض عرض امرئ مسلم ظلما، فذلك الذي حرج وهلك»(١٩).

أما إن كان معنى العرض متصلا بصفات لإنسان معينة، وهو ما يتعلق بالسخرية والغيبة والنميمة إلخ... فهذا أمر لا ينهض أن يلحق بالضروريات، إنما هو من قبيل الحاجي؛ لأنه لا تزهق دونه نفس ولا مال، فحين يقال مثلا فلان يمشي بين الناس بالنميمة، أو فلان بخيل أو فلان حسود أو حاقد إلخ... لا يترتب عليه ما يترتب على العرض بالمعنى الأول. ومع ذلك فقد شدد الله في هذا كله، وأغلظ النكير على فاعليه،



حادث الإفك كلف الأمة المسلمة كلها تجربة من أشق التجارب في تاريخها الطويل

حتى تتحقق المثالية والكمال المنشود للمجتمع المسلم، فيحيا نقياً طاهراً من القلق والشك والاضطراب، متمتعاً بأكرم المعاني الإيمانية، وأنبل المشاعر الإنسانية.

ومن ذلك ما ورد في سورة الحجرات يقول ـ تعالى: (يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون. يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم) الحجرات: ١١ ـ ١٢. فلا يخفى النكير بالتنفير الذي يطالعنا في هذا التشبيه المقزز، تشبيه من يغتاب أخاه بمن يأكل لحمه ميتاً. ويدخل في هذا المعنى الآيات التي تلت حادث الإفك، وهي بمثابة المكملات للعرض؛ ولذلك ثنى الله به، من آداب دخول للبيوت، وغض للبصر، وغير ذلك(٢٠).

والحق أن هذه المسألة لا تزال في حاجة إلى كلمة المتخصصين الراسخين من أهل الأصول والمقاصد؛ حتى تترسخ وتتقرر، ولأنها ليست واضحة في تراثنا الأصولي المقاصدي، فلم أر أحداً من علمائنا ـ حسب اطلاعي ـ حسمه بكلام أكيد أو تحقيق مبين هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لم أجد عند من أثبتوا العرض أدلة تقوم على ساق أو تنتهض لأن تضع العرض في الحاجيات بله الضروريات، فالقرافي يقول: «وقيل الأعراض» وهي عبارة ـ بصيغتها للمجهول ـ تثير الشك والارتياب، وتاج الدين السبكي يجعل العرض معطوفا بالواو بعد أن عطف باقي الكليات بالفاء مما يشي بالضعف وعدم الاعتبار ونفي الانفرادية والاستقلالية، مع قيام آيات هائلة في القرآن الكريم وأحاديث نبوية تشير إلى هذا الأمر وتؤكده ■

•• الهوامش ••

١ ـ انظر البرهان للجويني: ٢/٩٠١ ـ ٩٥٢، بتحقيق د.عبدالعظيم الديب، دار الوفاء، ط. ثانية، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م. راجع: نظرية المقاصد عند الشاطبي: ٣٨ ـ ٤١، د.أحمد الريسوني، طبع المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط.ثانية، ١٤٠١م.

٢ ـ جمع الجوامع بحاشية البناني: ٢/٢٨٠، طبع الحلبي، الطبعة الثانية، ١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٧م.

٣ ـ غاية الوصول شرح لب الأصول: ١٢٤، لأبي يحيى زكريا الأنصاري، طبع الحلبي، من دون تاريخ.

٤ ـ جمع الجوام بحاشية البناني: ٢/٢٨٠.

٥ ـ شرح تنقيح الفصول للقرافي: ٣٩١، تحقيق د. طه عبدالرؤوف سعد، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

٦ ـ يستثنى من ذلك الإمام الشوكاني: فله كلام يؤيد به العرض سيأتي ذكره.

٧ ـ مقاصد الشريعة: ٨٢، تونس، طبع الشركة التونسية للتوزيع، من دون تاريخ.

٨ ـ هو الدكتور أحمد الريسوني.

٩ ـ نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي: ٥١.

١٠ ـ إرشاد الفحول: ٢/٦٢٩، بتحقيق د.شعبان إسماعيل، طبع دار السلام، القاهرة، ط أولى: ١٤١٨هـ، والبيت للمتنبي، وقال السموءل بن عاديا ـ وهو اليهودي:

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه
فكل رداء يرتديه جميل

١١ ـ المعجم الوسيط ٢/٧١٦، مجمع اللغة العربية، ط.ثالثة، من دون تاريخ.

١٢ ـ مقاصد الشريعة: ٧٩.

١٣ ـ إنما قلت بإطلاق حتى لا يقول قائل: إن الكلام خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا يتعدى غيره، وهذا كلام باطل لأن دلالات الآية لا تتحمل ذلك، وقد يعترض أيضاً على توعد من روَّج الحادث أو عظَّم الذنب عند الله بقول: إن ذلك متعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم، ولولا ذلك ما حدث هذا التوعد ولا ذلك التعظيم، وهذا أيضاً كلام باطل من وجهين، الأول: أن الله رتب على الحادث أحكاماً بألفاظ عامة للمؤمنين، والثاني أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

١٤ ـ وذلك أن الوحي انقطع عن الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الشهر.

١٥ ـ في ظلال القرآن: ٤/٢٤٨٥ ـ ١٤٩٩، دار الشروق.

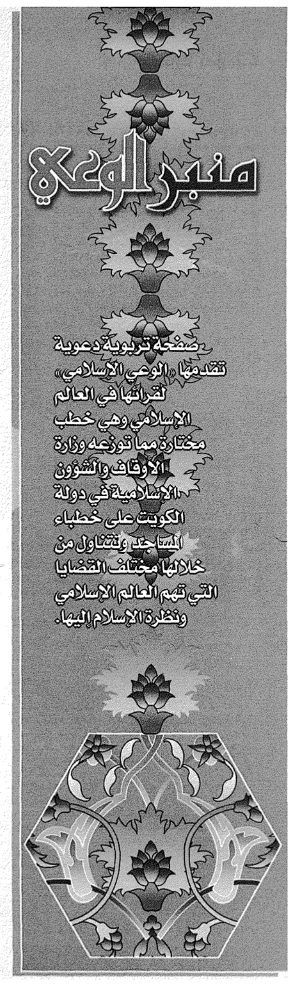
١٦ ـ رواه مسلم وأحمد عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع الصغير للألباني: ٧٢٤٢.

١٧ ـ رواه الترمذي، عن أبي هريرة، راجع جامع العلوم والحكم لابن رجب من ٤٠٨، ٤٠٩، تحقيق الدكتور محمد بكر إسماعيل، دار إحياء الكتب العربية.

١٨ ـ رواه أحمد ومسلم عن أبي هريرة، كما في صحيح الجامع الصغير للألباني: ٧٢٤٢.

١٩ ـ رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم عن أسامة بن شريك، كما في صحيح الجامع ٧٨١٢.

٢٠ ـ انظر: سورة النور: ٢٨ ـ ٣١.



وسطية الإسلام

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) آل عمران:١٠٢، (يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً) النساء:١، (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً. يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً) الأحزاب: ٧٠، ٧١.

أما بعد

فيأيها المسلمون:

إن الله سبحانه وتعالى قد أنعم علينا بنعمه الغامرة الظاهرة والباطنة (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار) إبراهيم:٣٤، وإن من أجلّ نعم الله علينا، نعمة الإسلام، وأن جعلنا من أمة سيد الأنام، عليه الصلاة والسلام، فجعلنا خير أمة، تبعاً لخير نبي، قال جل ذكره: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) آل عمران:١١٠.

وهذه الخيرية ليست لكل أحد، وإنما لمن اتصف بتلك النعوت التي وصفت بها أمة الإسلام، فمن حقق تلك الصفات كان من أهل الخيرات فليحمد الله ويشكره على هذه النعمة، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه.

عباد الله:

إن من أخص خصائص أمة الإسلام: الوسطية، قال الله عز وجل: (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) البقرة:١٤٣.

ولقد عُني علماء المسلمين قديماً وحديثاً ببيان تلك الوسطية، الواردة في الآية الكريمة من سورة البقرة، فوجدناها عندهم لا تخرج عن معنيين شهيرين، أولهما: وسطاً أي خياراً عدولاً، ومنه قوله تعالى: (قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبّحون) القلم:٢٨.

وقول الشاعر:

هم وسط ترضى الأنام بحكمهم
إذا نزلت إحدى الليالي بمعظم

وقول الراجز:

لا تذهبن في الأمور مفرطاً
لا تسألن إن سألت شططاً
وكن من الناس جميعاً وسطاً

وهو قول جمهور المفسرين ورجّحه الإمامان الحافظان: ابن جرير وابن كثير، يرحمهما الله.

أما المعنى الثاني: فهو أنهم وسط بين طرفي الإفراط والتفريط، جاء هذا في سياق الامتنان على هذه الأمة الإسلامية، (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً). أي بين الجافي والغالي، كما يقول الشاعر:

حبُّ التناهي شطط
خير الأمور الوسط

هذه الوسطية - يا عباد الله - من أخصِّ خصائص أمة الإسلام، بل هي منهج ينبغي أن يسير عليه المسلمون كما سار عليه الأولون، يقول الإمام الشاطبي يرحمه الله: «إن الشريعة جارية في التكليف لمقتضاها على الطريق الوسط العدل، الآخذ من الطرفين بقسط لا ميل فيه، فإذا نظرت إلى كلية شرعية فتأملها، تجدها حاملة على التوسط والاعتدال، ورأيت التوسط فيها لائحاً، ومسلك الاعتدال واضحاً، وهو الأصل الذي يُرجع إليه، والمعقل الذي يلجأ إليه».

ويقول الإمام العز بن عبدالسلام - يرحمه الله: «وعلى الجملة فالأولى بالمرء ألا يأتي من أقواله وأعماله، إلا بما فيه جلب مصلحة، أو درء مفسدة مع الاعتقاد المتوسط بين الغلو والتقصير».

ويقول الإمام العلامة ابن القيم يرحمه الله: «ما من أمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى غلو، وإما إلى تقصير، والحق وسط بين ذلك».

إخوة الإسلام:

وتتجلى وسطية الإسلام في كل مجالاته اعتقاداً، وتعبداً، ومعاملة، وخلقاً، فالإسلام

وسط من كل ذلك بين سائر الملل والنحل، فلا إلحاد ولا وثنية، بل عبودية خالصة لله تعالى في الربوبية والألوهية، وكذلك في الأسماء والصفات... وسط بين أهل التشبيه والتمثيل، والتحريف والتعطيل... وسط في مسألة الإيمان، بين من جفوا فأخّروا الأعمال، وأرجؤوها عن مُسمَّى الإيمان، وبين من غلوا فأخرجوا من عمل بعض المعاصي عن دائرة الإيمان.

وفي باب النبوة والولاية والصحابة وسط، فلا غلو فيهم، كمن اتخذوهم أرباباً من دون الله، ولا جفاء كمن قتلوا الأنبياء من كفرة أهل الكتاب، فأهل الإسلام وسط، إذ يؤمنون بكل نبي أرسل، وبكل كتاب أنزل، ويحبون الأولياء ويترضون عن جميع الصحابة، ويقولون بعدالتهم، ويعترفون لهم بالفضل والشرف، (رضي الله عنهم ورضوا عنه). التوبة:١٠٠.

قال تعالى: (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير) البقرة:٢٨٥.

أيها المسلمون:

وفي مجال العبادة نجد وسطية الإسلام في مراعاته لمقتضيات الفطرة، والتناسق البديع بين متطلبات الروح والجسد، بلا غلو في التجرد الروحي، ولا تفريط بالارتكاس المادي، فهو وسط بين طرفين كلاهما ضلال: بين الرهبانية، والمادية، يقول الله تعالى: (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) القصص:٧٧، ولا أدلَّ على ذلك من قصة هذا الرجل الذي يُدّعى «أبا إسرائيل» وجده النبي صلى الله عليه وسلم قائماً في الشمس، فسأل عنه فقالوا: هذا «أبوإسرائيل»، نذر أن يصوم وألا يستظلَّ، وأن يظل قائماً، فقال صلى الله عليه وسلم: «مروه فليجلس وليستظل وليتم صومه».

وحادثة أخرى وردت في الصحيحين: قصة الرهط الذين أتوا بيوت النبي صلى الله عليه وسلم، فسألوا عن عبادته صلى الله عليه وسلم كأنهم تقالّوها، فقال أحدهم أما أنا فأقوم الليل ولا أرقد، وقال الثاني أما أنا: فأصوم الدهر ولا أفطر، وقال الثالث: أما أنا: فأعتزل النساء، فأنكر عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ذلك. إذ حرَّموا على أنفسهم طيبات الدنيا. قائلاً: «أما إني أخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» وفي صحيح مسلم يقول صلى الله عليه وسلم: «هلك المتنطعون، هلك المتنطعون، هلك المتنطعون»، وعند مسلم أيضاً: «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه».

أيها المسلمون:

وفي مجال التشريع توسط الإسلام بين من تشددوا فحرَّموا طيبات أحلت لهم، وبين المتساهلين الذين استحلوا ما حرَّم الله عز وجل: (قل من حرَّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) الأعراف:٣٢، ويقول تعالى: (... ويحل لهم الطيبات ويحرِّم عليهم الخبائث...) الأعراف:١٥٧، كما نجد وسطية الإسلام في الإنفاق بين سيئتين، هما التقتير والإسراف، يقول الله تعالى في نعوت عباد الرحمن: (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً) الفرقان:٦٧، فخير الأمور أوسطها، وفي النظام الاقتصادي جاء الإسلام وسطاً بين الرأسمالية التي ترعى الفرد على حساب الجماعة، وبين الاشتراكية التي تلغي حقوق الأفراد وتملكهم، بحجة مصلحة الجماعة، فوازن الإسلام بين حرية الفرد ومصلحة المجتمع، فاحترم الملكية الفردية وأقرها وهذبها بحيث لا تضرُّ بمصلحة المجتمع.

عباد الله:

لقد تجلت وسطية الإسلام كذلك في جمعه بين الأصالة والمعاصرة، وتميزه بالثبات والمرونة، وحسن التعامل مع المتغيرات، ووضع الضوابط للاجتهاد في النوازل واستيعاب المستجدات فهو بثوابته وأصوله، يستعصي على التميع والذوبان، وبمرونته يستطيع التكيف ويواجه التطور بلا جمود ولا تحجر بل يبني الحياة على القواعد الشرعية، والنواميس المرعية، مع مراعاة جلب المنافع ودفع المفاسد.

وخلاصة القول يا عباد الله: إن وسطية الإسلام شاملة لأمور الدنيا والآخرة، بل إنها وجه من وجوه الإعجاز، مما يجعل الإسلام صالحاً بل مصلحاً لكل زمان ومكان، حتى تأهلت أمة الإسلام بهذه الوسطية لأن يكون أبناؤها شهداء الله في الأرض، بل ويوم القيامة شهداء على الأمم (لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) البقرة:١٤٣.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده أما بعد: فلما كانت أمة الإسلام خير أمة أخرجت للناس، اختار الله لها من الدين أتمَّه وأعدله وأوسطه، ومن الأخلاق أجلَّها وأعلاها، ومن الأعمال أفضلها، ووهبهم من العلم والحلم والعدل والإحسان ما لم يهبه أمة سواهم، فلذلك كانوا وسطاً، أي خياراً عدولاً بسبب عدالتهم وحكمهم بالقسط، يحكمون على الناس من سائر أهل الأديان ولا يحكم عليهم غيرهم، فمن شهدت له هذه الأمة بالقبول فهو مقبول، ومن شهدت له بالرد فهو مردود، وفي ذلك إشارة على حجية الإجماع، وأن هذه الأمة لا تجمع على ضلالة، وأنهم معصومون عن الخطأ إذا أجمعوا أمراً، لأنهم لو قُدِّر اتفاقهم على الخطأ لم يكونوا وسطاً.

في الصحيحين وغيرهما أن جنازة مرت فأثنوا على صاحبها خيراً، فقال النبي صلى الله عليه وسلم وجبت «ثلاثاً»، ومرت جنازة فأثنوا على صاحبها شراً فقال صلى الله عليه وسلم وجبت «ثلاثاً» قال له «عمر» رضي الله عنه في ذلك فقال: «من أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شراً وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض» (ثلاثاً).

هكذا ـ إخوة الإسلام نرى في الإسلام بشريعته وعقيدته السماحة واليسر، والوسطية والاعتدال، فما أحوجنا لسلوك هذا المنهج، ليرى العالم المتخبط فينا هذا السلوك المتميز، فينجذب إلينا بدلاً من هذه الحملة المسعورة، على الإسلام وأهله، التي تصف كل متمسك بدينه بالجمود والتشدد، وكل من ينفلت من الثوابت الدينية بالتقدم والتحضر، ظانين أن الوسطية خاضعة للأهواء غير منضبطة بضوابط الشرع، وهنا تتجلى أهمية مراعاة الثوابت الإسلامية في مواكبة متغيرات العصر، هذا وينبغي ألا تحسب أخطاء بعض الأفراد على الأمة لأن خطأه نتيجة بعده وانحرافه عن الوسطية وليست في المنهج ذاته، يقول الله جل وعلا: (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) الأنعام:١٥٣.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، اللهم ألزمنا كلمة التقوى واجعلنا أحق بها وأهلها، اللهم هيئ لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه وليك ويذل فيه عدوك، اللهم اجعل لنا وللمسلمين من كل ضيق فرجاً ومن كل بلية مخرجاً، واجمع على الحق شمل المسلمين واجعلهم يداً على من سواهم يا رب العالمين، اللهم ارحم شهداءنا الأبرار، اللهم اجعل بلدنا آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين.

اتقوا الله عباد الله.

وأقم الصلاة ■

توصيف الواقع عند الجماعات والأحزاب الإسلامية

الجماعات الإسلامية نسيت أن تقسيم العالم إلى دار إسلام ودار حرب حكم فقهي مستجد


بقلم: غازي التوبة
altawbah939@hotmail.com



إن صحة توصيف الواقع عامل رئيس لنجاح أي جماعة أو حزب في تحقيق أهدافه في التغيير، ولو حاولنا أن نرصد أبرز التوصيفات الإسلامية التي شاعت حول الواقع خلال القرن الماضي لوجدنا أن كثيراً منها بعيد عن الصواب، وهذا ما يفسّر لنا السبب في عدم نجاح هذه الجماعات والأحزاب في تحقيق أهداف التغيير، ونحن سنرصد في هذه السطور أبرز هذه التوصيفات.

شخّصت بعض الجماعات والأحزاب الإسلامية الواقع المحيط بنا بأنه «دار حرب» انطلاقاً من المقولة التي تقسم العالم إلى «دار إسلام ودار حرب»، واعتبرت أن بلادنا بعد سقوط الخلافة العثمانية دار حرب، وأنزلت عليها كل الأحكام الفقهية المتعلقة بدار الحرب مثل جواز القتل، والاغتيال، والسبي، وسرقة الأموال، والتعامل بالربا إلخ... ونسيت هذه الجماعات أن تقسيم العالم إلى «دار إسلام ودار حرب» إنما هو حكم فقهي مستجد صاغه الفقهاء من أجل التقنين لأوضاع دولية محيطة بهم، ولم يرد في قرآن ولا سنة، ونسيت هذه الجماعات أن اعتبار بلادنا دار حرب حكم خاطئ لأن تحديد دار الحرب مرهون بوجود دار الإسلام، والمطلوب من الجماعات إيجاد دار الإسلام أولاً من أجل تحديد دار الحرب ثانياً، وأبرز أمثلة على الجماعات التي تداولت مقولة «دار الحرب» بعض الجماعات الإسلامية التي قادت القتال في الجزائر في تسعينيات القرن الماضي.

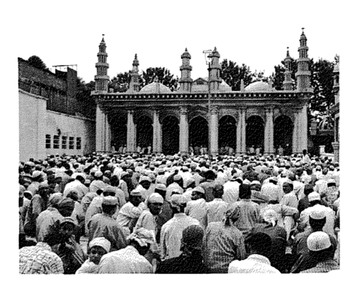
شخصت جماعات إسلامية أخرى الواقع المحيط بنا بأنه واقع كفر، ورتبت عليه أنه لا يجوز قبول الوظيفة الحكومية، ولا يجوز إدخال أبنائنا المدارس، ولا تجوز الصلاة في المساجد لأنه يُدعى فيها إلى غير الله إلخ... ورتبت على هذا التحليل وجوب الهجرة والانكفاء على الذات من أجل الارتقاء بها، ومن أجل ترتيب صفوف الجماعة وبنائها البناء السليم حتى تستطيع أن تواجه الكفر وتنتصر عليه، وأبرز جماعة معاصرة التزمت هذا التشخيص هي «جماعة التكفير والهجرة» التي أسسها «شكري مصطفى» في سبعينيات القرن الماضي في مصر، وبالفعل فقد انسحبت أفراد هذه الجماعة من المجتمع المصري، وعاشوا في الصحراء تطبيقاً لتحليلاتهم السابقة، ولكن الحكومة المصرية لاحقتهم واعتقلتهم، وأعدمت

زعيمهم في نهاية السبيعينيات.

أريد أن أقف على أبرز حكم رتبته جماعة «التكفير والهجرة» على تشخيص الواقع بأنه واقع كفر وهو حكم الهجرة، فأشير إلى أن الهجرة كانت في سيرة الأنبياء - صلوات الله عليهم وسلامه - هرباً من أذى المشركين، فقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين بالهجرة إلى الحبشة مرتين هرباً من أذى مشركي مكة، كما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين بالهجرة إلى المدينة المنورة بعد أن سدَّت منافذ الدعوة أمام الرسول وأمام أتباعه في مكة، فالهجرة جاءت خطوة بعد الدعوة، ثم ألغى الرسول صلى الله عليه وسلم الهجرة بعد فتح مكة فقال: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونيَّة».

وصفت بعض الجماعات المرحلة التي يعيشها المسلمون بأنها مرحلة مكية بعد سقوط الخلافة وذلك لأنهم يقسمون الحياة الإسلامية إلى مرحلتين: فترة مكية وأخرى مدنية، الأولى تنزلت فيها العقيدة، والثانية تنزلت فيها الأحكام الشرعية، لذلك علينا أن نركز على بناء العقيدة في هذه المرحلة، ونحن في حلٍّ من تطبيق أحكام الشريعة لأنها نزلت في المرحلة المدنية. ومن الأحكام البارزة التي ترتبت على مثل هذا التحليل عدم جواز قتال اليهود في فلسطين، وخطأ القيام بالأعمال الخيرية لأنها من واجبات الخليفة، ومن أشهر التجمعات التي قالت بذلك «حزب التحرير الإسلامي».

ليس من شك بأن مثل هذا التقسيم ينطلق من فهم خاطئ للمكي والمدني، فالمكي والمدني هو أحد علوم القرآن الذي يقسّم الآيات والسور بحسب نزولها من أجل فهمها وتحديد صفاتها والاستفادة من ذلك في تفسير القرآن الكريم، ويتأكد الخطأ عندما نعلم أن مرحلة مكة لم تتنزل فيها أحكام العقيدة فحسب، بل نزلت فيها أحكام شرعية أخرى كانت أصولاً لكل الأحكام الشرعية التي نزلت في المدينة، فالمرحلتان متكاملتان، ولو أخذنا مثالاً على ذلك الزكاة والجهاد وهما تشريعان مدنيان لا جدال في ذلك، ولكن أصولهما كانت في مكة، الأول في تشريع الأمر بالصدقة، والثاني في تشريع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد فصَّل ذلك الشاطبي - يرحمه الله - في كتاب «الموافقات» (انظر تفصيلاً لهذا الرأي في الموافقات للشاطبي، مجلد٢، ص٣٣ وما بعدها)، وبالمقابل لم يتوقف البناء العقائدي في المرحلة المدنية، فالآيات التي تتحدث عن صفات الله ورحمته وعلمه وحكمته كثيرة، والآيات التي تخوّف من عقاب الله ومن ناره متعددة. لقد اختلفت صفات الآيات المكية عن صفات الآيات المدنية، لكن المرحلتين: المكية والمدنية متداخلتان ولا نستطيع أن نفصل بين أحكامهما، وبالعكس نجد معظم الأحكام التشريعية، بدأت في مكة وتبلورت في المدينة.



غياب مفهوم الأمة وعدم تداوله خلال القرن الماضي أفرز شروراً كثيرة

لكن التوصيف الدقيق للواقع المحيط بنا هو أنه واقع أمة إسلامية، بناها الرسول صلى الله عليه وسلم، وامتزجت بها أعراق وأجناس وقبائل وشعوب متعددة، وشكل القرآن الكريم والسنة النبوية المشرَّفة عماد ثقافتها، وقد خسرت هذه الأمة قيادتها السياسية عندما ألغى كمال أتاتورك الخلافة العام ١٩٢٤م، لكن الأمة بقيت بكل عناصرها، يدل على ذلك وحدة اللغة والتاريخ، والتكوين النفسي المشترك، ووحدة الآمال والآلام، والوعي بالشخصية الحضارية المستقلة إلخ...، إن تشخيص واقعنا والقول: إنه واقع أمة إسلامية يقيم تواصلاً بين المسلم وبين محيطه على عكس التشخيصات السابقة التي تعرضنا لها، والتي تؤدي إلى إقامة حواجز بين المسلم وبين مجتمعه الإسلامي، مما يفسر لنا السبب في العنف الذي نراه من بعض الجماعات الإسلامية إزاء إخوانهم المسلمين.

والسؤال: كيف سيعامل المسلم الناس المحيطين به بعد سقوط الخلافة وغلبة التشريعات الوضعية؟ وهل هناك سابقة في التاريخ الإسلامي يمكن أن يستأنس بها المسلم في مثل هذا الوضع؟ لقد واجه المسلمون وضعاً مشابهاً عندما تغلب الكفار على مدينة «ماردين» وأصبحت في حوزتهم، وانتقلت السيطرة عليها من المسلمين إلى الكافرين، واستفتي ابن تيمية وسئل عن الأحكام التي نجريها على أهل «ماردين»، هل هي أحكام أهل الإسلام؟ أم أحكام أهل الكفر؟ فأفتى بأننا لا نعتبرهم مرتدين، ولا نعتبر ديارهم ديار حرب أو كفر، ونعامل كل فرد بحسب وضعه، فنجري أحكام الإسلام على المسلم، ونجري أحكام الكفر على الكافر.

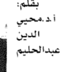
إن غياب مفهوم الأمة، أو قل بصورة أدق عدم تداول مفهوم الأمة خلال القرن الماضي، أفرز شروراً كثيرة، وإن إبراز مفهوم الأمة وتداوله في الفترة المقبلة سيؤدي إلى تعامل صحي بين المسلم والواقع المحيط به، وسيؤدي إلى الانطلاق من واقع محسوس، ومن رصيد جماعي ضخم، وسيؤدي إلى ألا تكتفي الجماعات والأحزاب الإسلامية بالأهداف البعيدة والكبيرة من مثل إقامة الدولة والخلافة، والإمامة العظمى، بل أن تضع ضمن أهدافها الإسهام في تعزيز وحدة الأمة، وتقوية اقتصادها، وزيادة منعتها، وبالمقابل الحيلولة دون تفكك وحدة الأمة، وإضعاف اقتصادها وإنقاص منعتها ■

أولاً بدأ الصراع بين السلطة الدينية والسلطة السياسية في الوطن العربي منذ أن انتهى عصر الخلافة العثمانية في النصف الأول من القرن العشرين، ومن ثم بدأ الاحتلال الأجنبي لمعظم دول العالم الثالث حيث تم تشكيل ميليشيات إسلامية لمقاومة الاستعمار البريطاني والفرنسي، ثم جاء الاستيطان الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية ليشعل نار المقاومة ويثير القلق والتوتر في المنطقة، وقد أفرزت هذه الحال فصائل أكثر تشدداً في مواجهة السلطات الاستعمارية والنظم الوطنية المتعاونة معها.



> لا يعقل أن نطالب بحوار مع غير المسلمين ونفشل في إقامته بين قوم تجمعهم عقيدة وكتاب واحد!!

إشكالية العلاقة بين السلطة الدينية والسلطة السياسية



بقلم: أ.د.محيي الدين عبدالحليم

كما أسفرت عن خلافات ومواجهات عنيفة بين السلطة السياسية والسلطة الدينية. ومن ثمَّ وجدت الصهيونية العالمية ومراكز التبشير ومعاهد الاستشراق وجماعات اليمين المتصهين، ضالتها في هذه الخلافات. فراحت تصب الزيت على النار لكي يظل العالم العربي في حال من التيه والضياع والتخلف ولا سيما بعد أن قفز إلى السلطة عدد من القيادات الاستبدادية والفاشية في الوطن العربي التي رأت في وجود التيار الإسلامي على الساحة الوطنية خطراً على وجودها.

وقد تسببت هذه الخلافات في زعزعة الاستقرار وتعطيل مسيرة التقدم والتنمية في العالم الإسلامي لأن بعض القيادات السياسية في الوطن العربي قد استخدمت أساليب العنف. ووظفت أجهزة الشرطة والاستخبارات ووسائل الإعلام لتشويه صورة أصحاب التيار الإسلامي، وحرمت عليهم التعبير عن رؤاهم، واعتبرت الرموز التي تنتمي لهذا التيار عناصر إرهابية ومخربة يجب أن يتم اجتثاثها والقضاء عليها ليعيش المجتمع في سلام وأمان.

والمشكلة تكمن في سوء الفهم والكراهية بين

الطرفين، والافتقار إلى لغة الحوار التي يحكمها العقل والمنطق لحقن الدماء، وإقامة جسور التفاهم، والعمل على تقريب وجهات النظر، وخلق لغة مشتركة بين الطرفين، فمن غير المعقول أن نطالب بإقامة حوار مع غير المسلمين على اختلاف عقائدهم ومذاهبهم واتجاهاتهم ثم نفشل في إقامة هذا الحوار بين قوم يجمعهم كتاب واحد ومرجعية واحدة وهدف مشترك ومنهج أرست دعائمه معطيات الشريعة الإسلامية.

ولعل أسلوب تطبيق أحكام الإسلام هو نقطة الخلاف الجوهرية بين الطرفين، فأغلب أصحاب التيار الإسلامي يريدون تطبيقاً كاملاً وفورياً لهذه الأحكام لأنها أحكام الله، ولا مجال للتأجيل والمواربة أو التشكيك في هذه الأحكام، في حين ترى القيادات السياسية أن التطبيق الفوري لأحكام الشريعة الإسلامية في حاجة إلى التأني وتهيئة الأجواء الاجتماعية والنفسية للجماهير ولا سيما أن المجتمع العربي لا يخلو من عناصر وتيارات ترفض هذا الاتجاه، ومنها من يرى أن عدداً من هذه القوانين لم يعد مناسباً للعصر الذي نعيش فيه.

والحقيقة أن هناك عدداً من القيادات والمنظمات الإسلامية تفتقر إلى الحكمة والفطنة والذكاء، ومن ثمَّ لم تستطع إقامة علاقات طيبة مع السلطة السياسية، وراحت تنساق وراء عواطفها، كما أن عدداً آخر منها قد أساءت فهم صحيح الدين، وراحت تفسر بعض آيات القرآن الكريم بصورة خاطئة، وتطالب بقطع يد السارق، وجلد الزاني، والقصاص من القاتل، وتشجيع تعدد الزوجات، وإغلاق البنوك الربوية والمؤسسات الاقتصادية التي تعمل في هذا المجال، ووقف البرامج التي تروج للرذيلة في الإذاعة والتلفاز، كما تطالب بتنصيب علماء الدين في المناصب السياسية.

وقد أغفل هذا الفريق جوهر الفلسفة الإسلامية في السياسة والحكم، وهي الفلسفة التي لا تتفق مع منهج النظم الثيوقراطية المقدسة التي تستند إلى مبادئ غير إسلامية، والتي تسعى إلى تحويل قنوات الفكر والثقافة والتعليم إلى أجهزة كهنوتية على غرار الأجهزة التي تعمل في خدمة الفاتيكان والمؤسسات الدينية والكنسية التي كانت تحكم أوروبا في العصور الوسطى، لأن المرجعية الإسلامية في السياسة والحكم وإن كانت مؤسسة على قواعد ثابتة في العقيدة لا يجوز التغيير والتعديل فيها مهما تغيَّرت الأزمنة، وتغيَّرت الأمكنة، وتبدَّلت الأحوال، إلا أن هذه المرجعية مرنة وغير جامدة تقبل التطور والتجديد بما يتلاءم مع مقتضيات العصر وحاجاته، وحسبما تمليه الحوادث وترسمه الأيام.

وقد فتح الإسلام باب الاجتهاد على مصراعيه ليجرف كل عقبة تقف أمام التطور في مسيرة حياة الأمم والشعوب، إنه الدين الذي يحارب الجمود على المألوف، والتقليد الذي يعمي أصحابه عن رؤية الحقيقة، والذي يقوم على الإيمان بوجود الدنيا ووجود الآخرة، ولكل وجود شأنه، كما يقف في مواجهة كل الدعوات التي تقيد ملكة الإنسان، وتقف عقبة كأداء في طريق تطوره وتقدمه، وتمنعه من الأخذ بكل أسباب التحضر والمدنية، ولا نقيد حركة الجماهير، ولا تحول دون حرية التعبير والاعتقاد.

وإذا كانت رموز السلطة الدينية ترى في

بعض القيادات والمنظمات الإسلامية تفتقد إلى الحكمة والفطنة والذكاء

ممارسات السلطة السياسية انفلاتاً عن الأصول، وخروجاً على مقتضيات العقيدة، فإن من حقها أن توجه النصح للحكام وصناع القرار، وتطالبهم بالحفاظ على ثوابت الأمة، وأصول العقيدة، على أن يتم ذلك عبر القنوات الشرعية ومنابر الفكر ووسائل الاتصال المتاحة وذلك بالكلمة الطيبة، والأسلوب الحسن، والوضوح في المعنى واليسر في الدين.

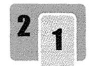
وقد وضع الإسلام أصولاً للدعوة والإقناع تقوم عى الحجة والبرهان، وقد كتب الله في سننه أن يكون منطق العقل تاج هذه الحياة، يستطيع اكتناه غاية ما تستطيعه الإنسانية من أسرار الكون، وفي ذلك يقول الله عز وجل: في الآية ١٠٨ من سورة يوسف: (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين)، وقد ذكر القرآن الكريم العقل باسمه ومشتقاته نحو خمسين مرة، وذكر أولي الألباب، بضع عشرة مرة، كما ذكر أولي النهى أكثر من مرة، وقد أمر الله بالمحافظة على العقل لعظيم شأنه وضرورة الحاجة إليه لأن فقده يعني فقد شخصية الإنسان، كما أن الإخلال به يؤدي إلى التخبط والضلال، فحرَّم كل ما يؤثر عليه، ووضع عقوبات صارمة لكل من ينتهك حرمته.

إلا أن عدداً من رموز العمل الإسلامي قد درج على استخدام أسلوب الصراخ، وإثارة الجماهير ضد السلطات السياسية، والتركيز على أوتار العاطفة، وهو أسلوب لا يصلح لمخاطبة هذه السلطات، كما أنه لا يصلح لمخاطبة النخب المثقفة، ويستنفر القيادات السياسية، هذا في الوقت الذي حض فيه الإسلام على التحلي بحسن الخلق، وسماحة النفس، ولين القول، حتى مع الجهلاء، وفي ذلك يقول الله تعالى في الآية ٨٣ من سورة البقرة: (وقولوا للناس حسناً وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة).

والحل يكمن في الاحتكام إلى الجماهير واحترام رأي الأغلبية مع الحفاظ على ثوابت العقيدة، وإذا كانت رموز العمل الإسلامي حريصة على تطبيق الشريعة الإسلامية في مختلف مناحي الحياة، فإن ذلك يجب أن يتم من خلال أسلوب التدرج المرحلي في هذا الشأن، إذ لابد من الإعداد والتهيئة لتحقيق هذا الغرض، وهو نفس المنهاج الذي سلكه النبي صلى الله عليه وسلم لتغيير الحياة الجاهلية، حيث تركزت مهمته خلال ثلاثة عشر عاماً على تربية الجيل المؤمن الذي يستطيع فيما بعد أن يحمل عبء الدعوة، ولهذا بدأ الإسلام أولاً بالدعوة إلى التوحيد وتثبيت العقيدة السليمة، ثم كان التشريع شيئاً فشيئاً.

وبهذا نرى أنه قد كمل الدين وتمت النعمة بمنهج التدرج الذي نزل به، ولو نزل دفعة واحدة لشق الأمر على الخلق، وصعب عليهم امتثال أحكامه، وفي هذا درس بليغ للدعاة ليتدرجوا في مناهجهم، ويكونوا عوناً للناس على تطبيقها، وقد تنبه السلف الصالح لهذه الحقيقة حين ساروا على منهج التدرج في مختلف الأمور حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه، وهذا يعني أنه طالما أن التدرج سنة إلهية، فقد وجب على رموز العمل الإسلامي اتباعها، والعمل بها، حتى لا يقعوا في المحظور وهذه العجالة، ثم الاندفاع والعنف والمواجهات الدموية ■

المسلمون والغرب... قراءة في فقه الواقع



الجالية الإسلامية أقدر على مخاطبة الغرب لأنها تتفهم عوامل التوتر والصراعات في مجتمعاتها المحلية



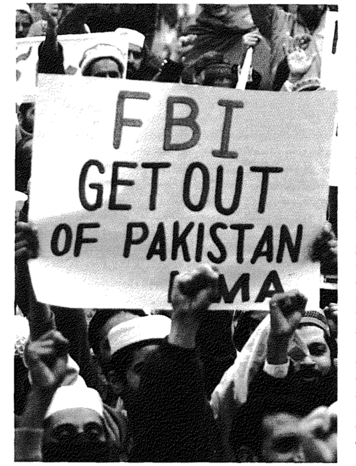
بقلم:
شاكر عبدالقادر عبدالمقصود

باحث وكاتب مصري

يمتد ملف «المسلمون والغرب» منذ ظهور الإسلام وحتى الآن، فهناك الكثير من العلاقات المختلفة التي تقف وراء خلفية الصراع الديني الأكثر بروزاً، كالعلاقات السياسية والتجارية، والعلمية والثقافية المختلفة، وجميعها تبرز كعلاقات متشابكة شديدة الارتباط والتعقيد، أما إذا نظرنا إلى جملة العلاقات بين الغرب والشرق «أو وبقية العالم»، فإننا سنجد أن الأطر والفلسفات الحاكمة لهذه العلاقات والمنطلقات الأيديولوجية التي تصوغ هيكلها وبنيتها لن تختلف كثيراً سوى في بعض الأوزان النسبية، سواء بين الكتل الحضارية والأقاليم الثقافية المختلفة، أو بين الهياكل والأطر التنظيمية المحددة لموضوع المبادلات سواء أكان ذلك من ناحية الكم أم الكيف أم الاتجاه.

وعلى سبيل المثال، فإن خلفية الصراع الديني الأكثر بروزاً والأكثر تجذراً على مدار التاريخ المشترك بين المسلمين والغرب سوف تبقى على الجانبين محكومة بأهواء الساسة وصراع السلطة الذي فرض محاولات لاكتساب أرض جديدة أو تصدير عوامل التوتر والصراع خارج بنية النظام القائم، ولكن على مستوى التحليل الأكثر عمقاً سنجد أن هذه الصورة تبرز في الغرب أكثر نتيجة لخضوع الأهواء السياسية للأهواء اللاهوتية الناتجة من التفسير التعسفي اللاموضوعي للكتاب المقدس «أو للتحالف الاستراتيجي بينهما»، الذي جعل الغرب في حال حرب مقدسة مع العالم بعامة، ومع المسلمين بخاصة، وهو ما قد يبدو عكسياً على الجانب الآخر، حيث نتج من خضوع رجال الدين لأهواء النخب السياسية «أو الصراع بينهما» في العالم الإسلامي استغلال مستمر للقيم الإسلامية لتحقيق مكاسب سياسية سواء في الداخل أو في الخارج، وعلى كلا الجانبين قاد ذلك إلى كوارث في الفكر والضمير والسلوك سواء بسواء.

ومن جهة أخرى، فإن ازدهار أو اضمحلال العلاقات الأخرى التجارية أو العلمية أو غيرهما، وإن سارت في جملتها صعوداً وهبوطاً مع حركة



الصراع العسكري والسياسي، فإن الأمر لم يخل من وجود استثناءات واضحة فرضتها إما العوامل الجغرافية مثل القرب والامتداد المكاني أو الاعتبارات الحضارية والتاريخية مثل الامتداد الزماني أو اعتبارات نفعية مختلفة، فإذا ما حاولنا تحقيق فهم أفضل لعلاقتنا بالغرب وعلاقته بنا فعلينا ملاحظة ما يلي:

أولاً: تحكم الحضارة الغربية في أصولها قيم الصراع والمنافسة والتحدي والمعاني المرتبطة بها لتشكيل بنية أفراده الفكرية وتصوغ شعوره الجمعي، وفي ظل الخلفية الصراعية المتمثلة في الصراع بين الآلهة وبين الله والإنسان (في الفكر الوثني الذي لا يزال له حضوره وسيطرته) أو بين الكنيسة والسلطة والمجتمع بشكل ثنائي أو مركب أو بين الطبقات الاجتماعية المختلفة وحتى داخل الأسرة، فإن الصراع يبقى قائماً ومبرراً وإن اتخذ طابعاً مغايراً بعض الشيء من أجل تحقيق الذات في مقابل الآخر «الشريك» حتى ولو على حساب المجموع، بل إن مثل هذا الصراع يمتد داخلياً ليصبح الفرد في حال صراع دائم مع ذاته ومع محيطه الاجتماعي من أجل تحقيق إشباعات مستمرة ومتجدد غير محدودة ولا نهاية لها.

ويستهدف هذا الصراع المستمر جعل الأفراد وبشكل دائم في حال توتر حفزي واستنفار شعوري يعد من دعامات التقدم الاقتصادي، فالصراع بين الأفراد أو الطبقات من أجل تحقيق أكبر قدر من المصالح أو المنافع التي تضمن تحقيق أكبر قدر من الإشباعات والامتيازات، وهو ما يعني أن المصلحة أو الرغبة هي المحدد للسلوك تجاه الآخرين في حركة الصراع، وهو ما يمتد ليحكم الشعور الجمعي ويحكم الدول والسياسات في تحركاتها على أرض الواقع المنظور تجاه الآخرين.

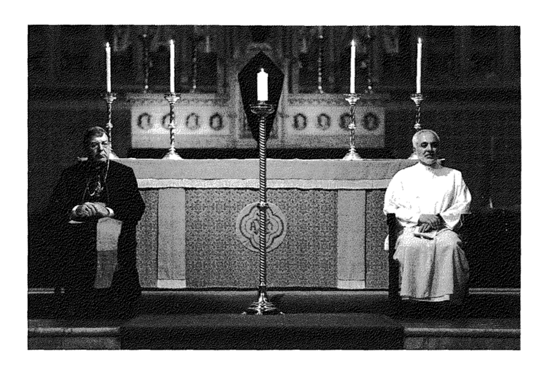
ثانياً: تدعم القيم الصراعية وبشكل مستمر الاتجاه الانشطاري التصادمي في بنية العلاقات المجتمعية عامة سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات، وفي الوقت ذاته تفرض قيام الكثير من التحالفات البيئية والمتقاطعة لتأمين المصالح والأهداف الخاصة، وحيث إن مثل هذه الأهداف والمصالح هي دائماً وأبداً في حال تغير مستمر، فإن شبكة العلاقات التي تؤمن من خلالها هذه الأهداف والمصالح تصحب - وبشكل دائم - في تغير مستمر هي الأخرى، ويظل بقاء أي تحالف استراتيجي مرتبط بما يحققه من مصالح لأطراف التحالف، وإلا فإن مبرر وجوده يتلاشى «وهو هنا إما أن يصبح بؤرة ساكنة كاحتياطي استراتيجي لتحالفات ممكنة عند الضرورة أو بؤرة نشطة مضادة بدخوله في أحلاف مضادة للأولى» وهو ما يعني أن تظل العلاقات والنظم المجتمعية في حال من الحركية المستمرة، سواء في اتجاه الاندماج من أجل تحقيق أكبر قدر من المصالح أو المنافع المشتركة أو في اتجاه الانشطار الناتج من تصادم، تعارض هذه المصالح أو ظهور فرص بديلة تحقق نفعاً أكبر، وبالتالي تصبح أجدر بالتحالف معها.

ثالثاً: نظراً لارتفاع معامل «الانتروبيا» (الفوضى) في العلاقات والبنى المجتمعية المؤسسة على المصالح المنظورة وتفككها المستمر، فإن وجود عامل حفزي مضاد يؤدي باستمرار لامتصاص التوتر الداخلي أو البيئي وتخفيف عبء التصادم المستمر عن النظم والمجتمعات الغربية سيبقى مادامت فلسفة الصراع والتصادم هي الحاكمة لبنيته الفكرية والشعورية، وبالتالي فإنها تمثل عامل الحفز المستمر لقيمه وسلوكه، وهو ما يفرض وجود قوى محايدة داخل بنية النظام من جهة، ووجود مصدر للتوتر الحفزي الخارجي يعمل بشكل مستمر على حفظ استمرار وتماسك النظام ضد فوضاه الداخلية بتوجيهها إلى بؤرة خارجية من جهة أخرى، ومن دون ذلك فإن مثل هذا النظام يبقى قابلاً للتآكل والتفتيت أو حتى الهدم والتدمير الذاتي، وهو ما عبَّر عنه بعض المنظرين بحاجة الغرب المستمرة والدائمة لوجود عدو ما حتى إنه إذا لم يجده فسيقوم بصناعته، ولا يهم هنا أن يكون مثل هذا الوجود حقيقي أو تصوري، إذ إن مثل هذا العدو يؤدي في جميع الأحوال دوره المنوط به بتحقيق أكبر قدر من التلاحم في وجه الآخر، فلابد من وجوده على أي حال.

> الصراع بين الآلهة وبين الله والانسان يبقى قائماً ومبرراً وإن اتخذ طابعاً مغايراً بعض الشيء

رابعاً: يحقق الاتجاه بتصدير المشكلات الداخلية وتقديم التحديات التي تواجه النظام لتأخذ مركز الصدارة باعتبارها قاطرة للنهضة والتقدم نظراً لدورها الطليعي والتقدمي الذي يجب دعمه وتشجيعه في فكر وسلوك النظم والثقافات المضادة للفلسفة والفكر الغربي دور الدرع الواقي أو صمام الأمان بالنسبة للنظم والفلسفات الغربية، وبعيداً عن وجهة النظر التي ترى في الغرب الغاية والقمة العظمى للارتقاء والتقدم الإنساني، فإن لتصدير التوتر والصراع كثير من المكاسب المباشرة وغير المباشرة سواء في المدى القريب المنظور أو المدى البعيد، والفارق هنا فارق درجة كما هو فارق في الاتجاه، ففي حين ينظر من وجهة النظر التي تتبنى الرؤيا الغربية إلى هذه التوترات والصراعات المفروضة على البنى الفكرية والسياسية للمجتمعات الإسلامية بصفة خاصة كنوع من التضحيات الواجبة والغريبة التي لا سبيل إلى عبور كهف التخلف من دونها، فإن مثل هذه التوترات المصدرة من الغرب والمروجون لها في الداخل تعمل على حفظ القدرة المستمرة للغرب على المبادأة وحصر الآخرين في دائرة رد الفعل، كما أنها تحفظ للنظم الغربية قدرتها المستمرة على الشعور بالزهو الناتج من الصورة التي تقدم بها هذه النظم وسياساتها وأيديولوجياتها كرموز متفردة يسعى الجميع للحاق بها والارتشاف من معينها، وهو ما يجعلها فوق مستوى النقض الرافض، ولكن أي مراجعة أو نقد تبقى دائماً داخلية أو شبه داخلية تقوم على الأسس والمعايير عينها التي تحفظ للغرب ونظمه صورة المتفوق والمتفرد الذي يسعى الجميع للحاق به وتقليده.

وكما يحمل هذا البناء الكثير من التحديات فإن ميزته الكبرى أنه يحمل الكثير من الفرص لمن يريد ويستطيع السعي لاقتناصها، إن بنية المجتمعات الغربية الفكرية والاجتماعية «لا السياسية والإعلامية» سوف تبقى مفتوحة قابلة دائماً للاختراق إذا أمكننا توظيف إمكاناتنا ومواردنا المالية والبشرية لتصبح جزءاً من شبكة المصالح الاستراتيجية للجماعات المختلفة هناك، النخب الفكرية والأقليات العرقية المختلفة والأقليات الإسلامية بشكل خاص، فحتى بعد قوانين الحريات والسياسات والتشريعات المناهضة لحرية الحركة، بل وللوجود الإسلامي في الغرب سوف تبقى هذه الجاليات الإسلامية الأقدر على مخاطبة الغرب من الخلفية الفكرية ذاتها والأكثر قدرة على تفهم عوامل التوتر والصراع في مجتمعاتها المحلية، والأسهل علينا التواصل معها بشكل سريع، ثم إنه واجب تناسيناه لزمن طويل أو سعينا لتصدير مشكلاتنا وإضافتها إلى مشكلاته ■



"المطلوب تجاوز الوقوف أمام العوامل السلبية في تاريخ العلاقة بين الإسلام والغرب"

القيم والقواعد المشتركة... أساس الحوار بين الإسلام والغرب

بقلم:
د.حسن عزوزي

رئيس تحرير مجلة كلية الشريعة. فاس

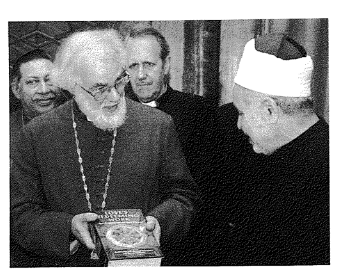
إن مسألة الحوار الحضاري بين المسلمين وأهل الغرب هي مسألة التفاعل الإنساني والثقافي بين أتباع الحضارتين، وهي تهدف إلى تغيير النظرة الاستعدائية والتخلي عن التصنيف النمطي المتوارث من مخلفات الماضي.

إن الحوار الحضاري شأن ثقافي يجانب المسائل الدينية الصرفة المرتبطة بفرضيات ومبادئ ومواقف إيمانية يعتبرها أصحابها مسلمات مطلقة، لكنه يتناول الجوانب الأخرى من آفاق الانفتاح والتواصل الإنساني التي يشترط تحققها الاعتراف بالآخر وتفهم مشكلاته ومقاصده وإدراكه على قدم المساواة وعدم استهدافه بالتمييز أو التحقير أو الإلغاء أو محاولة ذلك.

وإذا كان الحوار بين الحضارات يتحول تدريجياً في العالم الغربي ليكون نتاجاً لتطورات ثقافية وإنسانية تدعو إليه وتفرضه، فإنه بالنسبة لنا نحن المسلمين حاجة وجودية للقلق العميق الذي يخالط تجددنا الاجتماعي والقيمي والسياسي في مواطننا الأصلية وفي بقاع انتشارنا في العالم، فالمتغيرات التي تحدث على مستوى العالم بعد اهتزاز التكوينات السياسية والأيديولوجية والبشرية أمام تحديات الحداثة تواجهنا كما تواجه الآخرين بتحديات وأخطار لا نستطيع كما لا يستطيعون مواجهتها منفردين، لذلك بات لزاماً على كلا الطرفين البحث عن سبل التلاقي والتواصل، عن طريق البحث عن أرضية مشتركة للتعاون بدل المجابهة، والانفتاح بدل الانغلاق، والتفاهم بدل التجاهل، إن هناك تعاوناً اقتصادياً وثقافياً وسياسياً بين العالم الإسلامي والغرب، ولكنه ليس كافياً ولا يندرج في غالب الأحيان في السياق العام لمنظومة الحوار الحضاري بين

الجانبين، والسبب في ذلك - ببساطة - هو أن تنسيق المصالح والمنافع «السياسية والاقتصادية» ينبغي أن يسبقه الفهم الحقيقي المتبادل على الصعيد الثقافي والحضاري والديني.

إن المطلوب هو تجاوز الوقوف أمام العوامل السلبية في تاريخ العلاقات بين الإسلام والغرب وتجاهل ما بين الحضارتين من نقاط التقاء عديدة وقواسم مشتركة، وينبغي الاعتراف في هذا الصدد بأنه لا تزال توجد غربة فكرية للمسلمين عن الحضارة الغربية وغربة فكرية أعمق للغربيين عن الإسلام، لكن هذه العوائق يمكن أن تتبدد كلما كثرت اللقاءات الحضارية والثقافية بين الجانبين.



الإسلام والمسيحية تدعوان بقوة إلى العدل والمساواة والتسامح

إن الحوار في القضايا المشتركة بين المجتمعات الإسلامية والغربية المتنوعة كفيل بتحقيق نوع من التقارب والتفاهم وخصوصاً على مستوى القيم الفكرية والإنسانية التي يلتقي حولها الجميع، وهنالك محاولات واسعة للتقارب تجريها منظمات ومؤسسات دولية يمكن أن تؤسس لقاعدة قوية لتعاون أعظم والتزام مشترك قصد مجابهة ومواجهة نزعات الصراع والصدام والعداء ومحاربة قوى الشر والعدوان التي تهدد العائلة الإنسانية، وهنا لابد من التأكيد على حيوية ودور الدين كجزء أساسي في السعي نحو التعاون والسلام والتآلف بين الأمم والشعوب، وإذا كان الإسلام والمسيحية يدعوان بقوة إلى قيم العدل والمساواة والتسامح مما يشكل قواعد مشتركة للتعاون وحل المشكلات الإنسانية العالقة فإن في ضوء ذلك يمكن الإطلالة على المسألة السياسية في القيم المشتركة في الحضارتين في قضايا الظلم والعدل والحرية والعبودية والاستكبار والاستضعاف في ساحة الصراع المتنوع في العالم كله... لذلك ينبغي التخطيط لمواجهة الاستكبار السياسي والاقتصادي والأمني والثقافي الذي يضغط بقوته الكبرى على صعيد الواقع الذي يعيشه المستضعفون في كل شؤون حياتهم من الفقر والجهل والتخلف والضياع مما يعمل المستكبرون على تطويره وتنميته حتى لا يستطيع هؤلاء أن يقفوا على أقدامهم بقوة، وصلابة وثبات.

إن القضايا التي يجب التركيز عليها في الحوار مع الغرب مما يشكل قواعد مشتركة ينبغي استثمارها والتأكيد على أهمية توظيفها في سياق التواصل واللقاء الحضاري، ترتبط بصوة أساسية بمسائل التعاون من أجل إقرار المبادئ والتعاليم الدينية المشتركة التي تحض على احترام الحياة الإنسانية وعلى السعي في الأرض من أجل الخير والأمن والسلام ومقاومة العنف وانتشاره هنا وهناك بدعاوى مختلفة، وتؤكد على محاربة الإلحاد والرذيلة والظلم والطغيان، وعلى دعوة الناس إلى تفهم قناعات ومبادئ الآخرين وتوحيدهم على قيم المحبة والتسامح والإخاء الإنساني، وهذه كلها تعتبر مساحات واسعة للعمل المشترك في سبيل خدمة البشرية وإنقاذ العالم من الشرور.

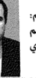
وإذا كان الإسلام يشترك مع المسيحية في كثير من القيم الروحية والإنسانية مما يعتبره المتحاورون حول موائد الحوار الإسلامي - المسيحي قواعد مشتركة للتفاهم حول قضايا دينية عالقة، فإن الغرب في حواره مع الحضارة الإسلامية مطالب بمسايرة أهداف الكنيسة ومبادئها تجاه الإسلام، وهي المبادئ التي تبدو متفهمة ومتسامحة وداعية إلى التعايش والتفاهم وخصوصاً بعد صدور قرارات اجتماعات «المجمع الفاتيكاني» الثاني العام ١٩٦٥م التي آبانت عن توجه جديد لدى الكنيسة الكاثوليكية في علاقتها مع الإسلام.

فعلى الغرب إذن الذي يعتبر نفسه أكبر من المسيحية، التي تجاوز مرحلتها أن يستأنس في حواره مع الإسلام، بما تم تكريسه والاتفاق عليه، من قضايا وجوامع مشتركة يمكن أن تسهم في قطع أشواط ذات بال في مسيرة الحوار الحضاري المنشود بين المسلمين وأهل الغرب، بيد أنه ينبغي الاعتراف بأنه إذا كانت الحضارة الإسلامية تستند في خلفيتها الفكرية والثقافية إلى المرجعية الدينية مستمدة منها الأسس القيمية والأخلاقية التي تفيد في تقويم وتهذيب وتصويب المسار الحضاري المعتبر، فإن الإشكال القائم في سياق الحديث عن القواسم المشتركة بين الحضارتين كركيزة للتفاهم وأساس للحوار يتمثل في كون الغرب لا يعتمد على مرجعية الكنيسة ومجامعها، وهي المرجعية التي قلنا: إنها متفهمة وداعية إلى التعايش والتحاور مع المسلمين، فالقطيعة الحاصلة بين الغرب المادي والكنيسة النصرانية تحول دون انسجام المواقف وتقارب المبادرات، كما أن آثار الدعوة إلى الحوار ونبذ روح الكراهية وتحقيق السلم العالمي والمساواة الاجتماعية مما أصبحت تدعو إليه الكنيسة منذ أكثر من ثلاثة عقود، كل ذلك لا يكاد يظهر على عمل الأجهزة المؤثرة وأصحاب القرار القوي في الغرب الذي تتحكم فيه مؤسسات سياسية واقتصادية وفكرية رهيبة تحقق من وراء تكريسها لروح العداء والظلم والكراهية بين الإسلام والغرب مصالح استراتيجية ذات بال ■

شروط ضرورية لأي تغيير أو بناء حضاري

أخرج الغرب كل البشر من قواعدهم الذاتية والثقافية ومن قدرتهم على التوالد الذاتي

كلمة الحضارة كلمة مختصرة لمنظومة دقيقة تنتظم عالم الأفكار وعالم الأشخاص وعالم الأشياء... بمعنى أنه إذا كانت هناك علاقة صحيحة بين هذه العوالم الثلاثة انبثقت حضارة صحيحة. وكلما اختلت العلاقة بين جوانب هذه المعادلة لدى أي أمة من الأمم اضطرب وضعها العام وساد القصور وضعف الأداء مختلف مناحي حياتها.



بقلم:
إبراهيم نويري

ومع شدة حساسية وأهمية جميع أجزاء هذه المعادلة، التي لها صرامة ودقة المعادلات الرياضية، غير أننا مع ذلك نميل إلى الاعتقاد بأن عالم الأفكار هو سرُّ فهمٍ بقية جوانب المعادلة. فالأداة التي بها نقدر مثلاً قيمة شيء من الأشياء، أو أهمية شخص من الأشخاص إنما هي الفكر نفسه، إذن بإمكاننا الذهاب إلى أن عالم الأفكار مظهر بارز من مظاهر الوجود البشري وصيرورة الحضارة الإنسانية. وهو كذلك جوهر أصيل وعميق من كينونة الإنسان، أي أنه وفق الصياغة الشرعية: مناط التكاليف ومعيار تقدير المآلات، ووسيلة توجيه وتهذيب التقاليد والعلاقات العامة سواء تلك التي تحدد ضوابط وحدود الارتباط بين الخالق والمخلوق، أو بين المخلوقين بعضهم ببعض، وما يحيط بهم من ظروف ومتغيرات(١). وأحسب أن إحداث النهضة والإقلاع الحضاري - بتعبير «مالك بن نبي» - رهن شروط وآليات وتوافقات كثيرة، قوامها أو أساسها أسلوب أو منهج التفكير نفسه، ومدى ما يكتنفه من فاعلية وشحذ للهمم والطاقات والقدرات المذخورة في عالمي الأشخاص والأشياء.

شروط الإقلاع الحضاري

إذن نفهم مما تقدم أن التغيير داخل حركية أي مجتمع، أو في واقع أي أمة من الأمم لا يأتي جزافاً، أو كما اتفق، أو أنه ضرب من ضروب

التخبط العشوائي، أو العمل الفوضوي الموسوم بالعجلة وقلة البصيرة، بل هو في حقيقته نسق يقوم على معادلة دقيقة جداً لخصها القرآن الكريم في قوله تعالى: (إن الله لا يغيِّر ما بقوم حتى يغيِّروا ما بأنفسهم) الرعد: ١١.

ونحاول هنا تقديم هذا التصور عن أهم تلك الشروط والآليات التي نرى أن الآية الكريمة سالفة الذكر تتضمنها، أو تنبهنا إليها على أقل تقدير، وهي:

١ - تحقيق الذات

أي جعل الهوية الحضارية للأمة منطلقاً رئيساً - أي من الناحية المعيارية والتقديرية - لأي نشاط أو تحرك أو إنتاج، أو لأي مشروع داخل الحراك الاجتماعي للأمة، وقد سُمِّي هذا المنطلق بأسماء وأوصاف تعبيرية كثيرة، وإن كان المضمون واحداً هو هو لا يتغير، فهو مثلاً المذهبية أو الشِّرعة عند كل من الدكتور «محمود أبوالسعود»، والدكتور «عمادالدين خليل»، والدكتور «محسن عبدالحميد»، وهو فكرية الأمة عند الدكتور «محمد عمارة»، وهو الذات الحضارية عند «مالك بن نبي»، و«علي شريعتي»، و«محمد إقبال»، وهو أيضاً الأيديولوجيا أو الفكر عند مفكرين إسلاميين آخرين.

إنه مهما تباينت صور الألفاظ واختلفت رسوم التعابير عن هذا المعنى، فهو من باب التجوّز في التعبير - كما يقول علماء اللغة - فالمهم، بل الأهم هو أن تتحقق فعلاً هذه الذات الحضارية في الممارسة الواقعية لشؤون الأمة كافة، وأن يكون واقعها الحي المعيش انعكاساً وتعبيراً صحيحاً عن جوهر ذاتها المستقلة المتفردة: وأن تصبح هذه الذات خلفية معيارية موجهة للسلوك الاجتماعي والاقتصادي وللمنجزات والأعمال والعلاقات بين أفراد الأمة نفسها أو بين الأمة وبقية الأمم الأخرى التي ترتبط معها في علاقات مصالح ومنافع أرضية مادية.

وفي نظري أو تقديري أن هذا الشرط تحديداً له فرادة خاصة بين بقية شروط الاستنهاض أو الإقلاع الحضاري، فهو إلى جانب كونه يحقق معنى وقسمات التميز والاستقلالية لشخصية الأمة ونسقها الفكري والاجتماعي والتربوي... فإنه كذلك عنصر تعضيد وتقوية يدعم اتجاه الثقة بالنفس لدى كل دوائر الأمة ومؤسساتها الفاعلة.

وقد أدركت دوائر الاستعمار والإلحاق الحضاري في المؤسسة الغربية خطورة فلسفة العودة إلى الذات، فراحت تعمل وتخطط في اتجاه الحيلولة دون انتشارها والوعي بأبعادها ومقاصدها... يقول المفكر الدكتور «علي شريعتي»: «اليوم وقد أخرج الغرب كل البشر من قواعدهم الذاتية والثقافية، ومن قدرتهم على التوالد الذاتي والانفعال الداخلي وجعلهم في صورة عبيد محتاجين أذلاء ضعفاء متلصقين ومقلدين... ما الذي ينبغي عمله؟ الشعار الذي طرحه المفكرون في الخمسة والعشرين عاماً الأخيرة كآخر تجربة ثقافية مضادة للاستعمار هو: العودة إلى الذات»(٢).

٢ - العناية بالمنهج الفكري

يعتقد اليوم معظم المفكرين المسلمين والباحثين في اجتماع المجتمعات الإسلامية، بأن جوهر الأزمة في الواقع الإسلامي هي المسألة الفكرية والثقافية... أي أن هناك مشكلة في المنهج... إذ إن عملية التوجيه الفكري من أعوص المشكلات التي تعترض النهضة والتنمية والتغيير داخل تطور أي حراك اجتماعي، أو في بوتقة أي صيرورة حضارية، وذلك لارتباط هذا الجانب بعالم القيم، أو المناحي المعنوية ذات الدلالات والأبعاد المتشابهة والمعقدة... ومن ثم فهي عملية تقتضي مهندساً بصيراً بالبناء الفكري وإعادة صياغة وترتيب الأفكار، ولعلنا نذهب هنا إلى أن هذه هي دوائر ومساحات الاجتهاد التي تنصبُّ عليها جهود حركات التجديد الفكري والإصلاح الاجتماعي والاستنهاض الحضاري.

وعملية توجيه الأفكار تستهدف أساساً تنظيم الحركة الاجتماعية وحسن توزيع الأدوار واستثمار الطاقات والأنشطة المختلفة لصالح البناء المنهجي الحضاري للأمة، وحل المعضلات المختلفة القائمة في واقع الأمة، ومجابهة التحديات التي تستهدف تعويق الأمة عن الانطلاق والتقدم، إذ ليس يكفي أبداً في هذا الصدد أن ننتج أفكاراً، بل يجب

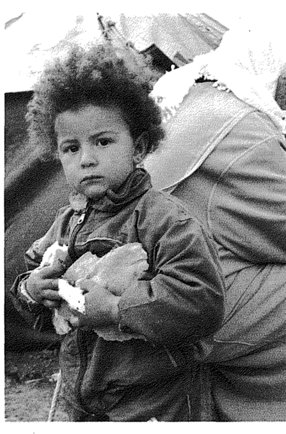
إحداث النهضة والإقلاع الحضاري رهن بشروط وآليات

- وهذا هو الأهم - أن نوجهها طبقاً لمهمتها الاجتماعية المحددة، أو التي نريد تحقيقها - كما يعبِّر المفكر الجزائري «مالك بن نبي».

إذاً من الضروري والمنطقي - وهذا من مقتضيات المنهج - «الربط بين (الاجتهاد) ومعدل (حركة الفكر الإسلامي) المعاصر القادر على إيجاد حلول للمشكلات والقضايا المعاصرة التي تواجه المجتمعات المسلمة، والقادر على إبداع البدائل لما يسود تلك المجتمعات من أنظمة وافدة اجتثت من فوق أرضها لتزرع في أرض الأمة الإسلامية عنوة وقسراً... فبقدر الجهد المبذول في البحث عن حلول معاصرة للقضايا التي تجثم على صدر الأمة الإسلامية بقدر ما يزيد معدل الحركة الفكرية في المجتمعات المسلمة»(٣)... إن المنهج الفكري الصحيح، المتماهي مع ذات الأمة ومكوناتها الروحية والحضارية، هو الأداة المنطقية المناسبة حقاً لإعادة الصياغة والبناء، وتجاوز السلبيات والمعوقات، أو هو بعبارة أوضح المدخل الوحيد المحقق للتغيير المنشود.

٣ - شحذ الفاعلية الفردية والجماعية

ونقصد بالفاعلية هنا التجاوب النفسي والكياني كله الذي يفجِّر الإرادة ويضبط التوازن الاجتماعي الفردي.. فالفاعلية حال نفسية ترفع الهمّة وتضاعف العطاء والنفع سواء على مستوى الفرد نفسه أو على مستوى الجماعة أو الأمة، أو هي باختصار قدرة الإنسان على تحويل الطاقة المودعة فيه إلى عمل نافع بأمثل الطرق وأفضل الأساليب المتاحة له في عصره(٤) وهناك أمثلة كثيرة عن حقيقة الفاعلية في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح. فالخليفة العظيم «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه، وصفت حياته بعد إسلامه بأنها



الاستقرار الاجتماعي والأمني يمد المشاريع الفكرية بالدفع والقوة

حياة فاعلة، لها مردود ملموس ومؤثر. بالرغم مما أثر عنه من قلة الحفظ واستيعاب النصوص. وعمار بن ياسر رضي الله عنه، الذي كان يقوم بجهد عاملين اثنين في أثناء بناء أول مسجد في الإسلام وهو مسجد «قباء»، حتى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن لاحظ فاعلية «عمار» رضي الله عنه: «للناس أجر ولك أجران»... إن هذه الفاعلية هي التي تنقصنا اليوم. وهذا أحد أسباب ضعف الأداء أو قلة الإتقان للأعمال والواجبات التي تسند إلينا أو نكلف بها. فينبغي إذن أن نقتنع بأننا فعلاً «نحتاج في ساعات الإقلاع الحضاري إلى روحية اجتماعية عالية ومتوقدة وعاملة... ذلك أن فترة «الإقلاع الحضاري» تحتاج إلى فاعلية روحية ضخمة أكبر من أي فترة أخرى من فترات النمو الحضاري»(٥).

٤ - الموازنة بين الإمكان والطموح

لابد أن الرشد العقلي أو الفكري الحصيف، يقضي بضرورة العمل بمبدأ الموازنة الدقيقة بين الإمكان والطموح، أي استغلال الإمكانات والقدرات المتوافرة بالفعل، وإقامة الخطط والمشروعات والمناهج وفق تلك الإمكانات والقدرات، مع ضبط الطموحات والآمال والتطلعات، فإن حسن استغلال ما هو موجود وقائم بالفعل، أولى من التعلق بطموحات وآمال قد تكون معطياتها ومقتضياتها بعيدة المنال.

انظر مثلاً إلى بعض الدول التي تتوافر لديها الإمكانات الزراعية الهائلة، من أراض خصبة ومياه جوفية ومناخ معتدل ويد عاملة مدربة، لكنها مع ذلك كله تتجه إلى الصناعة الثقيلة، التي لا تملك متطلباتها، وكان ينبغي أن تستغل أولاً الإمكانات القائمة في الواقع... وما ينتج من ذلك الإمكان القائم بالفعل من خبرة وقوة مادية هو الذي يقودها بعد ذلك إلى تحقيق طموحاتها في المجالات الأخرى.

في هذا النطاق كثيراً ما يقع الدارسون والمخططون للتنمية والتغيير والبناء الحضاري في أخطاء منهجية قاتلة، وخصوصاً عندما يلجأون إلى أسلوب المقارنة بين إنجازات شعب ما بإنجازات شعب آخر. ومع أنه يصح الاستئناس بهذا الأسلوب لأغراض علمية في أثناء التحليل المقارن المتعلق بدراسة مشكلة التخلف، كأن نقول مثلاً: إن الشعب الجزائري يساوي ديمغرافياً عدد الشعب الكندي، أو أن الشعب التونسي يماثل عدد الشعب السويدي... أو كأن نقول: إن مساحة «الجزائر» تعادل مساحة «فرنسا» خمس مرات كاملة، وأن مساحة «تونس» تعادل مساحة «هولندا» ثلاث مرات! بيد أن هذا الأسلوب الدراسي أو العلمي الذي نذكره أحياناً في بعض دروس الجغرافيا، هو يقيناً غير أسلوب المقارنة بين منجزات شعبين من الشعوب، أو أمتين من الأمم.

فنحن إذا انتقلنا إلى مجال التقدم العلمي، أو مستوى الحياة والحضارة، وجدنا البون شاسعاً بين «الجزائر وتونس» من جهة، وبينهما وبين «كندا والسويد وفرنسا

وهولندا»، إذن نســـتطيع الذهاب إلى أن منجزات شعب من الشعوب أو أمة من الأمم، إنما تقاس «بإمكانات وطموحات ذاك الشعب نفسه، أو تلك الأمة نفسها» وليس صحيحاً أن تقاس تلك المنجزات بمنجزات شعب آخر، ذلك أن الإمكانات والطمـوحـات لا تكون حينئذ متكافئة، فينبغي إذاً مراعاة هذا المبدأ كي نتجنب الإحباط وضعف العزائم، في سيرنا الحضاري المعاصر، ونحن نحاول تخطي سدود التخلف والتبعية التي بعثرها في طريقنا الاستعماري الغربي الحديث.

٥ ـ الاستقرار الاجتماعي

يعتبر الاستقرار الاجتماعي، واستتباب الطمـــأنينة والأمن الداخلي، أبرز وأهم الأسباب التي تمد المشاريع الفكرية والبرامج التنموية بالدفع والقوة، بل إن عجلة التنمية لا يسعها أن تتقدم في غير جو الاستقرار والهدوء والتماسك الاجتماعي، وقد أدرك الإسلام هذا العامل وأثره البالغ في حركة التطور والنهوض والبناء الحضاري، فأولاه عناية خاصة، وشدد على تثبيت أسبابه وركائزه داخل البنية الاجتماعية العامة.

والدارس لأدبيات الإسلام الأساسية يلحظ في غير جهد أو مشقة، مدى اهتمام هذا الدين الحنيف بآليات التماسك الاجتماعي وأسباب تآزر وتكافل أفراد المجتمع المسلم، وأيضاً مدى مناهضته لكل ما من شأنه أن يخلق الفتنة بين صفوف المجتمع، أو ما يولد «الاستفزاز الاجتماعي» ـ حسب تعبير المفكر السعودي الدكتور «محمود سفر» ـ ذلك أن التفاوت في الأرزاق والمواهب سنة إلهية في الاجتماع البشري لكننا إذا لم نحسن التعامل مع هذه السنة، فقد ينجر عن ذلك ما لا تحمد عقباه... فإن الله تعالى «خلق الخلق والتفاوت في أرزاقهم فبرز تبعاً لذلك التفاوت الاجتماعي» في المجتمع المسلم كوسيلة من وسائل العيش وتسيير دولاب الحياة بتسخير البشر لبعضهم بعضاً في ظل ألفة ومحبة وإخاء إنساني... لكن من الشروط الموضوعية لتحقيق الألفة والمحبة والإخاء الإنساني في المجتمع المسلم ألا يبرز فيه «الاستفزاز الاجتماعي» وأسبابه التي نهى عنها الدين ورفضتها القيم والتقاليد الصالحة»(٦).

فلننظر إلى أي مدى تتجنب المجتمعات الإسلامية أسباب الاستفزاز الاجتماعي... وإلى أي مدى تعمل من أجل التماسك الداخلي؟!.



٦ ـ استيعاب حضارة العصر

في العطاء الحضـاري هناك ما هو خصوصيات أو بصمات ذاتية خاصة بأمة من الأمم، وما هو أيضاً مشترك إنساني عام، لذلك نشدد على أن المقصود باستيعاب حضارة العصر، إنما هو الجوانب الإنسانية العامة المشتركة، وخصوصاً منها ذات المنحى العلمي والتقني المحض، وينبغي كذلك أن ننبه إلى أن قضية استيعاب العصر وحضارته ليست مسألة بسيطة، بل هي تتطلب بدءاً كل الشروط المذكورة آنفاً... إنها باختصار شديد ليست «مقالاً يُكتب أو كتاباً يُنشر أو حديثاً يُذاع، أو خطبة تُلقى، أو بضاعة تُباع... لكنها معاناة وجهاد تسهم فيه الأمة، بكل مؤسساتها ومعاهدها ومعاملها ورجالها، وتعقد عليها العزم للبناء والمثابرة، وتسقط في سبيلها من حياتها مظاهر الترف والدعة والركون إلى الاستسلام والتواكل، حتى تستطيع أن تتهيأ لعملية الاستيعاب، وتقيم البناء الحضاري على عُمد ثابتة راسخة متينة».

مما تقدم نفهم أن هناك شروطاً صارمة ودقيقة، لابد من الوفاء بها، حتى نتمكّن من بلوغ النجاحات المأمولة لمشروع أمتنا الحضاري، وبالتالي تحقيق انعتاق واستقلال ذاتها الحضارية بشتى مكوِّناتها وأبعادها، وخروجها النهائي من دائرة التبعية والإلحاق الحضاري للآخر ■

•• الهوامش ••

١ ـ مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، فصل: المجتمع والأفكار.

٢ ـ علي شريعتي، العودة إلى الذات، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة ١٩٨٦م، ط١، ص ٤٢ ـ ٤٣.

٣ ـ محمود سفر، ثقب في جدار التخلف، دار الصافي للثقافة والنشر، الرياض، ١٩٨٩م، ط١، ص١١٠.

٤ ـ سيد دسوقي حسن ومحمود سفر، ثغرة في الطريق المسدود، دار آفاق الغد، القاهرة، ١٩٨١م، ص ٩٥.

٥ ـ المرجع نفسه، ص٩٩.

٦ ـ محمود سفر، ثقب في جدار التخلف، مرجع سابق، ص٥٧.

٧ ـ محمود سفر، دراسة في البناء الحضاري، كتاب الأمة (٢١)، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر، رجب ١٤٠٩هـ ـ ص١١٢.

قراءة في كتاب

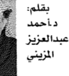


العلمانية طريق التقدم!!



ينظر صاحب الكتاب إلى الماضي الإسلامي على أنه زمن مضى وانتهى!







بقلم:
د.أحمد عبدالعزيز المزيني
كاتب كويتي

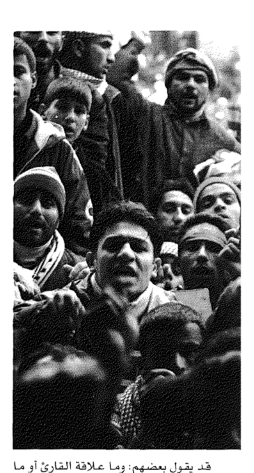
أولاً: صدر عن دار «قرطاس» للنشر «الكويت ٢٠٠٤م» كتاب عنوانه: «العلمانية طريق التقدم»، الكتاب تأليف: «إسحاق الشيخ يعقوب»؟، وقد حملني عنوان الكتاب إلى قراءته كلمة كلمة وسطراً سطراً، وصفحة بعد صفحة، وانتهيت بعد ذلك إلى جملة من الملحوظات والنتائج، رأيت أن أضعها بين يدي القارئ ليتعرف إلى الآفاق التي يتحرك فيها كرادلة العلمانية والإلحاد في بلادنا والأهداف المغرضة التي يسعون إلى بثها وتحقيقها تحت شعارات زائفة وعبارات خادعة، مثل: التقدم والتطور وتحقيق الحرية والعدالة والمساواة والتحول نحو الديموقراطية وبناء مؤسسات المجتمع المدني.

ولولا أن هذا الكتاب يحمل دعوة سافرة لتبني خيار العلمانية وفصل الدين عن الحياة، والتهجم على تراثنا الديني، والغمز في رموزه بين حين وآخر، والمغالطات في آيات الله تعالى، لما كلفت نفسي عناء متابعة قراءته ومشقة عرضه على القراء، فمكتبات بلادنا العربية ذات الطول والعرض تطفح بمثل هذا الكتاب الذي يبشر بـ«أتوبيا» العلمانية، غير أنه تحديداً له منهجية خاصة به، أقل ما يقال فيها: إنها تميَّزت عن غيرها من منهجيات تلك الكتب بدرجة عالية ونبرة حادة من الصراحة السافرة إلى الدعوة إلى خيار العلمانية بكل ما تستند إليه من أسس وما تقوم عليه من مبادئ، وما تطرحه من أدبيات.

سأتوقف عند أبرز النقاط والمعالم التي يحتويها هذا الكتاب المشبوه، مؤكداً أن من الصعوبة بمكان، التوقف عند كل شاردة وواردة فيه، لأن ذلك يحتاج إلى عشرات الصفحات.

مؤلف هذا الكتاب(؟)

جاء في صفحة الغلاف أن مؤلف الكتاب هو: «إسحاق الشيخ يعقوب»، وهو غير معروف بالنسبة لي شخصياً ولم تفصح «دار قرطاس» التي تولت نشره بشيء عنه، ولا سيما أن دور النشر الحديثة اعتادت منذ عقود قريبة أن تذيل الكتب التي تنشرها في صفحة عن المؤلف (المؤلف في سطور)، توضح على الأقل مكان ولادته، ومؤهلاته وموقعه العلمي والعملي ونتاجه الفكري... وهو مما يبهج المؤلف ويزكيه لدى القراء، ولكن دار النشر لم تفعل شيئاً من ذلك، كما خلا الكتاب من مقدمة، توضح واقع المؤلف والبواعث التي حملته على تأليفه، والأهداف التي يبتغيها منه، مما زاد من حال الالتباس حول مؤلف الكتاب، وأصبح القارئ وجهاً لوجه أمام مادة الكتاب الذي يحمل اسماً غير معروف ولا مألوف لديه.



قد يقول بعضهم: وما علاقة القارئ أو ما جدوى معرفته بمؤلف الكتاب؟ إذ إن المهم محتواه ومضمونه... ونقول: إن ذلك مهم جداً ولا بد منه، لأننا من خلال هذه المعرفة العابرة تتكون خلفية معينة تساعد على إلقاء الضوء على محتواه ومضمونه وأهدافه، وليس من المستحب ولا من المقبول من باب العلم أن نقرأ كتاباً من دون أن نعرف عمَّن صدر، ومتى صدر في تاريخ حياة المؤلف، لأن تراتب المعرفة وتصنيفها ونسبتها إلى أصحابها أمر لا غنى عنه في تكون ثقافة الفرد والأمة على حد سواء.

قد يقال: إن الكتاب يحمل اسماً لمؤلف معيّن هو: «إسحق الشيخ يعقوب»، وأقول رداً على ذلك: إن هذا الاسم غير معروف، وهو - كما يبدو منه - ملفق تلفيقاً، فإسحق اسم لنبي، ولأشخاص كثيرين، وكذلك يعقوب والد إسحق، وأما كلمة «الشيخ» فهي صفة، ولا يسمى بها أحد، ولو افترضنا أن هناك أسرة تحمل اسم «الشيخ يعقوب»، فلا تزال معرفتنا بها ناقصة؟ وربما ترمز إلى الجد الأعلى للأنبياء، وهو «إبراهيم» عليه السلام «خليل» الرحمن، وفي ظني أن المؤلف الحقيقي تستر وراء هذه الأسماء، ليخفي شخصيته عن عمد وقصد، ولحاجة في نفسه ستسفر عنها مادة كتابه، والذي دفعنا إلى هذا التأويل حال الالتباس التي سببتها دار «قرطاس»، التي تركت الأمر غامضاً ملتبساً على هذا النحو.

على أن مادة الكتاب وتفيقه أسلوبه ولغته، وما في طريقة عرضه من سمات مميزة تدفعنا إلى أن نضع أصابعنا بقوة على ملامح المؤلف وشخصيته، ومن البساطة إذا قلنا: إنه ماركسي علماني، لأن مادة الكتاب تحمل هذه الملامح، وأكثر الأشخاص الذين اعتمد عليهم يساريون، ولكن ليس من البساطة إذا قلنا: إنه ليس بعيداً عن شخص نعرفه، ذهب في أوائل الثمانينيات إلى الخارج، ليتخصص فيما تخصص فيه، ثم عاد وأخذ يشارك بقلمه في إحدى الصحف الكويتية، ميمماً وجهه شطر العلمانية والماركسية، ومتوجهاً في أكثر ما كتب نحو الجماعات الإسلامية وحركاتها المختلفة، وله أسلوبه في الكتابة وأفكاره الخاصة بما يتماثل ويتشابه إلى أبعد الحدود مع أسلوب هذا الكتاب ولغته ومادته ولذلك نميل إلى الاعتقاد بأنه هو عينه وقلمه وأسلوبه وفكره المتطرف، ومع هذا كله ومع يقيننا بأنه هو وأنهما شخص واحد تبقى شخصية المؤلف مغلفة بالغموض، وقد تظهر يوماً شخصية المؤلف الحقيقية على الصحف، ويرد علينا ويصفنا بأننا غالينا في أوهامنا، وذهبنا بعيداً في كل ما قلناه عن شخصيته، حينئذ نقول: كان من الواجب على دار «قرطاس» أن تدفع هذه الأوهام ابتداء، بإضافة صفحة واحدة، تعرف فيها المؤلف إضافة إلى صفحات الكتاب التي بلغت ٢٢٩ صفحة، ولهذا نرى أنها المسؤولة عن حال الالتباس هذه.

لماذا التستر والتخفي؟

هناك في بلادنا العربية عشرات العشرات من الكتب التي نادى أصحابها بالعلمانية، وفصل الدين عن السياسة والحياة، ولم يحاول أصحابها التخفي وراء أسماء مستعارة، ولكن من يقرأ هذا الكتاب تحديداً يجد أن الدعوة إلى تبني خيار العلمانية جاء في شكل مشروع قومي، يستهدف هدم التراث الديني الذي فشل - على حد أقوال المؤلف - في إحداث التقدم وتحريك عجلة التطور، وإقامة مجتمع علماني ديموقراطي تعددي، وقد اتسمت لغة هذه الدعوة بدرجة عالية من الصراحة السافرة، ونبرة حادة من التجريح والشتائم، وغمز مبطن وصريح أحياناً أخرى في شخصيات إسلامية ورموز دينية.

لذلك كان التستر والتخفي وراء اسم مستعار، فجاء الخطاب من وراء حجاب، وقد يقال - إذا وقعت اللائمة على المؤلف واحتدم الجدل حوله - إن دار النشر أعلنت عن نفسها، وقد نقول كما يقول غيرنا: إنها - وإن كانت شريكة وتتحمل جزءاً من المسؤولية - يمكن أن تبرئ ساحتها، بأن الكتاب جاءها من مكان ما ومن مؤلف قد يعيش في جنوب أفريقيا أو في أي مكان من العالم!!.

حاول مؤلف الكتاب أن يتلاعب بالألفاظ والعبارات من خلال أسلوب فلسفي

منهج الكتاب

يعتمد الكتاب منهجاً يجمع بين التاريخي والتحليلي والاستدلالي، فبعد أن يعرف «معنى ومبنى العلمانية» ويحاول أن يرفع عنها ما أصابها على أيدي الكتاب «الظلاميين» على حد تعبيره من تحريف وتشويه يبدأ بالتبشير لـ«أتوبيا» العلمانية، وأنها الطريق الأوحد، إلى التقدم والتطور والحرية والعدل والمساواة بين البشر، وأنها ليست كفراً ولا إلحاداً ولا شركاً، ولا تتعارض مع الدين وإنما هي تحترم الأديان، ولا سيما عندما يتم فصلها عن الحياة السياسية التي تقوم على الخديعة والدسيسة... ويحاول في بعض الصفحات التلاعب بالألفاظ والعبارات واللجوء إلى الأسلوب الفلسفي في التعليل والبرهنة على نزاهة العلمانية وطهارتها، وأنها لغة العصر، يقول: «يرتبط النص بالواقع، كما يرتبط الواقع بالنص، الواقع حركة أبدية للنصوص، كما أن النصوص حركة أبدية أيضاً للواقع» ص٢٥، ولا يبتغي من ذلك إلا الطعن في النصوص الدينية التي - على حد فهمه وزعمه - لا تصلح لكل زمان ومكان.

يتكشف الجانب الاستدلالي «القسري» في سرد بضع صفحات ومواقف من التاريخ الإسلامي، مع التركيز الشديد المنهج على الجوانب السلبية فيه ليقنع القارئ بهدفه الذي يسعى إليه، حيث تأتي بعد ذلك السرد لحظة الفرج عندما ينتهي كلامه في أكثر فصول الكتاب بالنهاية السعيدة وهي التبشير بالعلمانية، بمعنى آخر، يأتي بمقدمات في تشويه صورة الماضي ليفصل لها نتيجة واحدة هي حتمية الأخذ بالعلمانية، وتتكرر هذه الظاهرة بصورة لافتة، مثل:

- «... إلا بعملية علمانية عقلانية» ص ٣٤.
- «... وإن طريق التقدم مرهون بالعلمانية» ص ٥٠.
- «... وهذه الحيثية الأثيرة تستقيم مع فصل الدين وإبعاده عن السياسة» ص٦٤.
- «... والعمل على تشريع العلمانية» ص٧٠.
- «... وتأتي العلمانية كحل ناجح وضروري لتنقية المجتمع وإبعاده عن الإرهاب والمفاهيم الفاشية والغلوائية والأصولية المتطرفة» ص٩٨.
- «والعمل الجاد من أجل تعميق وتوسيع الديموقراطية والعلمانية» ص١٠٤.
- «... وتأتي الحداثة والعلمانية كحل لفصل الدين عن السياسة» ص١٢١.

ويعلم الله أن بين يدي عشرات الجمل من هذا القبيل آثرت عدم ذكرها خشية الإطالة.

نظرته إلى الماضي

صاحب الكتاب ينظر إلى الماضي، وبصفة أخص إلى الماضي الإسلامي وماضي المسلمين على أنه زمن مضى وانتهى بكل ما فيه، لذلك نجده يكرر مفهوم «ارتباط النص بالواقع وارتباط الواقع بالنص»، ويرى أن الشرائع السماوية عندما «تصبح حركة نصوصها في واقع حركة الزمان والمكان وتأخذ حراك تشكل واقعها في حركة العلاقة بين النص والواقع» ص٢٥، ولا بأس لنا من الاستطراد في نظرته إلى الماضي، وسيأتي التعليق لاحقاً، يقول:

- «أما الماضي فقد أصبح في خبر كان» ص٣٥.
- «أبوحنيفة لو عاش لغيَّر من كلامه» ص ٢٨، ٣٢، ٣٥.
- «... ولو عاش النبي (زماننا) لغير كلامه» ص٢٨، ٢٩.
- «اندثرت أجسادهم في تراب الماضي» ص٣٥.
- «النقل (التراث الديني) حيثية ماضوية... وليس كل ما هو منقول معقولاً سواء في زمانه أو في مكانه، والنصوص المنقولة نقيض متجدد للعقل» ص٣٩.
- «إن عقل جدل العلم والتحديث والحداثة في الطبيعة والفكر والمجتمع خلاف عقل «الميتافيزيقيا» الذي ينزع إلى تشويه الوعي وتجهيله، وربطه بولاية الماروائية» ص٤٥.

تعقيب

سؤال أوجهه إلى هذا العلماني

ما المقصود بعقل «الميتافيزيقيا» وولاية الماورائية؟

إنها في عرف العلمانيين الملحدين تعني الطبيعة، ولكنهم يقصدون منها الله عز وجل، ونستغفر الله على هذا الكفر البواح، والماورائيات هي الغيبيات، والله تعالى والملائكة والجنة والنار من الغيب (الذين يؤمنون بالغيب). وكيف يعطي نفسه الحق في أن يحاكم التاريخ الماضي بافتراض أن أبا حنيفة لو عاش، أو أن النبي صلى الله عليه وسلم عاش زماننا لغيَّر وبدل من أقواله؟ ونسي عن خبث وتجاهل أن الرسول آخر الأنبياء، وأنه جاء على قدر، ولا ينطق عن الهوى، وأن الله يعلم حيث يجعل رسالته، ولكن «إيدز العلمانية» يعمي البصائر، ويطمس الحقائق ويدفع إلى الإلحاد والتجديف والشرك بالله.

> التستر والتخفي وراء اسم مستعار جعل الخطاب من وراء حجاب

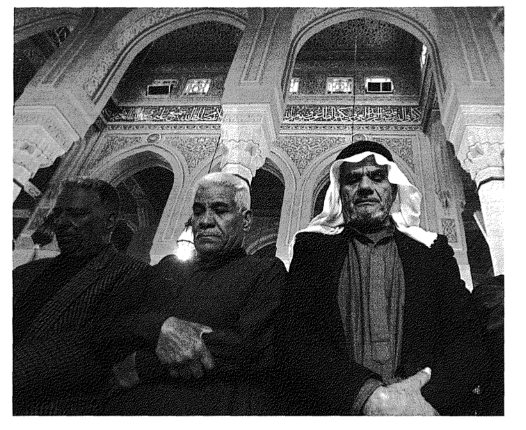
إذا كان صاحب الكتاب على قناعة بأن العلمانية هي طريق التقدم كما حدث للغرب الذي يعتبره النموذج الأمثل له في تطبيق العلمانية وفصل الدين عن السياسة، ومن رحم العلمانية خرجت جميع الابتكارات والمخترعات... فهو على خطأ وعلى ضلال، لأن هذه الابتكارات جميعها نتيجة ثورة صناعية دفعت بالرجل الغربي إلى الأخذ بالأسباب التي أدت إلى ذلك، كما دفعت به لضيق القارة الأوروبية إلى ركوب البحار واستعمار الأرض، وسلب ثرواتها واسترقاق شعوبها وأخذ خيراتها، فتقدم الغرب في وقت توقفت عجلة التطور عند غيره من الشعوب، وإذا كنت تعتقد أن الغرب توصل إلى ذلك كله بالعلمانية وفصل الدين عن الحياة فهذا وهم وخداع للنفس. وليس من قبيل تحليل موضوعي للأسباب الحقيقية لنهوض الغرب في وقت لم ينهض فيه المسلمون منذ القرن الخامس الهجري، فقد أقام المسلمون حضارة إسلامية تركت بصماتها ومعالمها وملامحها وسماتها في الحضارة الغربية، التي لم تنفصل عن تاريخها الماضي وبالذات الحضارة الإغريقية، وقد كان المسلمون ينضوون إبان مجدهم ونهوض حضارتهم تحت لواء الإسلام ولم يفصلوا الدين عن الحياة ولم يكونوا علمانيين، ولن يكونوا علمانيين كما تشتهي، وإذا كنت تنتشي وتبتهج لمناداتك بفصل الدين عن السياسة، فأنا واحد من بين كثيرين يدعون إلى تناغم الدين مع السياسة واندماجهما معاً، لأن الدين الحق يكبح جماح النفوس الشريرة من الساسة، وعندما خرج المسلمون في فتوحاتهم الإسلامية كانوا رحماء مع الشعوب والأمم والبشر والحجر والشجر، ومع الشيوخ والنساء والأطفال، وقد كان لفتوحاتهم أو لحروبهم أهداف سامية، وآداب وأخلاق سجلها التاريخ لهم بفخر واعتزاز. انظر ماذا يقول «غوستاف لوبون» المؤرخ والفيلسوف الفرنسي في كتابه «حضارة الغرب»، متحدثاً عن عدالة الفاتحين المسلمين وسماحتهم:

«كان يمكن أن تعمي فتوح العرب الأولى أبصارهم، وأن يقترفوا من المظالم ما يقترفه الفاتحون عادة، ويسيئوا معاملة المغلوبين، ويكرهوهم على دينهم ولكن العرب اجتنبوا ذلك، فقد أدرك الخلفاء السابقون الذين كانت عندهم من العبقرية السياسية ما ندر وجوده في دعاة الديانات الجديدة، أن النظم والديانات ليست مما تفرض قسراً».

وفي اعتقادي وتقديري أن المكوّن الأساسي للعبقرية السياسية التي كان يتمتع بها الفاتحون المسلمون، والتي تحدث عنها هذا المؤرخ هو الإسلام، الذي تريد أن تفصله عن الحياة، فانظر أيها القارئ ماذا يقول مؤرخ فرنسي، وماذا يقول أحد كرادلة العلمانيين في بلادنا؟! ■

(يتبع)

قراءة تاريخية تحليلية لحركية الخطاب الدعوي



أهداف الخطاب الدعوي الإسلامي التصورية والواقعية والنظرية تبلورت على يد الرسول الكريم خلال مسيرته الدعوية



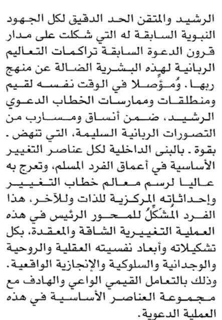
بقلم: د.أحمد عيساوي

أستاذ الدعوة والفكر الإسلامي المعاصر كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية جامعة باتنة. الجزائر

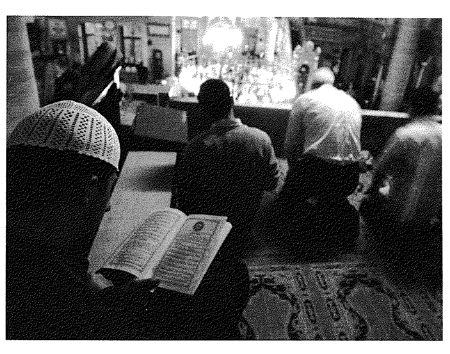
أولاً: واقع الخطاب الدعوي وعصر انطلاقته

تبلورت أسس وقيم ومكونات ومناهج واتجاهات وأهداف الخطاب الدعوي الإسلامي التصورية والواقعية والنظرية والعملية بلورة نهائية على يد رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم خلال مسيرته الدعوية بين القبائل العربية، وغيرها من القبائل اليهودية، وبعض متنصري العرب، ومتحنفيهم في أرجاء الجزيرة العربية. ومع سائر القوى الوثنية والكتابية المجاورة في شمال وجنوب الجزيرة العربية (الروم. الفرس. الأحباش.) على مدار جهاد ومكابدة سني الدعوة والدولة في مكة المكرمة والمدينة المنورة. وفي أثناء تكوينه وتدريبه وإعداده لجيل التغيير المنشود من صحابته الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، الذين شكلوا منارات اهتداء إضافية في مشهد الخطاب الدعوي الإسلامي الرشيد، وقبسات نور معلمية واقعية في أنحاء شتى من جزيرة العرب.

وقد أسس رسول الله صلى الله عليه وسلم بشكل نهائي لمكونات ومناهج الخطاب الرباني للبشرية قاطبة، واضعا بذلك التأسيس الدعوي



الرشيد والمتقن الحد الدقيق لكل الجهود النبوية السابقة له التي شكلت على مدار قرون الدعوة السابقة تراكمات التعاليم الربانية لهذه البشرية الضالة عن منهج ربها، ومُوَصِّلا في الوقت نفسه لقيم ومنطلقات وممارسات الخطاب الدعوي الرشيد، ضمن أنساق ومسارب من التصورات الربانية السليمة، التي تنهض - بقوة - بالبنى الداخلية لكل عناصر التغيير الأساسية في أعماق الفرد المسلم، وتعرج به عاليا لرسم معالم خطاب التغيير وإحداثاته المركزية للذات وللآخر، هذا الفرد المُشَكِّلُ للمحور الرئيس في هذه العملية التغييرية الشاقة والمعقدة، بكل تشكيلاته وأبعاد نفسيته العقلية والروحية والوجدانية والسلوكية والإنجازية الواقعية. وذلك بالتعامل القيمي الواعي والهادف مع مجموعة العناصر الأساسية في هذه العملية الدعوية.



الخطاب الدعوي الإسلامي تنبه منذ انطلاقته إلى أهمية العناصر الديناميكية في عملية التغيير الحضاري

وقد تنبه الخطاب الدعوي الإسلامي منذ بداية انطلاقته الدعوية الجهرية إلى أهمية هذه العناصر الديناميكية والأساسية في عملية التغيير الحضارية، لنقل أمة العرب بدءاً من التردي والراهن الوثني، باتجاه الأفضل المثالي والواقعي الرباني، تمهيدا لنقل البشرية كلها الرازحة تحت قرون الوثنية، وأغلال الجبروت والظلم، ونير الطغيان والعبودية.

وقد سعى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثناء عكوفه على صناعة وصياغة جيل التغيير المنشود من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم إلى تفقيه وتدارس رشيد وعميق لمكونات هذه العناصر التغييرية، عبر تغذية وتنمية الوحي الإلهي لمصادر ثقافته وفهمه وإدراكه، وذلك عبر إمدادات الوحي الإلهي المقدس، وتعاليمه القرآنية الرشيدة، وقيمها اليقينية المطلقة، وحقائقها القيمية الأكيدة القطع، المختزلة لمعطيات ولتجارب ولأحاديث القرون الوثنية العجاف، ولأحداث السنين البائدة في التعامل مع معطيات ومكونات المنهج الرباني، والمبلورة لسائر جهود الأنبياء والرسل الأكرمين العظيمة عليهم الصلاة والسلام في صناعة وصياغة الخطاب الدعوي الإسلامي الرشيد، والملائم لتبليغ تلك التعاليم الربانية لأممهم.

وعلى الرغم من تعدد التصورات والملل والنحل في جزيرة العرب (حنفاء. يهود. نصارى. دهريين. مشركين. وثنيين)، وتأسُس عادات الحياة العربية عليها، وترسُخها في نفوس وواقع وحياة الكثيرين منهم، وقدرتها على صنع خريطة فسيفسائية تصورية وعقدية في جزيرة العرب، الأمر الذي ينبه المتوسم المعتبر إلى استحالة قيام أي وحدة تصورية أو شعورية أو وجدانية أو واقعية بين سكانها، وهي صورة الواقع العربي الجاهلي يومها. إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استطاع - بفضل تأييد وتثبيت وتعليم الله له ثم بجهده البشري العظيم - أن يدرك أهمية هذا العنصر التصوري الداخلي الدقيق في عملية التغيير، فوجه غاية جهده، وأقصى طاقته لمعالجته بشتى الوسائل والطرق، شاغلا الحيز الأكبر من اهتمامه ووقته تجاهه، بحيث دام طوال سني الدعوة والدولة الإسلامية كلها، واستمر إلى أن أسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم روحه الطاهرة إلى خالقه بريئة صافية من كل مسؤولية بشهادة خالقه ومرسله سبحانه وتعالى حين أثنى عليه وفاءه بواجب حمل وتأدية أمانة الرسالة فقال: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) (المائدة: ٣)، مركزا مبضعه عليه الصلاة والسلام في معالجته الدعوية تلك على مسلك العبور لحظيرة الإسلام بنطق الشهادتين اللساني، وعشقهما القلبي والوجداني، وترجمتهما السلوكي والعملي، وعلى فريضة الصلاة كرمز قيمي محوري قائم، وكإطار مركزي جامع، ومُفَعِّل ومترجم لسلامة تلك القيم الربانية والتصورات المرجعية المقدسة في النفسية الإسلامية السوية، القابلة للتعامل والتفاعل مع كل خطاب دعوي إسلامي رشيد.

ولتبليغ هذا العنصر التوحدي الرئيس في عملية التغيير التي أحدثها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين جيل التغيير أولا، ثم بين القبائل العربية وغيرها في الجزيرة ثانيا، وما جاورها من الأقاليم ثالثا، ولضمان استمرار التدفق القيمي الرباني للسيل الدعوي خارج الجزيرة العربية حتى من بعد

وفاته صلى الله عليه وسلم عبر أصحابه الكرام رضوان الله تعالى عليهم، ـ وهو الذي حصل بالفعل مع صحابته الكرام من بعده ـ استجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم مع طليعة جيل التغيير المنشود كل عناصر التغيير المهمة الروحية والواقعية، ووظفها بكفاءة بالغة التأثير في خطابه الدعوي الإسلامي الرشيد الآني والمستقبلي، المحلي والإقليمي والعالمي. والمتمثلة في القراءة الدقيقة والرشيدة للتفاعل القائم بين مختلف العناصر (العقل. الوجدان. الواقع). (في أثناء تلقيها للخطاب الدعوي، وتفاعلها معه، وتأثرها به آنيا، أو تأثيرها فيه مستقبليا).

وقد ركز رسول الله صلى الله عليه وسلم على مَحلِّيَة وكيانية ومكانية وزمانية ووسيلة إلقاء مَتْنَ الخطاب الدعوي، مُفَعِّلا ـ قدر الإمكان ـ فهمه الدقيق لتفاعل هذه العناصر والمكونات مع بعضها بعضاً، لإنجاح فاعلية الخطاب الرباني في التأثير في عمق النفوس العربية المتلقية له، وعلى وجه الخصوص في نفسيات النخبة.

ولم تقف وسائل التبليغ ـ بالرغم من بساطتها وتلقائيتها ومباشرتها ـ يوما مانعا في حمل ونقل مضامين الخطاب الدعوي لمشركي الجزيرة العربية، كما أنها لم تمنعهم من الاتصال المباشر بصاحب الحنيفية السمحة لسماع خطابه، ومن ثم الحكم عليه، كما أنها لم تحجزه البتة عن تمرير ما يريده من التواصل معهم حيال مضامين الخطاب الرباني الأصيل، ونجح في مهمته التوصيلية تلك بمعية طلائع التغيير التنويرية من الصحابة. على رغم التشويش والإرجاف والدعاية المغرضة التي كان يحدثها فصيل المنافقين المندسين وأحبار يهود وبعض المرجفين من مشركي قريش خصوصا والعرب عموما.

والملاحظ على منهج صاحب الحنيفية السمحة صلى الله عليه وسلم أنه تدرج عليه الصلاة والسلام معهم عبر عناصر الخطاب ومكوناته، وعبر دوائر إيصال الخطاب، الفردي فالجمعي فالجماعي فالاجتماعي فالأممي. وعبر أماكنه القريبة والبعيدة والنائية والمجهولة. مقدما بذلك أدق وأبلغ تركيبة دعوية.

ومن ثمَّ نجح الخطاب الدعوي الإسلامي



نجاحات الخطاب الدعوي الاستراتيجية تمثلت في صياغة جيل رباني مثالي

في عصر تواضع وتلقائية وبساطة الوسيلة الدعوية، وحقق بعض مواطىء الأقدام في الجزيرة العربية، بدءا بمكة، ثم بالمدينة وما جاورها من أحياء القبائل العربية واليهودية، إلى أن صار أوجه وأقدر خطاب مقنع ومجيب، وموجه لمختلف المشكلات الغيبية والواقعية القائمة يومها. يدفع برفق وبثقة ووضوح كل خطابات الإرجاف والتشويه والتعتيم والإرباك الوثني.

وظل هذا الخطاب الدعوي الإسلامي الرشيد يزاحم هذه الخطابات الوثنية والكتابية المحرفة، ويتوسع على حساب الباطل والزيغ الكامن فيها، ويقلص من قدرتها على الاحتواء والمواجهة، إلى أن تبوأ مكان الصدارة بشكل نهائي في جزيرة العرب.

ولعل أهم نجاحاته الاستراتيجية المحسوبة له ـ بالإضافة إلى نجاحاته الكثيرة الأخرى ـ تمثلت في صناعة جيل رباني، وصياغة جيل اهتدائي واقعي ومثالي معا، قادر على حمل وترجمة رموز ومفردات هذا الخطاب الرباني في الواقع، باتجاه الذات والأنا أولا. وباتجاه الآخر، المحلي والإقليمي والعالمي ثانيا وثالثا ورابعا.

واقع الخطاب الدعوي في عصر عالميته

انطلق الخطاب الدعوي الإسلامي الرشيد من عقاله في الجزيرة العربية باتجاه الآخر المجاور بعد أن صفت له كينونة الذات، واستقر له الأمر السوي في قواعد الانطلاق، مغريا بمضامينه اليقينية وقيمه الربانية المطلقة هذا الآخر. مُبْهِرا ـ في الوقت نفسه ـ عقل الآخر المجاور، بما يحمله له من نباهة وفطنة وذكاء واقتدار. وُمُفحما الآخر أيضا بما يقدمه له من باقات الصفاء وصنوف الطهارة وصدق الأخوة والتوادد والسلام، كل ذلك في حوار حضاري غير مسبوق، قام بين خطابين دعويين متمايزين، لانتزاع بني البشر من واقعهم المعيش، باتجاه واقع آخر أكثر أمنا، وأرغد عيشا، وأفضل يقينا، وأرحب أفقا، وأضمن مصيرا وغاية.

انطلق هذا الخطاب الدعوي الإسلامي الرشيد بالوسائل الدعوية التلقائية عينها، مُعَزِّزًا في نفوس أصحابه والأمناء عليه بالقدرة على التأقلم مع الآخر ومع معطياته الجديدة، وبالقدرة على قابلية التفاعل والتعامل مع الواقع الجديد، وابتكار الوسائل الجديدة القادرة على ترقية إيصال مكونات ومضامين خطابه الرشيد إليه.

ووجد الآخر في هذا الخطاب ما يشفي غليله حيال قضايا روحية وواقعية كثيرة، ظلت غامضة ومبهمة عليه طوال قرون الفترة الماضية، فأقبل على هذا الخطاب إقبال المتعطش النهم، فارتوى من معينه المطلق بكل صدق وأريحية.

وقد تمدد هذا الخطاب الدعوي الإسلامي حتى شمل الكثير من الأعراق والشعوب والمجتمعات والأمم في زمن

قياسي، أكسبه مزيدا من الدعم والتأييد والتوسع، كما عاد عليه بإضافة قدرات تجريبية موروثة عن الآخر، وضعته سريعا في إطار القيادة العالمية الحضارية، على الرغم من قدرة ونباهة أعدائه على التلون وابتكار وسائل التعويق والتشويش والإرجاف الخفية.

ولم يكن لهذا الخطاب الدعوي الإسلامي الرشيد أن يكتسب رقعا من التمدد الروحي، ويحظى بمساحات واسعة من التنوع العرقي، ولولا مؤهلاته الحقيقية الرشيدة، ومصداقية نخبته الدعوية الفريدة، ومبادىء وقيم مرجعيته الربانية الصادقة، القادرة على استيعاب الواقع الراهن، ورسم معالم وآفاق المستقبل لما انتشر هذا الخطاب الدعوي عبر الآفاق انتشار النار في الهشيم.

ولعل أهم عامل استراتيجي أكسب هذا الخطاب سرعة التمدد وقياسية الانتشار تَضَمُّنُ مرجعيته المقدسة على أسس ومبادىء الحرية والعدل والأخوة والمساواة والتوادد والسلام والطمأنينة لكل المؤمنين به، ومنحه الاختياري لحقوق المواطنة الإسلامية العادلة والمطلقة لكل الداخلين فيه، وتأمينه الشامل لهم في أنفسهم ودمائهم وأعراضهم وأموالهم ومكانتهم. فأعطاهم من الحرية والمكانة بحسب مواهبهم، فحموا الدين، وحملوا علومه عن جيل الصحابة الكرام، حتى صار الدين لا يؤخذ إلا عن أعلام الأمم المفتوحة.

فاخترق بهذه القيم الربانية الفاضلة الحدود المرئية، وتسرب عبر السدود الخفية يعلن في الملأ الأعلى والأدنى أن عصر الرشاد والهدى هو هديته للبشرية الضالة.

واقع الخطاب الدعوي في عصر تعثره

استمر هذا الخطاب الدعوي الإسلامي الرشيد يمد البشرية قاطبة بمدد من التعاليم اليقينية، عبر وسائله التقليدية والمستحدثة طوال قرون التنوير الإسلامية السبعة الأولى، واستطاعت نخبه وطلائعه الوارثة لعلوم النبوة من سائر الأمم المفتوحة أن ترتقي به، وتجدده كلما طرأت عليه عاديات الران، وشوائب التدليس وتخليطات المتطاولين، فتدفق باجتهادها العلمي



عملية نقل الأمة المتخلفة إلى صورة الماضي السعيد شكلت محوراً رئيساً لكل خطابات التجديد

والمنهجي في شرايينه دماء التجديد، وروح مواكبة العصر، محققين فيهم شهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال: (إن الله يبعث على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها) (أخرجه أبو داود).

حتى استأنس كثير من علمائه وأمنائه ودعاته إلى قدرته - بصورته الدعوية تلك - على احتواء مشكلات الناس وتطلعاتهم الحضارية، ناسين أو متناسين أن واجبات التطوير والتجديد والتحديث الدائمة لبنيته ومنهجه ووسائله، هي السبيل الوحيد لبقائه حيا وفعالا لقيادة الجماهير المسلمة، والمرجع الأساس لتوجيه سائر شؤون حياتها.

وصار الطابع الملحوظ عليه بعد قرون الخيرية الثلاثة الأولى . الأمر الذي صاغ أجيالا من المؤمنين به ممن يركنون إلى نمط التقليد، وممن يستكينون للدعة والتغني بالمجد الغابر والماضي الدعوي التليد.. بحجة واهية، تختزلها المقولة الركونية التالية: (أنه ما ترك الأول للآخر من شيء) ، فلِمَ الابتداع ؟ ولِمَ الابتكار ؟ ولِمَ بذل الجهد والاجتهاد؟ ولِمَ التحقيق والنظر في أمور قد سبق إليها الأولون؟

واستمرأ الخاص والعام استنشاق نسمات الركود، واستأنس الناس تنسم عبير التقليد، حتى عدّوا كل محاولة للاجتهاد والتجديد ضربا من الابتداع المذموم، ونمطا من البدعة المحرَّمة، الواجب وقفها وضرب على أصحابها بيد من حديد،

وتحرك غلاة المذهبية يشوهون روح الإبداع والابتكار والتجديد، ويشنعون على أصحابها عند العامة والحكام، بحجج المحافظة على تراث السلف، وإنقاذ ما تبقى من علمهم الصحيح من أقلام وعقول التطاول والابتداع، فتعرض العلماء للسجن والتعذيب والإبعاد والنفي والقهر والحرمان والقتل جراء فتن المغالين وغيرهم في المشرق والمغرب والأندلس.

كما تحركت يد التهديم الخفية التي واصلت نشاطها التقويضي في جسد الأمة الإسلامية بسيول من خطابات التعويق والإرجاف الداخلية منذ هزيمتها الأولى في القادسية ونهاوند وأجنادين واليرموك.

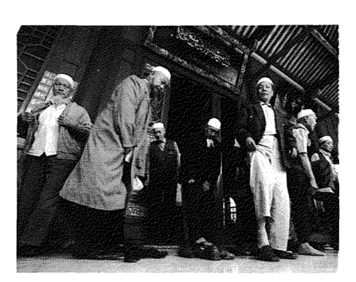
واستطاعت أن تحدث شرخا كبيرا في الخطاب الدعوي الإسلامي الرشيد، كما استطاعت أن تشغب قدرا مهما من الطاقات الإبداعية والاجتهادية القادرة على تطوير الخطاب الدعوي ووسائله الإيصالية، لتوجه كبير جهدها واجتهادها نحو هذه الجبهة التهديمية الخفية، فخسر بذلك الخطاب الدعوي الإسلامي الرشيد والوسطي والمتوازن سيولا من الإمدادات العلمية والمنهجية والوسيلية لترقيته والنهوض به، ليواكب قضايا العصر التي تجيب على مختلف تطلعات الجماهير المسلمة.

وغرق العالم الإسلامي في خطاب دعوي جهادي، يغلب عليه طابع الآنية والعجالة لاستدراك ما فاته من تراجع وأفول،

ولتحويل الهزيمة العسكرية والحضارية إلى نصر آني سريع، وتم له ذلك بالفعل خلال القرن السابع والثامن والتاسع الهجري، ولكنه كرَّس معه روح التقليد والتعصب المذهبي، الذي أفضى إلى حال من الركود الدعوي والوسيلي، أرخت بسدولها الباهتة على متن الخطاب الدعوي الإسلامي الرشيد، فصار خطابا دينيا تقليديا سكونيا تخديريا، مهد للحملة الاستعمارية الصليبية الحديثة بعد سقوط آخر حصون المانعة العربية والإسلامية في غربي البحر المتوسط في غرناطة سنة ٨٩٧هـ ١٤٩٢م.

وفي ظل هذه السنوات الإسلامية العجاف على الخطاب الدعوي ووسائله الإيصالية تقدم الآخر خطوات جبارة في ميدان الوسيلة، وتجاوز عتبات نقل المعرفة وترويج الخطابات المختلفة عبر وسيلة المشافهة والخط.

وعلى الرغم من تجدد الدماء الحضارية في الجسد الإسلامي بعد سقوط بغداد وقرطبة ممثلة في الخلافة العثمانية سنة ٧٣٥هـ، إلاّ أن الخطاب الدعوي ظل يحمل معه مورثات التقليد وجينات الجمود، مع تخليط صوفي ووسيلي هجين ولد حالة من التداعي القيمي والعلمي والفكري والأدبي، غطت عليها انتصارات سلطان البرين والبحرين في اسطنبول لقرون هجرية ثلاثة (٩ و ١٠ و ١١)، سرعان ما انكشفت تلك الحال المرضية التي اعترضت الكيان الإسلامي عموما، ومست الخطاب الدعوي الرشيد خصوصا، بسبب تداعي وتراجع فاعلية الخطاب الدعوي الرشيد. فسقط العالم الإسلامي فريسة سهلة بيد القوى الصليبية المتحفزة، ولم تسعفه خطاباته الدعوية الجهادية تلك من إنقاذ كيانه من الاستعمار على الرغم من صدقه وحماسته الجهادية ضد الحملات الصليبية، لأن المرض كان قد استشرى عميقا في سائر الجسد الإسلامي.



أمد الخطاب الدعوي الإسلامي البشرية قاطبة بمدد من التعاليم اليقينية عبر وسائله التقليدية والمستحدثة

واقع الخطاب الدعوي في عصر بعثه

حدث أن استكملت الدورة الحضارية السننية دورتها، ومرت سنو السبات على العالم العربي والإسلامي، وتفاعلت عوامل ومسببات البعث والتجديد الحضاري فيه، التي أسفرت في مطالع القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر ميلادي عن بوادر نهضة حضارية إسلامية وعربية جديدة، بشرت بمناخ واقع نهضوي راق، كان قد مهَّدَ له خطاب دعوي تجديدي ناهض، صدح به رجال الإصلاح والتجديد الديني الإسلامي في بقاع شتى من العالم العربي والإسلامي.

انبعث هذا الخطاب التجديدي الناهض من بين ركامات وأنقاض ماضوية ثقيلة، كان من أهمها: خطابات تركة الماضي التقليدي المتعثر، التي شكلت طبقة من الران على العصر الذهبي السابق لها. وخطابات الواقع المحلي المثقل بروح الهزيمة، والمشبع بمعوقات التخلف والتراجع. وخطابات التحدي الخارجية «المتسنفرة» بقوة تدميرية هائلة لاسترجاع الماضي الغابر لها.

انبعث هذا الخطاب التجديدي الناهض، وخاض معركة متعددة الجبهات، مع مختلف خطابات الإرجاف والتشويه والتعتيم والتحدي، مدفوعا بغيرة دينية إسلامية صادقة، وبحماسة إيمانية خالصة، وبقوة روحية أصيلة، هدفت بالأساس إلى كشف ورفع كل حجب الظلام القائمة.

وشكلت عملية نقل الأمة العربية والإسلامية المتخلفة إلى صورة الماضي السعيد محورا رئيساً لكل خطابات التجديد والإصلاح الديني الحديثة، وتنوعت تلك الخطابات التجديدية بحسب عوامل ودوافع وأسباب وأهداف انطلاقتها، مكررة في الوقت نفسه صيغ التجديد وفلسفته من اتجاهات خطابات الفكر الإسلامي الأولى، ببنيات خطاب فلسفي مكرور، وبصيغ خطابية أكثر حداثة وملاءمة للواقع الدعوي الجديد.

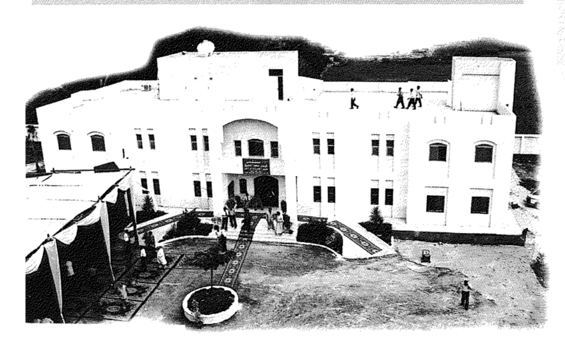
وعلى الرغم من الامتدادات الجغرافية والديمغرافية التي حققها هذا الخطاب الدعوي في العصر الحديث، إلاّ أنه تعثر بسبب عوامل عدة تعويقية كيدية، داخلية وخارجية، حيث تصدت له كل قوى الكيد الداخلي والتآمر الخارجي، لأنه سعى بكل وسائله إلى تنوير الجماهير المسلمة، وتبصيرها بواقعها الأليم، وحاضرها ومستقبلها، وعمل على سحب ولائها من تلك القوى، وتحويله لله سبحانه وتعالى، وكذلك كان الأمر بالنسبة لسائر الخطابات الدعوية الإسلامية، التي سعت لتحويل ولاء الأمة نحو ربها، وسعت إلى تحويل الاحتكام لشريعة الإسلام، كما سعت لمجابهة القوى الاستعمارية الباغية.

وظل - وسيظل إلى يوم الدين - هذا الخطاب الدعوي الرباني الأصيل في صراع عقدي دائم، وجهاد مرير مع القوى الظلامية الباغية حتى تتمكن من تدجينه، أو يتمكن هو من الانتصار عليها، أو تتمكن هي من الغلبة عليه، ولكن صدقت حكمة الله العظيم حين قرر منذ الأزل بأنه: (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا). فهل نعتبر؟.

والله من وراء القصد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ■

الوقف بين الاضمحلال والحاجة الملحة إلى الازدهار

بحث مقدم إلى الدورة الثالثة عشرة لمؤتمر مجمع الفقه الإسلامي المنعقد في دولة الكويت في الفترة ما بين ٢٢ - ٢٧ ديسمبر ٢٠٠١م



حجم الأموال الموقوفة ونسبتها إلى الثروة القومية في العصر الراهن دليل على تدني مستوى الوقف

بقلم:
أ.د. شوقي أحمد دنيا
عميد كلية التجارة جامعة الأزهر - مصر

١ - اضمحلال الوقف الحاضر

ظاهرة اضمحلال الوقف في عالمنا الإسلامي المعاصر لا تحتاج إلى دليل أو برهان. والمؤشرات عليها كثيرة: حجم الأموال الموقوفة ونسبتها إلى الثروة القومية، ومعدل نموها السنوي «إن كان هناك نمو إيجابي لها» ومقارنته بمعدل نمو الدخل القومي، ومقدار ما تدره من عوائد ودخول ونسبة ذلك إلى الدخل القومي، وغير ذلك من المؤشرات. وبالطبع فإن دراسة تطبيقية تحليلية لهذا الجانب تحتاج أعمالاً بحثية مستقلة، ويكفينا هنا التذكير والتأكيد على ما هو بادي للأنظار من تدهور واضمحلال الوقف في عالمنا الإسلامي المعاصر بوجه عام، ولا يتعارض ذلك مع ما نشاهده من نمو وازدهار للوقف في دول إسلامية قليلة على رأسها دولة الكويت.

وعندما نقول: إن الوقف المعاصر متدهور ومضمحل فإننا نعني بذلك ما هنالك من فروق متسعة إن لم تكن شاسعة بين ما يمارسه الوقف حالياً من أدوار وما كان يمارسه سلفاً في مجتمعاتنا الإسلامية، وشتان بين هذا وذاك، وما هنالك من فروق متسعة بين ما عليه الوقف الآن وما يمكن أن يكون عليه، وشتان بين الكائن وما يمكن أن يكون.

عوامل اضمحلال الوقف الحاضر

لكل ظاهرة تفسير وعوامل ترتكز عليها، فما العوامل وراء هذه الظاهرة؟

إن الإجابة المفصلة عن ذلك تتطلب الكثير من

الأبحاث المستقلة الكبيرة، لكثير هذه العوامل من جهة، ولتعقدها وتشعبها من جهة ثانية، ولتعدد طبائعها من جهة ثالثة.

وليس من مهمة هذه الورقة الدخول في لجة هذا الجانب ولا حتى السير في طريقه، وإنما فقط الإطلالة عليه من خلال الإشارة السريعة إلى بعض ملامحه الكبرى.

وبرغم كثرة وتنوع وتشعب هذه العوامل، فإنه يمكن حصر أهمها في بنود رئيسة على النحو التالي:

١ ـ ضبابية البعد الفقهي للوقف لدى أعين الناس حتى من كان منهم من رجال الفقه والفكر، فلقد شاع لدى الكثير العديد من التصورات والمواقف المتعلقة بفقه الوقف، وهي في حقيقتها غير صحيحة فقهياً، وقد أسهم ذلك بقوة في انزواء الوقف واضمحلاله وتدني دوره، أذكر من ذلك ما يلي مجرداً من التأصيل والتحليل، لأن ذلك يخرج الورقة عن مقصودها الأساسي.

أ ـ شاع أن الموقوف من الأموال إنما هو فقط الأموال الثابتة من أراض وعقارات، ولا مجال للأموال المنقولة، ومن باب أولى لا مجال للنقود في أن تكون محلاً للوقف. والصحيح فقهياً غير ذلك، فجميع المذاهب الفقهية الإسلامية متفقة على أن الأموال الثابتة تصح محلاً للوقف. والكثير من المذاهب ومن العلماء داخل بعض المذاهب يجيز وقف الأموال المنقولة ويجيز، بالنص والتصريح، وقف النقود. بل ويجيز وقف المنافع كنوع من أنواع الأموال.(١) وبالتالي فما يشيع لدينا اليوم حيال هذه المسألة غير صحيح فقهياً.

ب ـ شاع أن الوقف يكون على طريق التأبيد وليس التوقيت. وهذا غير صحيح فقهياً، والصحيح أن هذا هو موقف بعض المذاهب بينما يذهب البعض الآخر إلى جواز كون الوقف موقتاً.(٢)

جـ ـ شاع أن الوقف يكون بالضرورة على سبيل اللزوم ولا مجال للجواز فيه، ومن ثم لا إمكانية لفكرة الرجوع فيه ولا التعليق ولا الاشتراط المتعلق بذلك، مع أن الفقه يحتوي على القول بكل ذلك.(٣)

د ـ شاع أن الوقف عمل مفرد. يقوم به شخص واحد على موقوف عليه واحد. والصحيح فقهاً أن الوقف كما أنه عمل مفرد، فهو أيضاً عمل مشترك، على مستوى



نحن في حاجة ماسة إلى منهج يجمع بين البعد الاقتصادي والروحي والوقف يوفر ذلك

الواقفين والموقوف عليهم. والكثير من أمات الكتب الفقهية في المذاهب المختلفة تنص صراحة على ذلك.(٤)

هـ ـ شاع أنه لا إبدال أو استبدال في الوقف لا من حيث الأموال الموقفة ولا من حيث الجهات الموقوف عليها. مع أن الفقه على لسان الكثير من علمائه يجيز ذلك في ظل ضوابط وملابسات معينة، تحافظ على الوقف من جهة، ومقصوده من جهة ثانية، وتتوسع بعض المذاهب في جواز ذلك إلى حد كبير.(٥)

و ـ شاع أنه لا مجال لانتفاع الواقف بوقفه دنيوياً بأي صورة من الصور، مع أن الفقه يجيز ذلك.(٦)

ز ـ وأخيراً وليس آخراً شاع أن شروط الواقف تقدر وتحترم مهما كانت طالما لم تكن في طياتها معصية، ولا أظن أن أذن أحد القراء والمهتمين لم تصطك بهذه العبارة «شرط الواقف كنص الشارع» والحق فقهياً أن شروط الواقف تحترم وتصان طالما كانت في تناغم واتساق مع القواعد الشرعية من جهة، ومع مقاصد ومرامي الوقف من جهة أخرى، وإلا تسلب عنها هذه القدسية والاحترام، وفي الفقه أمثلة عديدة لما يمكن بل لما يجب الخروج عليه وإهداره من شروط لبعض الواقفين.(٧)

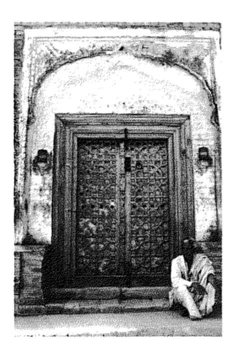
هذه مجرد نماذج أو عينة لما هنالك من تصورات شائعة لدى العديد من المهتمين بالقضية تحسب على فقه الوقف، وفقه الوقف منها براء. ومعنى هذا أن هناك ضبابية معرفية حيال بعض الجوانب الفقهية للوقف. وقد كان لهذه الضبابية الفقهية أثر سلبي بارز على عملية الوقف، فحالت دون الكثير من الأموال وكونها محلاً للوقف، مع أنها تمثل في حياتنا المعاصرة أموالاً ذات شأن إن لم تكن أهم الأموال. فليس هناك من لا يمتلك نقوداً وإن قلت، لكن الكثير والكثير لا يمتلك أراض أو عقارات. وحالت دون إقدام العديد من الأفراد على الوقف لأنهم قد يكونون حالياً في حاجة إلى بعض الإيرادات، وقد يكونون مستقبلاً في حاجة إلى هذه الأموال، والقول باللزوم وعدم

الجواز وبالتأبيد وعدم التوقيت وبعدم الانتفاع ولو كان جزئياً يحول دون إقدام هؤلاء الأفراد على الوقف. ومن الذي يملك اليوم أن يقيم بمفرده مشروعاً صحياً أو تعليمياً أو سكنياً أو دينياً بمفرده!! إنهم قلة بجوار الكثرة الكاثرة التي لا يمكنها ذلك بمفردها، ولكن يمكنها ذلك مشاركة، وشيوع فكرة فردية الوقف تحول دون ذلك. والقول بعدم جواز الإبدال في الوقف مهما كانت الظروف والملابسات أدى إلى خراب الكثير من الأموال الموقوفة وضياعها، مما جعل الأنظار تعرض عن الوقف لأنها ترى مآله، ومن ثم عدم تحقق غرض الواقف منه. والقول بالاحترام المطلق لشروط الواقف أياً كانت تسبب من جهة في إقدام الكثير من الحكومات على التدخل القاسي في تنظيم الأوقاف وتقنينها وحظر بعضها، كما تسبب من جهة أخرى في تدهور العديد من الأوقاف بذريعة أن هذا هو شرط وكلام الواقف.

إن توفير الطمأنينة الكافية للواقف حيال تنفيذ وتطبيق شروطه ومقولاته أمر على أعلى درجة من الأهمية لإقدام الناس على الوقف، وهذا أمر قد رعاه الفقه حق الرعاية، لكنه مشروط بكونه كلاماً رشيداً عقلانياً محققاً بالفعل لمصلحة الواقف ومصلحة الموقوف عليه ومصلحة المجتمع، وبالتالي فالمسألة في حاجة إلى توعية جيدة للأفراد وتدخل حميد من قبل الجماعة والدولة عند اللزوم. وعدم توفر الوعي الكافي لدى الجميع بجواز وقف المنافع، مع أن ذلك منصوص عليه صراحة في الفقه المالكي حد كثيراً من فاعلية الوقف واتساع نطاقه، مع أن المنافع أموال وهي باقية ببقاء العين، وأهميتها لا تقل عن أهمية العين المادية، بل إن وجودها في العين هو الذي يجعل للعين قيمة اقتصادية.

٢ ـ عدم وجود صيغ وأساليب عصرية لقيام عملية الوقف، من حيث الإدارة والاستثمار والصيانة وغير ذلك، أو على الأقل عدم وجود علم بها ودراية من قبل جماهير الناس. مع أن الواقع المعاصر بما فيه من أوضاع وملابسات في حاجة ماسة إلى صور وأساليب عصرية ملائمة له، حتى يقدم بفاعلية على هذا العمل الخيري.

٣ ـ وجود تشريعات وقوانين معوِّقة في كثير



الوقف عمل مفرد ومشترك على مستوى الواقفين والموقوف عليهم

من الدول الإسلامية، تحول بين العديد من الأفراد والقيام بالوقف.

إن خلاصة ما يمكن الخروج به من نتائج جوهرية من هذه الفقرة أن فقه الوقف يقوم على قدر كبير من المرونة التي تجعل الوقف ذا قابلية عالية للتطوير في ضوء العوامل المستجدة. وذا قدرة كبيرة على التكيف الإيجابي مع هذه العوامل، ولا سيما إذا ما التفتنا إلى نقطة قوية ولها أهميتها في هذا المجال وهي الطبيعة الدينية للوقف، وهل هو عمل ديني تعبدي محض أم هو عمل ديني معقول المعنى ذو غرض ومقصد يرجع إلى منفعة الواقف ومنفعة الموقوف عليه. وبالتالي فقد يجمد ويثبت ويسكن، مهما تغيرت الظروف، أو يتطور ويتعدل بتغير الظروف والأوضاع. وبعبارة أخرى هل للمصلحة المعتبرة شرعاً مدخل في تشريع الوقف، فإن قلنا بنعم، وهذا هو الصحيح، طبقاً لما ذكره الفقهاء، ولما قام به من تحليل قيِّم وتأصيل دقيق الشيخ عبدالله بن بيه(٨)، فإن معنى ذلك اكتساب عملية الوقف المزيد من المرونة والقدرة على التكيف والمواءمة.

اشتداد الحاجة المعاصرة إلى دور فاعل للوقف

في الفقرات السابقة أشرنا إلى ضعف واضمحلال الوقف اليوم وإلى أنه قابل للتقوية والازدهار شرط القيام ببعض المهام الفكرية والعملية، فهل هناك من حاجة تبرر القيام بهذه الجهود؟ والجواب: نعم، وبيان ذلك إجمالاً فيما يلي:

١ ـ تقلص الدور الاقتصادي والاجتماعي للدولة في ظل التوجهات المعاصرة القوية نحو الاعتماد الأساسي على القطاع الخاص في إدارة وتسيير الاقتصاد القومي، وفي قيام الأفراد من خلال المؤسسات الأهلية أو المدنية بالدور الاجتماعي كله أو جُلِّه، وهنا يمكن لمؤسسة الوقف أن تحتل مكاناً متميزاً في الإسهام البارز في تلبية العديد من المتطلبات الاقتصادية والاجتماعية للأفراد والجماعات.

٢ ـ وامتداداً للبند السابق، فإن القدرات المالية للدولة في ظل التوجهات العصرية المشار إليها سلفاً أصبحت محدودة إلى حد كبير. وذلك للحيلولة بين الدولة وبين الكثير من الضرائب التي كانت تجبيها قبل ذلك، وبالتالي فإن إشباع الكثير من الاحتياجات الاقتصادية والاجتماعية بات يتطلب تمويلاً من خارج موازنة الدولة، ولا بديل لذلك إلا القطاع المدني أساساً وكذلك القطاع الخاص «الاقتصادي» تطوعاً. والوقف يمثل صيغة وأسلوباً تمويلياً جيداً يستطيع سد الكثير من الحاجات.

٣ ـ في ظل الوضعية الراهنة، فإن العديد من الدول قد لا تجد أمامها مخرجاً سوى اللجوء إلى الخارج طالبة ما تحتاجه من تمويل بمختلف صوره، وسوءات مثل هذا التمويل بادية ظاهرة للعيان.

٤ ـ يعيش العالم الإسلامي المعاصر تخلفاً خطيراً في التعليم والبحث العلمي، وما يرصد لذلك في موازنات الدول الإسلامية من الضآلة بمكان، الأمر الذي يعمق من التخلف العلمي في هذا العالم، مما يزيد من تخلفه الاقتصادي ويرمي بعقبات كؤود أمام تقدمه وتنميته. واحتلال اقتصاد العلم



لابد من إزالة التشريعات والقوانين المعوقة لازدهار الوقف ونموه

والمعرفة وما يطلق عليه الاقتصاد الجديد للمكانة الأولى في مقومات تقدم الأمم المعاصرة أمر معروف مشهود. فكيف تمول هذه المرافق والمراكز في ظل شح الإيرادات العامة؟ أيترك ذلك للقطاع الخاص المعني كل العناية بتحقيق أقصى الأرباح، ومن ثم الانصراف إلى المشروعات التي تحقق له ذلك، وبدهي أن مراكز ومرافق التعليم الجاد والبحث العلمي الحقيقي لا تروق لهم. أم يترك لجهات خارجية لا تخلو بواعثها ومقاصدها من شبهات؟ أم أن المدخل الحقيقي الإيجابي في ذلك هو استخدام الوقف، كما استخدم في الماضي وأثمر رقياً علمياً إسلامياً محل اعتراف الجميع؟

٥ - زيادة حدة الفقر واتساع الفجوة التوزيعية في العالم الإسلامي يوماً بعد يوم!، حيث يضرب الفقر بأنيابه ما يناهز ٦٠٪ من سكان العالم الإسلامي(٨)، وشواهد الحال تشير بما يشبه اليقين والتأكيد إلى أنه في ظل ما يجري على الساحة العالمية والمحلية من عولمة وخصخصة وغير ذلك سوف يتزايد نطاق الفقر وتشتد حدته ويتسع التباين في التوزيع. وعلى العالم أن يواجه هذه المشكلة بما تستحقه من اهتمام وعناية لما لها من آثار بالغة الخطورة على أمنه واستقراره بل على وجوده، ومن فضل الله على العالم الإسلامي أنه يمتلك أداة قوية لمواجهة هذه المشكلة وهي الوقف طالما أحسن التعامل معها.

٦ - وما يزيد من حدة الفقر وسوء التوزيع عدم توفر فرص العلاج الجيد أمام الجماهير الفقيرة من الأفراد. فالمستشفيات والمراكز الطبية الحكومية آخذة في الانكماش من جهة، كما أن خدماتها الطبية متدنية من جهة أخرى، لقلة الإمكانات وسوء الإدارة، كما أن المستشفيات والمراكز الطبية الخاصة «الاستثمارية» باهظة العبء والتكلفة، الأمر الذي يحول بين الفقير ودخولها والاستفادة منها، ومن ثم يشيع المرض ويتوطن بين الفقراء وما أكثرهم، فيضعف من قدراتهم الإنتاجية، وبالتالي يزيدهم فقراً، ولا مناص في كسر هذه الحلقة المفرغة من اللجوء إلى القطاع المدني أو المؤسسات المدنية والجمعيات الخيرية للإسهام الجاد في علاج هذا الموقف، وقد قام الوقف بذلك في الماضي خير قيام، وهو جدير بالقيام بذلك في الحاضر.

٧ - وبعد كل ذلك وقبله، فإننا في حاجة ماسة إلى منهج يجمع بين البعد الاقتصادي والبعد الروحي ويحقق لنا رقياً اقتصادياً وأخلاقياً وروحياً، والوقف يوفر لنا ذلك.

هذه بعض الاعتبارات والحيثيات التي تثبت وتبرهن على صحة مقولتنا باشتداد الحاجة حالياً إلى الوقف وإعادة الاعتبار له ■

•• الهوامش ••

١ - الدوسوقي، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، داء إحياء الكتب العربية، القاهرة، ٧٦/٤، الرملي، نهاية المحتاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت ٣٦٠/٥، النووي، روضة الطالبين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٣٧٨/٤.

٢ - الدسوقي، مرجع سابق، ٨٧/٤، ابن شاس، عقد الجواهر الثمينة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٥هـ، ٣٧/٣، ابن قدامة، المغني، مرجع سابق، ٦٢٣/٥، الماوردي، الحاوي الكبير، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ، ٣٨١/٩، أحمد بن يحيى المرتضى، عيون الأزهار، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٧٥م، ٣٦٠.

٣ - السرخسي، المبسوط، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٩م، ٢٧/١٢ وما بعدها، ابن عابدين، رد المحتار، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م، ٣٣٨/٤، الدسوقي، مرجع سابق ٨٩/٤، القرافي، الذخيرة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤م، ٣٢٦/٦، المهدي المرتضى، عيون الأزهار، مرجع سابق ٣٦١.

٤ - السرخسي، المبسوط، مرجع سابق، ٢٨/١٢، ابن قادمة، المغني، ٦٣٣/٥، سحنون، المدونة، دار صادر، بيروت، ٩٩/٦.

٥ - المهدي المرتضى، مرجع سابق، ٣٦٠، السرخسي، المبسوط، ١٢/ــ٤، ابن عابدين، مرجع سابق، ٣٨٤/٤.

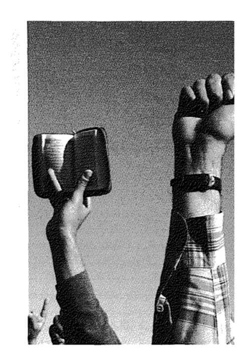
٦ - عبدالرحمن بن قاسم، مجموع فتاوى ابن تيمية، الرياض، ١٣٥٨، ٢١٢/٣١ وما بعدها، ابن قدامة، مرجع سابق، ٦٣٣/٥، ابن بيه، أثر المصلحة في الوقف، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، الرياض، العدد (١٤٧) ١٤٢١هـ، ابن عابدين، مرجع سابق، ٣٨٤/٤ وما بعدها.

٧ - محمد أبوزهرة، محاضرات في الوقف، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧١، ص١٣٦ وما بعدها، ابن عابدين، مرجع سابق، ٣٨٧/٤، الحطاب، مواهب الجليل، ٣٦/٥، ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٤٣/٣١، وما بعدها.

٨ - مرجع سابق.

٩ - البنك الإسلامي للتنمية، التقرير السنوي ٩٩/٢٠٠٠، ص٥١ وما بعدها.

ما بال أمتنا تفرّق أمرها ؟!

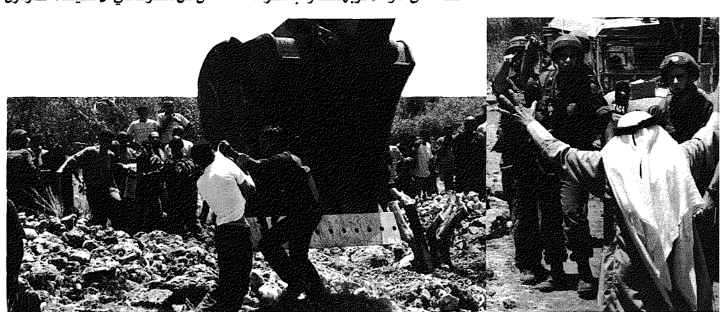


شعر:
د.عدنان علي رضا النحوي

المجرمون عصابة جمع الهوى   من كل غدَّار يُضلُّ وأحيل(١)
باعوا نفوسهم لشيطان يقو   دهم لشرٍّ في المنازل مقبل
رغبوا إلى الدُّنيا وصدوا عن سبيـ   ـل الله صدَّ الفاجر المتهوِّل(٢)
المجرمون عصابة قد صاغها   كيد «الدولار» بهم ومكر «المنجل»
والمسلمون تراهم ما بين وا   هٍ في مناه وتائه ومكبَّل
وعصابة لله صابرة تُجا   هد في سبيل الله لم تتحوَّل
هي أمة لله يصدق عهدها   يمضون والرايات لم تتبدَّل
ليظلَّ شرع الله أعلى راية   وتظلُّ رايات الملاحم تعتلي
كي يسعد الإنسان! كل حقوقه   ترعى بميزان أبرَّ وأعدل

❖ ❖ ❖

سيظل بين المسلمين منافق   وهوى ضعيف بينهم مترهِّل
ويظل بينهم تقي صالح   أبداً وطائفة تجود وتجتلي
أو لم يُبشرنا الرسول بعصبة   بالله ظاهرة وحشد بُذَّل
حملت خصائصها من الإيمان والتو   حيد والنهج النقيِّ المنزلِ
صدقت! فلا عصبية جهلاء فيـ   ـها! لا يُبالي صدقها بمخذِّل
صدق الولاء لربها وتبرأت   من كلِّ شرك في الحياة مزلزل



جمعت قلوب المؤمنين بعروة
وثقى وعهد في النفوس مؤصل

تتواصل الساحات حبلاً واحداً
صفًا يُشدُّ وأمة لم تغفل

صدقت! فلا حزبية فتنت ولا
ء المسلمين رمت بأمر معضل

كم مزقت من ساحة! كم فرَّقت
من عزمة وهوى يتيه مُخبَّل

حملت لنا عصبية أشقى، على
ذلٍّ وشرٍّ هزائم لم تنجل

ستظلُّ طائفة تمسك بالهدى
بولائها لله والعهد الجلي

بهدى الكتاب وسُنَّة نوراً يشـ
ـقُّ من الظلام إلى صراط أعدل

هذا الصراط المستقيم هو الذي
حقاً يضمُّ شتات قوم عُذَّل(٣)

❖ ❖ ❖

ما بال أمتنا تفرَّق أمرها
بدداً فما من منقذ ومعوَّل

سبلاً مفرَّقة تناثر بينها
فتتيه بين هوى وسوء تعلُّل

ما بين جهل قاتل وهوى تحـ
ـكم في النفوس، هوى الغفاة الجُهَّل

فتفتَّحت للمجرمين منافذ
شتَّى لوثبة ماكر مستأصل

ما بين عاد بالزحوف مجاهر
أو بين غدَّار مضى متسلل

ظنوا بأن لهم طريقاً موصلاً
كم من طريق للجرائم موصل؟!

جشع يهيج مع النفوس وشهوة
تغلي وحقد ثائر كالمرجل

بذروا على الساحات بذرة فتنة
من كل شكل بيننا متغوِّل(٤)

وكأنما خدر يصبُّ وغفوة
تطغى على تلك القلوب الغُفَّل

وإذا ديار المسلمين تناهبتـ
ـها شهوة من كل باغ حوَّل(٥)

والموت يختطف النفوس ومجرم
يهوي على تلك الديار بمعوَّل

تتفجر الساحات! من أهوالها
نار تلظى في دويٍّ مذهل

وترى الغُفاة الغافلين وإنهم
شغلوا بسفساف الأمور خُزعبل

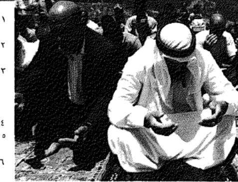
شُغلوا وألهوا بالفتات وضُيِّعوا
ما بين مفتون يُضلُّ وأرعل(٦)

شُغلوا عن الحدث المهم وضيَّعوا
ساحاً وأُلقوا في خضمٍّ مسفل



• الهوامش •

١ ـ أحيل: أكثر حيلة.
٢ ـ المتهوِّل: المتشبه بالسبع.
٣ ـ عُذَّل: أي كل يلوم الآخر، ويدَّعي الفضل له وحده.
٤ ـ متغوِّل: متلون.
٥ ـ حوَّل: كثير الحيلة والخداع.
٦ ـ ارعل: مضطرب العقل أحمق.



أغلب التصورات حول مفهوم «الحداثة» وما بعدها هي التي أثارت النقاد في العقود الأخيرة من القرن المنصرم، كان. وربما لا يزال. ينحصر في تطور «الإطار». هذا التطور. والحق يقال. لم يكن تصوراً نقدياً، وإن كنا لا نجرد النقد من مهمة تقديم «الحداثة» بهذا المفهوم القاصر المحدود، والضيق جداً لعلاقة كبيرة وواسعة وشاملة ومتصلة منذ نشأة الأدب وغير الأدب وإلى يومنا هذا، وربما لفظ «الحداثة» نفسه أدار الكثير من الأقلام والوجوه باتجاه «قبلة» يجب ألا تحج إليها أفكارنا لأسباب يعلمها الجميع، وعلى رأسها، مزاجنا النابع من تراث عظيم يجري في عروقنا، ويسري في حواسنا، ولا نستطيع منه فكاكاً، وإن غيَّرنا في الأطر تغييرات توهم بعضنا بأننا «تغربنا» أو «تأوربنا» أو «تأمركنا» أو اتصفنا بأي صفة أخرى غير صفتنا اللاصقة في ملامح تكويننا الشرقي العربي الإسلامي، وبهذه الصفة يتعرف بعضنا على بعض في كل شيء... حتى الأدب، والفن، نعرفه ونتذوقه بهذا الموروث الكبير العريق الخالد.

> لفظ «الحداثة» أدار الكثير من الأقلام والوجوه باتجاه «قِبْلَة» يجب ألا تحج إليها أفكارنا لأسباب يعلمها الجميع



بقلم:
يوسف شهير

ولا ننكر . بحال . أن محاولات جادة لمسِّ الجوهر بعد الإطار بمس «حداثي» على غرار ما تم من محاولات إطارية جرت في جو مشحون بالمد والجزر بين القبول والرفض، إلى أن استقر في الأذهان والوجدان على السواء، إن هذا المسَّ ليس معناه تحطيم الإطار «التقليدي» المعروف . حداثياً . بـ«الكلاسيكي» أي القديم، فجاءت محاولات . تفكيكية . جادة ورائعة، ولا ننكر أنها حاسبت بكل إحساس وأمانة على مشاعرنا، وعلى ذوقنا، وخصوصاً المذاق الموسيقي في الشعر، وليس كما يقول الدكتور عزالدين إسماعيل في كتابه «الشعر العربي المعاصر»: «إن عملية التقطيع الاعتباطي للبيت، وتوزيعه على سطرين بدلاً من سطر واحد، أفقدت بعض السطور مداها الموسيقي». فلم يكن التفكيك . أبداً . هدماً، ولا توزيعاً اعتباطياً للبيت، ولكنه كان . في كثير من الأحيان . إعادة صياغة زمانية «سيناريوهية» مهمة، ولنضرب على ذلك هذا المثال:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل

قفا نبك،
من ذكرى حبيب، ومنزل
بسقط اللوى
بين الدخول
فحومل

إن شيئاً لم يتغير في البيت غير الترتيب الزماني التأثيري في المشهد الدرامي للصورة الشعورية، لأن المسافة الزمانية التي كانت بين شطري البيت زادت بعد التفكيك لتعطي بعداً تأثيراً أكبر للحال الشجونية البكائية الموجودة في موضوع البيت.

إلا أن المسَّ الذي كان يقترب - تجريبياً - من الجوهر، ولم يتجرأ على الإقدام على هذه المحاولة إلا بعد أن شمل - إلى حد كبير - «التفكيك» - الحداثي - التجريبي - الإطار بكل تأكيد... ولم يتبق إلا الدخول في حيز الموضوع، وهو الأهم بالنسبة «للمحدثين»... أو بالنسبة لمن لهم هدف من وراء هذا «التفكيك»، يتجاوز المحاولة في حد ذاتها إلى وجدان الأمة وإحساسها وتراثها.

والاقتراب من هذا المعنى، يثير حفيظة الكثير من إخواننا المهمومين بموضوع «الحداثة» وما بعدها، وكأنه - بالنسبة لهم - مسألة «نكون أو لا نكون» أو مسألة «حياة أو موت»... وكأنهم أنبياء تلك الرسالة «المجوفة» المعنى.. المعادة الصياغة والصباغة، بينما هي من القدم، أقدم من فكرة الأدب والإبداع والفكر والتاريخ ذاته... لأنها فكرة الوجود وتطوره لضمان البقاء، فلا شيء يبقى دون «تحديث» وتطوير وارتقاء، والأدب - شعورياً ومعنوياً وأخلاقياً - غير قابل «للاجترار»، والتركيب الزخرفي «السمتري» الواهن دون غيره، لا يصلح للترميم، لأن الأدب من مادة الشعور، والشعور - دائماً - راق وسام.

بهذا المنطق، كلنا يسعى إلى التحديث، وكلنا يسعى إلى الابتكار والتطور والارتقاء، ولكن بمفهومه من ناحية، وحسب أمرين:

الأول ما يحمله من قدرة ثقافية إبداعية على التطور.

والثاني الوعاء أو المحيط الذي سوف يستقبل هذا التطور، فإذا حاول أحدهما أن يسبق الآخر، كان كمحاولة أن تسبق عجلات اليمين في قطار عجلات اليسار!!، ومن ناحية أخرى مراعاة المناخ العام لما هو كائن دون التحول الحاد الذي يعتبر انحرافاً عن المألوف، أو اتخاذ مناسك شاذة بهدف - فقط - التميز والتفرد.

فلماذا يذهب «المحدثون» إلى أبعد من مطلب التوازن بين التدافع وما هو مطلوب ومقبول وواقع؟... ويصل بهم الأمر إلى توجيه تهمة «الخيانة» لأنفسهم إذا ما رفضت محاولة من محاولاتهم لفرض قياسات «مستوردة» على أبعادنا الشعورية، لإحساسهم الدفين بأن الدافع الحقيقي وراء كل محاولة مشوَّهة ومشوِّهة وفاشلة «خيانة» حقيقية لأصولنا وتراثنا وتاريخنا ومجدنا التليد، لطمس هويتنا، وتذويبها في هويات تكِنُّ لنا ولهذا التراث العظيم كل العداء وكل الحقد وكل الكراهية، فبهذا التراث وحده - هزموا شر هزيمة، وانطفأت أنوارهم الزائفة الواجفة، فحسبوا له ألف حساب، وبيَّتوا له في نفوسهم الخربة ثأراً لا تخمد ناره ما مرت السنون.

والحداثة - أيها الأعزاء - ليست «عورة» لنواريها، أو نتجنب كشفها وسبر أغوارها، لأنها من اختراع أو ابتداع أعدائنا، ودعوة صريحة لتدمير تراثنا، وتدميرنا كأمة، والتقليد ليس «إلحاداً» فنكيل له الاتهامات بالرجوعية والتزمت والانغلاق والتشدد، فلا هذه «عار» علينا، ولا تلك «وصمة» بنا، فلماذا لا نبتغي بين هذه وتلك، سواء السبيل؟

نحن لا نقبل أن تصبح القصيدة حداثياً - مجرد معادلات كيمياوية، غارقة في التهويم والغموض والتغريب، وأن يصبح النقد الحداثي، مجرد «معمل» لفك رموز المعادلات، ورصد آليات خارجة عن حدود الفهم العام، بحجة عدم مسايرة ركب التخلف، والانحسار بين ضفاف التراث، والانغلاق على المستقبل، وعدم مجاراة التطور الهائل الحاصل على الساحة العالمية من حولنا!!.

كلنا يسعى إلى التحديث... وكلنا يسعى للابتكار. والتطور. والارتقاء. ولكن حسب مفهومه

فماذا كانت النتيجة؟

انشقاق تام بين المُرسِل والمُستقبِل، واتخاذ موقع الوسط «بين بين» فلا نحن - بمَا أنتجنا، ولا أقول أبدعنا، إذ الإبداع لا بد أن يكون خالصاً من كل الشوائب غير الأصيلة، ولا ينتمي إلا إلى أصل واحد - شرق، ولا غرب.

حتى المحاولات «الحداثية» التي تمَّت على استحياء شديد، واستقت مرتكزات تراثية لها، كانت - ولست أجد سبباً واحداً لذلك - أشد غموضاً وإسرافاً في التهويم، ولا أعتقد أن تلك المحاولات تمت لتصحيح مسار «الحداثة»... أو للمصالحة بين «الإخوة الأعداء»... أو لتعديل المفهوم «الحداثي» الإطاري إلى مفهوم جوهري... أو لضرب ذلك التكتل المتصدي «للتغريب» بكل قوة، لكونه أداة هدم... أو لأي شيء مما شابه ذلك، إنما تمت لأمرين:

الأول إثبات أن التراث مادة «حداثية»، وأن لا شيء بعيداً عن متناولها مهما كان.

والثاني: أن التراث هو الآخر «حداثي» وبه ما بـ«الحداثة» من غموض وتهويم وطلاسم، وبالتالي يصبح التراث في منطقة التأثير المضاد، وفي متناول المقاصد نفسها المتوجهة ضد «الحداثة»، وعليه، فضرب «الحداثة»

سيكون هو نفسه ضرب التراث، والاعتداء عليها، اعتداء عليه.

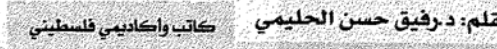
كل هذا يأخذنا إلى سؤال خطير جداً، ولا أظن أن أحداً طرحه من قبل: من الي خلق تلك الأجواء المشوهة؟ أو بمعنى أدق وأوضح: من الذي أشعل نار الحرب بين القديم والجديد؟.

والجواب هو: أن الصدام بين القديم والجديد ليس «حداثيا»... أو ليس حديثاً على وجه التحديد، لأن القديم له في دواخلنا جميعاً ذلك الحنين الجارف للعودة إلى الماضي الحبيب، والقديم هو أصلنا ومنبعنا في الوجود، وأصلنا الثابت في وجداننا الصامد ضد كل المتغيرات، وبالتالي هو أخلاقنا ومبادئنا وقيمنا وعاداتنا، وتاريخنا الذي من غيره نصبح لا شيء وبلا أساس ولا أصول. هكذا يصطدم القديم والجديد بنا، وهكذا تبدأ المعركة عند أغلبنا، فمُعلمي - مدرس اللغة العربية في المرحلة الثانوية - عندما رأى إحدى قصائدي المفككة الإطار، لم يلتفت إليها مجرد التفات... بل اعتبرها كفراً بنعم التقليد التي نجحدها، ونضعف في مقابلها، ونستضعف أنفسنا، ونيسّر لها العُسر من الشعر الحديث بأشكاله المعروفة الآن، لكنه - أي مُعلمي - عندما رأى القصيدة نفسها منشورة في إحدى المجلات المتخصصة، أثنى عليها وعليّ!.

نحن نحتاج - حداثياً وأولاً - إلى تأصيل الأفكار والمفاهيم، قبل أن تتشكل في قواعد ومناهج ونظريات، فكما أن لكل دولة قانونها الخاص، لكل دولة ظروفها - أيضاً - التي تستدعي وجوب هذا القانون الخاص بها، فالدول العربية الموحدة «أيديولوجياً» ودينياً وجغرافياً، لا يحكمها قانون موحد، إذ لكل دولة منها قانونها ودستورها الخاص بها، فما بالنا بالأدب والفكر والإبداع ■

بقلم: د. رفيق حسن الحليمي

كاتب وأكاديمي فلسطيني





امتداد لانحطاط زمرة من المستشرقين

جنايات زكريا أوزون... إلى أين؟

ليست هذه هي المرة الأولى التي يتطاول فيها المدعو «زكريا أوزون» على تراثنا اللغوي والديني، فقد سبق له أن تطاول على شخصية «سيبويه»، واليوم نراه يتطاول على شخصية «البخاري»، صاحب أشهر مصنف في الحديث الشريف، وهو «صحيح البخاري»، الذي قيل عنه: إنه أصحُّ كتاب بعد كتاب الله، كما يتهم عمل «البخاري» وإنجازه العظيم بـ«الجناية»!!.

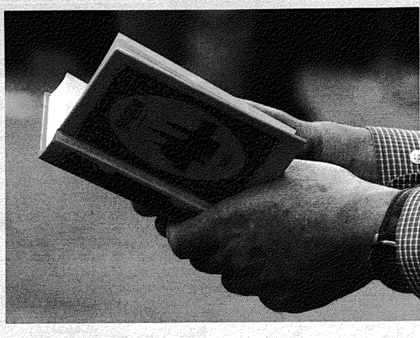
> عنوان الكتاب يكشف الأسلوب الدعي الذي يتبعه الكاتب في مؤلفاته

لا أريد أن أعرض لجانب من سيرة «البخاري» العطرة، وعقليته المنتظمة، ومنهجه العلمي الدقيق في جمع الأحاديث وتمييز متواترها من ضعيفها وقدرته الفائقة في تمحيصها وتأصيلها وفحص أسانيدها، ولا في إرسائه مبادئ أساسية في علوم الحديث، تعد ثروة من ثروات هذه الأمة، وكنزاً من كنوزها، ومفخرة من مفاخرها، فحيث يوجد الرجال العلماء، وتوجد النيات الصادقة، ويوجد بأيديهم المنهج السليم، يتكون العلم الرصين، والمعرفة الحقة، وهذا ما كان على يد «البخاري» رحمه الله، وعلى يد غيره من المحدِّثين، فكانت علوم الحديث التي تقف إلى جانب علوم القرآن، وإلى جانب علوم أخرى تشكل البنية الأساسية للثقافة الدينية، والوعاء الرحب للحضارة الإسلامية ومعطياتها عبر التاريخ، وحين يوجد أشباه الرجال وتكون نياتهم خبيثة ومناهجهم فاسدة تتولد النكبات، وتتراكم الجنايات، وهيهات هيهات أن يصلح العطار ما يفسده السفهاء منا.

ليست هذه المرة الأولى ولن تكون الأخيرة وفقاً لمنطلقات «أوزون» وادعاءاته ومزاعمه وأباطيله، فقبل عامين تحديداً جاء في جريدة الرأي العام (٢٦/٩/٢٠٠٢م) عرض سريع لكتاب صادر عن «دار رياض الريس للنشر»، من تأليف «زكريا أوزون» تحت عنوان: «جناية سيبويه: الرفض التام لما جاء فيه من أوهام»، وفي هذه الأيام تطالعنا الرأي العام (١٤/٩/٢٠٠٤) بكتاب للمذكور تحت عنوان «جناية البخاري» واستنكار الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية تطاوله على السنة ورموزها الأبرار، ورفع احتجاجها إلى وزارة الأوقاف ولجنة استكمال الشريعة لاتخاذ ما هو مناسب، وهو موقف يسجل للهيئة الخيرية في حرصها على تراثنا الديني وفي مقدمته الحديث النبوي متمثلاً في أعرق كتاب وهو صحيح البخاري.

عنوانا هذين الكتابين يكشفان الأسلوب الرخيص الذي يتبعه هذا الدَّعي في مؤلفاته، وهو إضافة كلمة «جناية» إلى «عالم مرموق» يتصدر العلماء في باب من أبواب العلم والمعرفة، فـ «سيبويه» يتصدر علماء النحو بلا منازع، و «البخاري» يتصدر رجال الحديث بلا منازع أيضاً، فيكون من العنوان: «مسلمة» ثم يريد أن يقنعنا بها فنصدقها، أو يصدقها البلهاء منا، ثم يؤسس كتابه على مفهوم واحد، وهو أن ما جاء به هذا العالم المرموق ينضوي تحت «الجناية» التي تستدعي المحاسبة، و«الرفض التام لما في كتابه من أوهام».

لقد تعاملت آنذاك مع كتابه الأول عن سيبويه بنشر مقال رداً عليه، نشرته جريدة الرأي العام، ثم بنشره أيضاً في مجلة «الوعي الإسلامي» (سبتمبر ٢٠٠٣م عدد ٤٥٦)، وقد ثبت لي من خلال تعاملي مع كتابه عن سيبويه أنه يحمل سلاح الهدم والتدمير، وأن ما جاء فيه يعكس شعوراً سلبياً بخيبة الأمل في بعض كتابنا ومثقفينا ممن يدعون أنهم حريصون على اللغة، ويسعون جاهدين للحفاظ عليها وعلى تراثها الخالد ورموزها الأوائل، الذين أرسوا دعائم هذا التراث، وكانوا مخلصين له كل الإخلاص حريصين عليه كل الحرص، وقد أدى ببعضهم إلى الموت المفاجئ «الحالة عند سيبويه» وهم يذودون عن حياض هذا التراث، يصلون بياض نهارهم بسواد ليلهم، من أجل وضع قاعدة بسيطة تدرس اليوم لطالب مبتدئ، وإذا كانت مسوغات التأليف ودواعيه - تحت ذريعة إصلاح الواقع اللغوي - تبدأ عند بعض المثقفين من نقطة الهجوم، فإن ذلك لا يبشر بخير ولن يأتي بإصلاح، وإنما يعكس حالة مرضية مزمنة من الإفلاس والتدهور النفسي والانحطاط الخلقي، والخضوع لذاتية مسرفة في أحقادها وأضغانها، تحتاج معها إلى من يقومها ويعالجها ويتصدى لها، لما تنطوي عليه نفوسهم من نيات خبيثة، تغريبية تخريبية!.



ماذا أبقى «أوزون» لـ«سلمان رشدي» صاحب كتاب آيات شيطانية؟!

ماذا أبقى «زكريا أوزون» لـ«سلمان رشدي» صاحب كتاب: «آيات شيطانية»، وماذا أبقى لـ«مرجليوث» المستشرق اليهودي، الذي عمل مدرساً في جامعة القاهرة في العشرينيات من القرن الفائت، ووضع أخبث نظرية في الشعر الجاهلي، وقد استلهمها الدكاترة طه حسين، وانتهبها انتهاباً وهو مبهور بها، ثم سرقها كما سرق بعدها كتابه: «مع المتنبي»، من المستشرق «ريجيس بلاشير»، وماذا أبقى «أوزون» لنفر من خريجي مدرسة الانحطاط العلمي التي يديرها ويشرف عليها زمرة من المستشرقين والمتعصبين الذين كان همهم الأكبر نبش التاريخ، والبحث عن سقطاته وعيوبه وتضخيمها في عقول الناس، وقديماً قال ابن قتيبة: «من فتش عن عيب وجده».

واليوم أرجو ألا تفاجأ وزارة الأوقاف ولجنة استكمال الشريعة، عندما تطلع على هذا السفر المنحط، بما ينطوي عليه من مزاعم وأباطيل صدرت عن «زكريا أوزون» الذي أصبح مكشوفاً معروفاً بسوء نيته، وفساد طويته، ومهما يقل هو وغيره ممن على شاكلته، فسيبقى صحيح «البخاري» متجلياً في لألائه، وسيبقى البخاري شامخاً في سمائه، فالقيم الفاضلة والمبادئ السامية لا تهتز إذا ما هبت عليها رياح عاصفة ولا أمواج عاتية، بل تزيدها قوة إلى قوتها وصلابة على صلابتها فتبقى أبد الدهر خالدة مخلدة، (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) الرعد:١٧، رحم الله الإمام البخاري على إنجازه الضخم، ونسأل الله أن ينفعنا وإخواننا بعلمه وأثره ■



> الوليد المصاب بالصمم يكون عرضة لخسارة فادحة إذا لم يكتشف الصمم ويعالج في وقت مبكر

الصمم في سنوات العمر الأولى

بقلم: د.عبدالرحمن عبداللطيف النمر

عندما يخرج الوليد من رحم أمه إلى نور الحياة، فإنه يشرع في استكشاف البيئة من حوله منذ اللحظة الأولى، مستخدماً حواسه كلها. وتلعب حاسة السمع دوراً بالغ الأهمية، ليس في استكشاف البيئة فحسب، وإنما في اكتساب مهارات عقلية متعددة، على رأسها تعلم الكلام.

والوليد المصاب بالصمم يكون عرضة لخسارة فادحة إذا لم يكتشف الصمم ويعالج في وقت مبكر. وأبسط الخسائر عجز الوليد عن اكتساب اللغة التي يتكلمها أهله، وبالتالي عجزه عن التعبير، أي أن الوليد الأصم يتحول إلى طفل أبكم. مع ما يترتب على ذلك من نقص القدرات العقلية بصفة عامة. ما لم يكن هناك اكتشاف مبكر للعلة.

ونظراً للآثار الهائلة المترتبة على فقدان حاسة السمع، فإننا نعرض لها على هذه السطور لنتعرف إلى أسبابها، وكيفية اكتشافها وسُبُل علاجها.

تكوين حاسة السمع

بعد أربعة وعشرين يوماً من بداية نمو بويضة مخصبة في رحم الأنثى، يبدأ الجهاز السمعي عند الجنين في التكوين! وبعد عشرين أسبوعاً من بداية الحمل، أي بعد خمسة أشهر، يكون الجهاز السمعي تام التكوين في معظمه، ومنذ ذلك الوقت إلى نهاية الحمل، يستخدم الجنين أذنه للاستماع استخداماً كاملاً! ومن دون الدخول في تفاصيل دقيقة، فإن الجهاز السمعي يتكون من أجزاء عدة، يطلق عليها إجمالاً اسم «الأذن»، وتلك الأجزاء هي «الصماخ» (أو الأذن الخارجية) وهي الجزء من الأذن الذي يظهر على جانب الوجه. وفي الصماخ الذي يظهر على جانب الوجه قناة صغيرة تقود إلى داخل الأذن. وفي الصماخ أيضاً قناة صغيرة تقود إلى داخل الأذن حيث توجد «الطبلة». وطبلة الأذن غشاء رقيق، يفصل الأذن الخارجية عن الأذن الوسطى، وفي الأذن الوسطى توجد عظام صغيرة، أو في الحقيقة عظيمات إذ إنها أصغر عظام الجسم قاطبة، تعرف باسم «المطرقة» و«السندان»، أما الأذن الداخلية التي تسكن في تجويف في عظام الجمجمة، فإنها تحوي تركيبين يطلق عليهما «القوقعة» و«الدهليز»، ومن هذين

التركيبين تبدأ خلايا «العصب السمعي» الذي يذهب إلى المخ. وكل جزء من أجزاء الأذن يلعب دوره في توصيل موجات الصوت المسموع إلى العصب السمعي، الذي يوصل الرسالة إلى المخ. وفي المخ يتم تفسير الرسالة الصوتية!.

إنها معجزة من معجزات الخلق، مثلها مثل أي حاسة أخرى، بل مثلها مثل أي خلية في الجسم، إذ إن أي خلية هي في ذاتها معجزة في الخلق! وبينما نقول: «تبارك الله أحسن الخالقين» فإننا نتساءل: ماذا يصنع الجنين بحاسة السمع في الرحم؟! على النقيض تماماً من الظن الشائع بأن الرحم «واحة من السكون» فإن الرحم بيئة مصطخبة يشبه تماماً أعماق بحر متلاطم الأمواج! ولعل حكمة الخالق اقتضت أن يعتاد الوليد سماع الضجيج قبل أن يخرج من رحم أمه، حتى لا يصرعه صخب الحياة وضجيج الأحياء.

إذن فإن أذن الجنين تكون في حال استخدام كامل من قبل أن يولد، ويستمع الجنين في الرحم إلى وجيب قلب أمه، وإلى أصوات الحياة من حوله، وإن كان من حسن الطالع أن تلك الأصوات تصل خافتة إلى أذنه الصغيرة، بالتأثير الحاجز لجدار بطن الأم وجدار الرحم والمحفظة التي تحيط بالجنين.

ولمجرد ميلاد الطفل، تكون الأذن المدربة قد اعتادت على أداء عملها، فتقوم بوظيفتها في تزويد الطفل بمعلومات عن محيطه على أكمل وجه، وهنا تكمن المشكلة الحقيقية، ذلك أن الوليد في الأيام الأولى من عمره لا يعتمد على حاسة السمع فحسب في استكشاف البيئة من حوله، ولكنه يعتمد على حواسه كلها، بتعبير آخر، فإن جميع الحواس تكون في حال نشاط غير عادي، ما يجعل الصغير يبدو نشيطاً متوثباً، حتى وإن كان فاقداً لحاسة السمع! فكيف يمكن اكتشاف العلة؟

عندما يولد الطفل فاقداً لحاسة السمع، فإن باقي الحواس تعوّض عن ذلك النقص بصورة مذهلة، بحيث يبدو الوليد على ما يرام، بينما الحقيقة غير ذلك. ومرة ثانية يثور سؤال: وكيف يمكن الكشف عن العلة؟! قبل أن نجيب على هذا السؤال، تعال نتعرف إلى أسباب الصمم عند المواليد.

أسباب صمم المواليد

لا تزيد نسبة حدوث الصمم عند المواليد كتشوّه خلقي على واحد في الألف. والعاهة في هذه الحال ترجع إلى حدوث تحور في الجينات، وفي حالات قليلة أخرى، يكون الصمم جزءاً من تشوهات خلقية متعددة، ولكن



أذن الجنين تكون في حال استخدام كامل قبل أن يولد

من حسن الطالع أن معظم التشوهات الخلقية غير متوافقة مع الحياة، فيموت الوليد في الساعات أو الأيام الأولى من ولادته.

معظم حالات صمم المواليد ترجع إلى أسباب تتعلق بالحمل أو بالولادة، أو بالاثنين معاً، ومعرفة هذه الأسباب يمكن من تفاديها من ناحية، ويسهّل من اكتشاف العلة - كما سيلي بيانه - من ناحية أخرى.

الأسباب المتعلقة بالحمل تتضمن الأمراض التي تصيب الحامل، وكذا الأدوية التي تتعاطاها الأم في أثناء الحمل. وترتفع نسبة الإصابة بالصمم، وبتشوهات خلقية أخرى، إذا كانت إصابة الأم مبكرة، وبالدقة في الأشهر الثلاثة الأولى من الحمل.

من الأمراض التي يمكن أن تصيب الحوامل وتحدث بالغ الضرر بالجنين، الحصبة والزهري، وبعض الأمراض الفيروسية (أي التي يسببها فيروس) مثل مرض «القوباء المنطقية» herpes zoster، وبعض الأمراض التي تسببها «الأوليات» protozoa (الحيوانات وحيدة الخلية) مثل مرض «داء المقوَّسات» toxoplasmosis.

وانتشار هذه الأمراض ينطبق عليه ما ينطبق على سائر الأمراض، من أن النظافة الشخصية والوقائية الأولية، مثل غسل الأيدي جيداً قبل تناول الطعام، واعتزال المصابين بأمراض معدية، تؤدي إلى تخفيف الإصابة بالمرض إلى حد بعيد، وطبيعي أن التعليم ونشر الوعي الصحي، إضافة إلى توافر تدابير وقائية بسيطة، يزيد من فرصة القضاء على الأمراض المذكورة، وغيرها من الأمراض، فضلاً عن عدم الإصابة بها.

أما الأدوية التي يمكن أن تتعاطاها الحامل وتضر الجنين، فتشمل بعض المضادات الحيوية، وبعض مُدرَّات البول، وبعض أدوية علاج الملاريا، والأسبرين.

صحيح أن الطبيب المعالج مسؤول مسؤولية مباشرة عن عدم إعطاء أدوية للحامل تضر بالجنين، إلا أن مسؤولية الحامل تكمن في تذكير الطبيب المعالج بأنها حامل، وحيثما كان هناك شك في الحمل، بمعنى أن السيدة المريضة لا تعرف يقيناً إن كانت تحمل في أحشائها جنيناً أم لا، فيجب تفادي تلك الأدوية من قبيل الحذر، ونظراً لأن الأسبرين عقار شائع الاستعمال فيجب الإشارة إلى الآثار الضارة التي يحدثها على تكوين الجهاز السمعي عند الجنين، وحيثما أمكن، فيجب الإقلاع عن تعاطي الأسبرين نهائياً طوال فترة الحمل.

وأحياناً يحدث في أثناء الحمل ما يسمَّى «الإجهاض المنذر» threatened abortion وذلك حين يحدث نزيف من المهبل في أثناء الحمل، وتوشك الحامل أن تفقد ما في أحشائها من حمل، ثم تستقر الأمور من بعد ويستمر الحمل إلى نهايته. هذه الحالات تشير إلى احتمال وجود اضطراب في نمو «المشيمة» placenta، وبالتالي إلى اضطراب في نمو الجنين، لذلك تنصح الحامل التي تمر بهذه التجربة بمراقبة وليدها جيداً، لاحتمال إصابته بضعف حاسة السمع أو تشوهات أخرى.

أما الأسباب المتعلقة بالولادة، فتتلخص في أن الولادة غير الطبيعية، خصوصاً تلك التي تستخدم فيها آلات لإخراج الجنين من مجرى الولادة الطبيعية، تحمل معها درجة من المضاعفات من بينها إتلاف الجهاز السمعي عند الوليد، كذلك فإن المواليد الذين يولدون قبل تمام فترة الحمل، وأولئك الذين يقل وزنهم عن ألف وخمسمئة غرام (١٥٠٠غم = ١,٥ كغم) عند الوضع، يكونون أكثر عرضة لتأخر النمو بصفة عامة، مما يؤثر على الجهاز السمعي وعلى اكتساب المهارات العقلية.

وإذا كان الصمم، أو ضعف حاسة السمع منتشراً في أسرة بعينها، فهناك احتمال كبير أن يصاب مواليد تلك الأسرة بالعاهة نفسها،

بتأثير انتقال الصفات الوراثية من جيل إلى آخر، وحل هذه المشكلة، وغيرها من مشكلات العلل الوراثية، يكمن في الابتعاد عن زواج الأقارب ما أمكن، إذ كلما زادت درجة قرابة الزوجين، كلما زادت فرصة إصابة الذرية بأمراض وراثية.

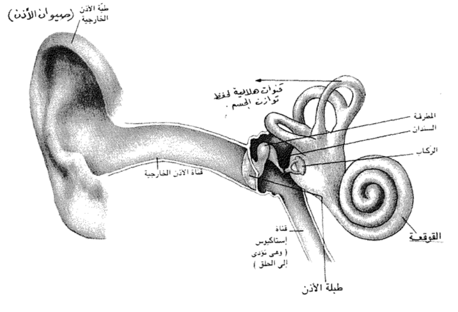
إذا ولد الطفل سليماً مكتمل النمو، فليس يعني هذا أنه بمنجاة من تلف حاسة السمع، فإصابات الأطفال الخطيرة مثل «الحمى الشوكية» أو «التهاب السحايا meningitis» يمكن أن تؤدي إلى إتلاف حاسة السمع، بل إلى إصابة الطفل بتخلف عقلي. «السحايا هي الأغشية المغلفة للمخ». وعلى ذلك فيجب وقاية الوليد من سائر العلل والأسقام بكل سبيل مستطاع.

كشف العلة وعلاجها

إذا مرت الأم في أثناء الحمل بواحد أو أكثر من أسباب الخطر المذكورة، فهناك سبب وجيه للشك في قدرات الوليد السمعية، والمفروض في هذه الحال أن يختبر الجهاز السمعي للوليد طبياً بعد الوضع مباشرة، ذلك أن التأخر في كشف العلة يعني تفويت فرصة ذهبية على الوليد لاكتساب اللغة والمهارات العقلية المصاحبة لها. أما الانتظار إلى العام الثاني من العمر، حين يفترض أن يبدأ الطفل الكلام، فإذا لم يتكلم فمعنى ذلك أن نموه العقلي متأخر عن أقرانه من العمر نفسه، أو أن الطفل أصم. فإن الانتظار إلى هذا العمر «العام الثاني بعد الولادة» تترتب عليه خسائر فادحة للطفل.

لهذه الأسباب يستحسن أن تنتبه كل أم إلى قدرات وليدها السمعية، ونعاود فنؤكد على أن أولئك الأمهات اللاتي يقعن في دائرة الخطر يجب أن يصرفن اهتماماً أكبر لاختبار حاسة السمع عند مواليدهن. ونلفت النظر إلى أن الحواس الأخرى تعوّض الطفل الأصم بحيث تكون استجابته للأصوات من حوله، تشبه استجابة الطفل الطبيعي! والحقيقة هنا أن عيون الطفل الأصم تخبره عن الحركة من حوله بسرعة خاطفة، لذلك فإن يستجيب للحركات من حوله، وإن بدا في الظاهر أنه يستجيب للأصوات! وهذه مسألة يجب أن تؤخذ في الحسبان.

أبسط طرق اختبار حاسة السمع هي إصدار صوت أو أكثر بالقرب من أذن الوليد في أثناء نومه. وذلك لتفادي خديعة الاستجابة بالعينين، ويجب أن يجري الاختبار في أوقات مختلفة، كأن يجري مرة في أثناء نوم الصغير ف يالنهار، ومرة في أثناء نوم الليل. على أن يكرر الاختبار



أبسط طريقة لاختبار حاسة السمع عند الوليد تكمن في إصدار صوت قريب من أذنه في أثناء نومه

بين حين وآخر، باستخدام أصوات مختلفة، وحيثما كان هناك شك في قدرة المولود على السمع فيجب مراجعة طبيب مختص.

وفي أثناء اليقظة، تختلف استجابة الوليد للأصوات باختلاف درجة نموه، ففي الشهر الثالث من العمر ـ مثلاً ـ تبدو على وجه الصغير تعبيرات الدهشة والاستغراب، عند سماع صوت مرتفع مفاجئ، وقد تسكن حركة أعضائه في الوقت أو قد تزداد. أما التنفس والنبض فيكون كل منهما سريعاً، في الشهر الخامس تختلف الاستجابة بعض الشيء، حين يلتفت الصغير بوجهه نحو مصدر الصوت. وكلما نما الوليد، كلما تعددت أنماط استجابته للأصوات في أثناء يقظته.

إذا اكتشفت الأم أن وليدها أصم، فيجب أن تسعى إلى فحص طبي مبكر لجهاز السمع عند وليدها، وفي الوقت الحالي، فإن معظم اختبارات السمع الطبية تستلزم تعاون المريض وتجاوبه ـ الأمر الذي يستحيل أن يوفره وليد. لذلك ابتكر حديثاً اختبار من نوع جديد، ولكنه لا يجري إلا في مراكز طبية متخصصة في أمراض الجهاز السمعي، ونأمل أن ينتشر ذلك الاختبار في المستقبل بحيث يمكن إجراؤه في المستشفيات العامة.

الاختبار الجديد يعرف اختصاراً بحروف الإنجليزية AFP «حث القوة السمعية الكامنة»، يجري الاختبار على الوليد وهو نائم، بإثارة الجهاز السمعي بتيار كهربي ضعيف، ثم قياس استجابة المنطقة السمعية من المخ لتلك الإثارة، وتختلف درجة استجابة المخ لإثارة الجهاز السمعي تبعاً لدرجة الصمم، أو بالدقة تبعاً لدرجة التلف في الجهاز السمعي، وأهمية هذا الاختبار تكمن في الكشف عن وجود صمم، وكذلك في أنه يكشف ما إذا كان العصب السمعي تالفاً أم سليماً.

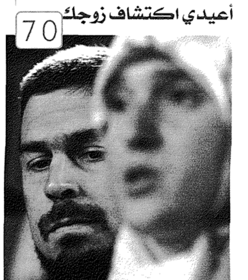
ومتى تم تشخيص الصمم، فإن العلاج يتوقف على الجزء من الجهاز السمعي المصاب بالتلف، ويتراوح العلاج ما بين الجراحة إلى استخدام الأجهزة السمعية، مثل سماعة الأذن لتكبير الأصوات، مروراً باستخدام بعض الأدوية للقضاء على أي ميكروب أو رشح في الأذن الوسطى. بساطة العلاج لا تعني ضمنياً إمكانية التغاضي عن الصمم والسكوت عليه، فالوليد يتعلم بالاستماع شيئاً جديداً كل يوم منذ لحظة ميلاده، والصمم يفوِّت عليه هذه الفرصة ويحرمه من نموه العقلي الطبيعي، ألا تستحق حاسة السمع إذن أن نوليها كل اهتمام عند أحبائنا الصغار؟! ■

البيت المسلم



العدد 470 - العام الواحد والأربعون
شـوال 1425 هـ - نوفمبـر / ديسمبـر 2004 م





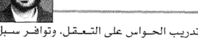


طفولة بلا لعب.. هل هذا ممكن؟

يُعَدُّ اللعب أحد أهم أسس النمو العقلي والجسمي والنفسي لدى الطفل، إلى درجة أن بعض المتخصصين في دراسة سلوك الأطفال قالوا: «إن الطفل الذي لا يلعب فاقد للحيوية».

وفي كتابه القيِّم «إحياء علوم الدِّين» يقول حجة الإسلام الغزالي(١): «... ويعوَّد الطفل المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه طابع الكسل... كما ينبغي أن يُسمَح له بأن يلعب لعباً جميلاً، يستريح إليه من تعب المكتب، فإذا مُنع الطفل من اللعب وأرهق بالتعلم دائماً فإن قلبه يموت وذكاءه يقل».

وفي كتاب «القانون»: إذا انتبه الصبي من نومه فالأولى أن يستحم، ثم يخلى بينه وبين اللعب ساعة، ثم يطعم شيئاً يسيراً، ثم يطلق له اللعب وقتاً أطول، ثم يستحم، ثم يتناول طعام الغذاء.(٢) فاللعب نوع من الفراغ يقوم به الطفل للترويح عن النفس، وصرف الطاقة الكامنة لديه.



بقلم: علاء الدين معصوم حسن

وقد اعترف أفلاطون بالقيمة العلمية للعب في كتاب «القوانين»... وذهب أرسطو إلى أن الأطفال ينبغي أن يتم تشجيعهم على اللعب.

الأسس والغايات

تهدف الألعاب إلى تنمية قدرات الطفل، ويتم تعرفه إلى عالمه وإثبات ذاته، وتكوين بعض العلاقات الاجتماعية.

- تجديد الطاقة اللازمة للنشاط، وإتقان الإشارات وبناء المهارات.
- إرضاء الدوافع والحاجات، واكتساب القدرة على التعلم، وتنمية أدوات الترميز.
- التعبير عن الميول والرغبات والتمكن من مواكبة الخبرات، وتنمية القدرة على الفهم، وتدريب الحواس على التعقل، وتوافر سبل الإبداع والتفكير المستقل.
- الانتقال من الفردية السالبة إلى الجماعية الإيجابية والتضامن والمنافسة البريئة(٣). وبوساطة اللعب يمكن تعزيز علاقة الطفل بالمعالم الحضارية(٤). كما يمكن للطفل أن يكتسب قيماً إنسانية كثيرة. مثل: العدالة والمساواة والمحبة والحرية.. فاللعب نوع من أنواع الانعكاس المبدع لواقع الطفل(٥) وهو وسيلة إعداد الطفل للحياة، حيث يؤدي إلى نمو عملية الإدراك الاجتماعي.
- ويساعد اللعب على الحد من مشاعر الغضب والغيرة والعدوان، ويخلص كثيراً من الأطفال من الخوف والخجل والقلق وسوء التربية، ويمكِّن من إشباع حاجة الطفل إلى المرح والسرور والرشاقة، وينمِّي القدرة على التخيل، ويقلل من السأمة والضجر والملل.
- ويعمل اللعب على تقوية الإرادة ونمو الأخلاق وإنشاء علاقات سليمة وصداقات بريئة مع الآخرين.(٦)

دور المربِّي

- أن يختار الألعاب ذات الألوان الجميلة والأوزان الخفيفة.
- أن تكون أحجام الألعاب مناسبة، وأن يتم الانتباه إلى الشكل الخارجي لكل لعبة، حيث يجب ألا تسبب أذى للطفل.
- أن تكون الألعاب مصنوعة من مواد يمكن تنظيفها بيسر وسهولة.

لم يهمل علماء الإسلام التأكيد على أهمية توافر الحاجات المادية والنفسية والروحية للأطفال وتهيئة المناخ الصالح لهم كي يتعلموا ويلعبوا















ـ أن تتناسب الألعاب وأعمار الأطفال.
ـ أن تكون بين الألعاب أنواع تتيح للطفل محاكاة سلوك الكبار(٧)، كما يجب أن تكون اللعبة جزءاً من البرنامج التعليمي، وأن تعكس الواقع إلى حد كبير، وأن يتم تدريب الطفل على احترام اللعب.

اللعب الإيجابي ومجالاته

١ ـ ألا ينكشف عنه أي ضرر صحي أو مادي أو نفسي أو معنوي.
٢ ـ ألا يتعارض مع المواقف الإنسانية.
٣ ـ أن يساعد على تنمية المواهب في الزمان المناسب والمكان المناسب.
٤ ـ أن يساعد على تنمية الشخصية اجتماعياً ومعرفياً وسلوكياً.
٥ ـ أن يحقق الأهداف العامة للتربية.(٨)

أما مجالات اللعب، فالمكانية داخل الصف وخارجه، والزمانية توظف في أثناء الفواصل المنشطة، وفي الإثارات الدرسية، وأوقات الاستراحات والرحلات، وكل ذلك في حدود الشروط التربوية(٩) التي تهدف إلى النمو المتكامل والابتكار وبناء المستقبل والتحرر من الانطواء، والمحافظة على البيئة.

معايير اختيار الألعاب

ـ أن تساعد على التأمل والملاحظة والوصول إلى الحقائق بخطوات منطقية.
ـ أن تعمل على تنمية القدرات والمهارات في تسلسل منتظم.
ـ أن تكون صالحة للعمل.
ـ أن يتم الحفاظ على النظام.
ـ أن تعمل على تأكيد الاتجاهات الطيبة، مثل: التعاون وتحمُّل المسؤولية.(١٠)

وقد ركز ابن سينا في كتابه «القانون» على ضرورة تربية الطفل والعناية به جسمياً وحركياً حتى ينمو في صحة وسلامة.

ولم يهمل علماء الإسلام(١١) التأكيد على أهمية توافر الحاجات المادية والنفسية والروحية للأطفال وتهيئة المناخ الصالح لهم كي يتعلموا ويلعبوا، واهتم الإسلام بالرماية والمصارعة والفروسية. قال الله تعالى: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) الأنفال:٦٠.

والإسلام هو دين الفطرة في تشريعاته يعدُّ الفرد جسمياً وعقلياً وخلقياً وعلمياً إعداداً سليماً حتى يكون لبنة صالحة في بناء المجتمع.(١٢)، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل». لذا يتعين تربية الأطفال على التراث القيمي والخلقي والحضاري.(١٤) ويتضمن أسلوب الإسلام: بناء الجسم القوي، والتدريب على السلاح والرماية، وغرس الشجاعة والإقدام.

كما تهدف التربية الإسلامية إلى تقدير قيمة الإنسان وقدرته على تحمّل مسؤولياته، والتأكيد على الضوابط السلوكية وتنمية العلاقات الاجتماعية المتكاملة.(١٤)، فالمسلم مطالب بالتوازن في تلبية المطالب البدنية والروحية والصحية(١٦)، وتعد الأنشطة الترويحية التي يمارسها أفراد المجتمع ظاهرة اجتماعية تتأثر بالقيم العقدية والثقافية والأفكار والعادات والتقاليد(١٦)، إلى ذلك فإن الترويح إذا لم يستمد وسائله من البيئة التي يوجد فيها فإنه يصبح عاجزاً عن العطاء وتحقيق الأهداف.

وحتى يحقق اللعب والترويح دوره كاملاً، فإنه يجب مراعاة الضوابط الأخلاقية، وألا تتعارض الألعاب مع القواعد العامة.(١٧)

تحاشي التدليل

ويستحسن أن يجد الطفل نفسه في أثناء فترات لعبه قرب أمه أو إخوته، بحيث يستطيع مشاهدتها وإسماعها صوته وسماع صوتها، وطلب مساعدتها في تعليمه طريقة اللعب، وليس من الضروري ولا المستحسن أن تحتضنه الأم أو تلاعبه وتسليه في أكثر الأوقات.

إن بوسعه أن يستمتع بوجودها على مقربة منه، وأن يستفيد من ذلك، وأن يقوم في الوقت ذاته بتسلية نفسه بنفسه.. فإذا كانت الأم مغتبطة بطفلها إلى درجة أنها تظل تحتضنه وتلاعبه في معظم فترات يقظته، فإنه سيألف على الأرجح هذا النوع من الرعاية ويطلب المزيد منه، ويُنصَح بالابتعاد عن هذا الأسلوب.(١٨)

ولا مانع من مرافقة الطفل يومياً إلى مكان فيه أطفال ليلعب معهم، حتى إذا تعوَّد اللعب بالقرب منهم يصبح متأهباً للتعاون معهم في الوقت المناسب(١٩)، ويحب الأطفال عادة اللعب والدمى البسيطة، ويلعبون بها أطول مدة، وليس سبب هذا بساطة الأطفال، وإنما سعة خيالهم.(٢٠)

وبعد: فاللعب يفسح المجال أمام الطفل كي يتعلم مهارات جديدة، وباللعب تتسع العلاقات الودية بين الأطفال مع بعضهم، وباللعب تظهر القدرات الإبداعية وتتطور المهارات، وهو من أهم عوامل نمو الطفل، وبه يتم إيصال المفاهيم والمعلومات، وبه تتكون هوية الطفل الثقافية ■

•• الهامش ••

١ ـ إحياء علوم الدين ـ دار الفكر ـ بيروت ١٤١٥هـ ـ الصفحة ٦٥.
٢ ـ الصفحة ٧٩ من الجزء الأول.
٣ ـ الطفولة.. لعبها وألعابها ـ حبيب إمام ـ مجلة العربي ـ العدد ٤١٩ ـ أكتوبر ١٩٩٣م.
٤ ـ سيكولوجية اللعب ـ أحمد بلقيس ـ دار الفرقان ـ عمان ١٩٩٢م.
٥ ـ علم نفس الطفل ـ لوبلتسكايا ـ تر: علي منصور ـ وزارة الثقافة السورية ١٩٨٠م.
٦ ـ اللعب وأبعاده النمائية ـ د.أمل أحمد ـ مجلة المعلم العربي ـ العدد الأول ـ ١٩٩٣م.
٧ ـ اللعب في حياة الأطفال ـ مجلة الطفل العربي ـ نيسان ١٩٨٩م.
٨ ـ الوسائل التعليمية والمنهاج المدرسي ـ د.أحمد حسين ـ مركز الكتاب في القاهرة.
٩ ـ دور الألعاب ـ مهند محمد ـ مجلة بناة الأجيال ـ العدد ٤٤ ـ تشرين أول ٢٠٠٠م.
١٠ ـ الألعاب التعليمية ـ د.محمد محمود ـ مجلة الخفجي ـ جمادى الثاني ١٤٢١هـ.
١١ ـ حقوق الأطفال ـ د.تماضر حسون ـ مجلة الفيصل ـ العدد ١٩٩ ـ ص٩٥.
١٢ ـ العناية بتربية الناشئة ـ د.محمد مطيع ـ صحيفة البيان ـ العدد ٦١٩٧ ـ تاريخ ٣٠ المحرم ١٤١٨هـ ـ الصفحة ٢٩.
١٣ ـ منهج التربية الإسلامية ـ د.عثمان خليل ـ كتيِّب المجلة العربية ٣٩.
١٤ ـ انظر: أصول التربية الإسلامية ـ عبدالرحمن نحلاوي ـ دار الفكر بدمشق ـ الطبعة الأولى ١٩٧٩ ـ ص٩٧ وما بعدها.
١٥ ـ الترويح ـ عبدالله السدحان ـ الرياض ١٤٢١هـ ـ الصفحة ٤٣.
١٦ ـ البدائل الإسلامية لمجالات الترويح ـ يحيى مصطفى ـ الصفحة ٦٢.
١٧ ـ الترويح لماذا نمارسه ـ عبدالله السدحان ـ مجلة الفيصل ـ رجب ١٤١٩ ـ ص٩٦.
١٨ ـ موسوعة العناية بالطفل ـ د.سبوك ـ ت: عدنان كيالي ـ بيروت ١٩٩٨م ص١٩١.
١٩ ـ المرجع السابق ـ ص ٣١٦.
٢١ ـ المرجع السابق ـ ص٣٦١.



أعيدي اكتشاف زوجك

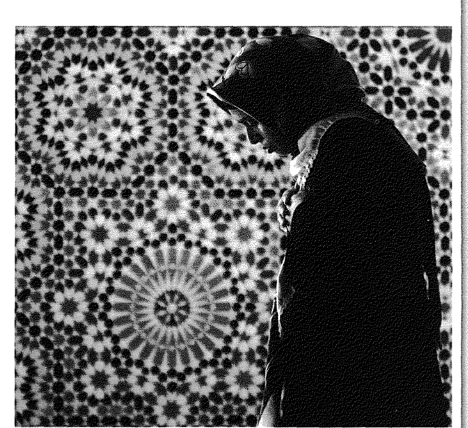
لماذا نتنفس هواءً راكداً في بيوتنا بعد سنوات عدة من الزواج؟ أين تختفي البهجة؟ من أين تزحف ذرات الملل لتغطي كل شيء؟

كيف تتسرب المشاعر الطازجة المشرقة التي اجتاحتنا في البداية لتترك وراءها خواءً موحشاً؟

ومن المسؤول عن ذلك؟

بالتأكيد ليست الزوجة وحدها، لكنني أوجه حديثي إليها ليس لأنها من بنات جنسي فقط ولكن لأنها الأشد تضرراً من هذا الملل الزواجي الذي يصنع بيئة خصبة في نفسها ينمو من خلالها الغضب والأسى والكآبة والإحباط مما يؤثر على أدائها في جميع المجالات كأم وزوجة وإنسانة.

كما أنها الأجدر بحل هذه المشكلة بما وهبت من قدرات عاطفية مرهفة ومشاعر حساسة ذكية تمكنها دائماً من التجدد والإبداع في احتواء أسرتها وتحقيق هدفها الأسمى في تكوين أسرة سعيدة.



بقلم: إيمان القدوسي

عادة تبدأ الفتاة حياتها الزوجية بنية صادقة في إسعاد زوجها ويخامرها إحساس بالثقة في أنها ستتجنب أخطاء غيرها ولن يحدث ما يعكر صفو حياتها الهانئة، تبذل وتتفانى وتعطى بصبر وحب وإخلاص وبعد فترة من الصمود تتهاوى آمالها أمام الحقيقة المرة، إنها تدور معه في دوائر لا نهائية من سوء الفهم وسوء التقدير وتكرار المشكلات والتباعد والجفاء، تختلف التفصيلات ويبقى جوهر المشكلة، ربما لولا وجود الأبناء والمظهر الاجتماعي وبقية من مودة لا تفصم الميثاق الغليظ الذي يربط بينهما. لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟

لا يوجد سبب مهم واضح ومباشر ولكن التعامل بينهما أصبح عقيماً، غير مثمرة، وغير مشبع. بل أحياناً يكون شائكاً تقف الزوجة لتتساءل فيم قصرت؟ وماذا أفعل لإنقاذ بيتي؟

وهنا أهمس في أذنها:

أعيدي اكتشاف زوجك.

وراجعي أسلوبك في معاملته.

أولاً: اسألي نفسك وأجيبي بأمانة: هل هو رجل سيء؟

أنا أسمع إجابتك إنه رجل فاضل على خلق ودين ويتمتع بكثير من الخصال الطيبة كما أنه ناجح في عمله عطوف على أهله وولده.

ثم ننتقل للسؤال الأكثر صعوبة:

هل أنت حقاً مستعدة للتنازل عنه لغيرك من النساء.

ربما نجحت هي فيما فشلت أنت فيه؟

أراك تنتفضين غضباً وقد أشعلت الغيرة في نفسك ما انطفأ بفعل التعود من مودة ومحبة وارتباط حميم بزوجك وأسمعك تجيبين ربما أغضب منه لكني لا أتنازل عنه أبداً.

نصل الآن إلى لبّ المشكلة كيف أعيد اكتشاف زوجي ونفسي؟

كيف أعيد صياغة حياتي بأسلوب جديد

يضفي عليها الرونق والبهجة؟
ما النصائح الحديثة المفيدة في هذا الصدد؟

١ - امنحيه نوعية الحب الذي يحتاجه.

إن حاجات الرجل الأولية في الحب هي: الثقة والقبول والإعجاب، فتوقفي نهائياً عن محاولة تغييره عن طريق الانتقاد والنصيحة إلا إذا طلب هو منك النصح والمشورة.

وبدلاً من ذلك أظهري له الحب والتقبل لشخصه كما هو بغير شروط أو تعديلات فهو يحتاج لتقبلك له وثقتك فيه وإعجابك بصفاته الطيبة وليس المزيد من المحاضرات التي تتقدين فيها سلوكه وتقدمين له نصائحك الغالية التي لم يسألك عنها، ذلك الأسلوب الذي يشعره أنه طالب فاشل في مدرسة أنت مديرتها التي نذرت نفسها للإصلاح من شأنه بتوجيهه وإرشاده وإعادة تشكيله كما يروق لها، هذا الأسلوب في التعامل مع الزوج هو أسرع السبل لفراره من قسوة المديرة وحكمة المصلحة الاجتماعية، إذ إنه يحتاج بعد عناء العمل ومكابدة الصراع في الحياة إلى حبيبه ورفيقه ويد حانية رحيمة ونظرة إعجاب بالفارس النبيل وثقة لا متناهية في قدراته.

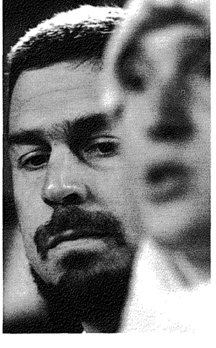
إن الزوجة يدفعها حبها لزوجها وحرصها على مصلحته لأن تساعده على الارتقاء بنفسه دائماً لذلك فهي لا تدخر وسعاً في نصحه لما هو أفضل، ولكن هذا الأسلوب هو ما يحبطه ويطفئ مشاعره تجاهها.

٢ - دعيه يشعر بحريته

لا تحاصريه، ولا تطارديه عندما يرغب في الانسحاب والاختلاء بنفسه، فالرجل بعد الزواج تتنازعه رغبتان متضادتان، الرغبة في التوحد مع الزوجة في إطار الأسرة، والرغبة المتأصلة في نفسه في الشعور بالاستقلال.

فعندما تسيطر عليه الرغبة في الاختلاء إلى نفسه والابتعاد فلا تطارديه ولا تحاولي إغراقه بعواطفك ولا تسأليه بإلحاح عما ألمّ به، بل اتركيه حتى يعود إليك من تلقاء نفسه مقبلاً راغباً متجدداً.

ولا تستنكري حاجته للانسحاب فتحيطيه بمزيد من الرعاية ولا تطارديه بأسئلتك ولا تقلقي بشأنه أو تشعريه بالشفقة عليه أو الغضب منه، فما يحدث له هو أمر طبيعي للغاية إنها دورة عاطفية خاصة بالرجل



لا تركني إلى السلبية والتواكل حتى لا تشعري زوجك أنك مجرد عبء من الأعباء التي تثقل كاهله

فتفهّميها وتعاملي معها بحكمة.

وفي أوقات انصرافه عنك اشغلي نفسك بأي عمل حتى تتم الدورة الخاصة به ويعود من تلقاء نفسه أكثر حباً وتفهماً ورغبة.

٣ - كوني شخصية مستقلة

على المرأة طاعة زوجها، ولكن هذه الطاعة يجب ألا تكون عمياء بل طاعة مبصرة، فطاعة الزوج لا تعني إلغاء شخصية الزوجة وتحويلها إلى تابع لا يملك من أمر نفسه شيئاً، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما الطاعة في المعروف»، والمعروف هو كل أمر فيه خير في الدنيا والآخرة.

ولا تعتقدي أن الرجل قادر على كل شيء بل هو بشر تعتريه لحظات ضعف وخوف وقلق فيكون محتاجاً إلى صدر حنون وعقل واع ورأي سديد يعينه على استعادة تماسكه وصلابته في مواجهة الأحداث، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستشير زوجاته ويستمع إليهن وربما أخذ بالرأي إذا وجده سديداً، كما حدث مع أم سلمة رضي الله عنها حين أشارت عليه بأن يبادر بالحلق والنحر في عمرة الحديبية ليتبعه أصحابه، وأخذ بمشورتها.

كذلك كانت السيدة خديجة زوجته أول من استجاب لدعوته وكانت أول من أخبرها صلى الله عليه وسلم بنزول الوحي عليه، فطمأنته بكلماتها البليغة «أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً فإنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتؤدي الأمانة وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق»، وكانت رضي الله عنها نعم الزوجة الصالحة وخير قدوة للمسلمات، فقد كانت تعين زوجها صلى الله عليه وسلم برجاحة عقلها وفطنتها وبكل ما تملك رضوان الله عليها.

فلا تركني إلى السلبية والتواكل حتى لا تشعري زوجك أنك مجرد عبء من الأعباء التي تثقل كاهله، بل كوني له صديقة مؤازرة في جميع مواقف الحياة وشدائدها.

٤ - أشعريه بحاجتك إليه

تشعر المرأة بتحقيق الذات من خلال العطاء الدائم لأسرتها، فتقوم وحدها بالعبء الأكبر دون أن تشرك زوجها في ذلك فيخبو حماسه واهتمامه بأسرته، بل ينفصل شعورياً عن مشكلاتهم، فالرجل يتحمس للمساعدة إذا شعر باحتياج زوجته وأولاده إليه، أما شعوره بأن لا أحد في حاجة إليه، فيجعله سلبياً وخاملاً ويقل عطاؤه بمرور الأيام، من ناحية أخرى، إذا شعر أن شريكته تثق به وتقدر ما يقدمه لها فإن ذلك يدفعه لأن يبذل كل ما في وسعه ليدعمها ويمنحها كل حاجاتها.

يقول علماء الاجتماع «موت بطيء للرجل أن يشعر أن لا أحد في حاجة إليه»، ويقولون أيضاً: «إن الرسالة السحرية التي تبعث بها الزوجة لزوجها أنها تحتاجه دائماً وأنه الشخص الوحيد الذي بإمكانه إسعادها».

٥ - افهمي لغته

قال تعالى: (وليس الذكر كالأنثى) تلك الآية الكريمة لها معان عميقة الدلالة التي مازلنا نكتشف كل يوم أوجهاً جديدة لها ومنها أن طريقة المرأة في استخدام اللغة تختل تماماً عن طريقة الرجل في ذلك، فالمرأة يهمها «التعبير عن المشاعر» لذلك فهي تلجأ



للتشبيهات والاستعارات والتعميمات المبالغ فيها للتعبير عن مشاعرها.

كما أنها تتكلم لمجرد التنفيس عن مشاعرها وإحباطاتها وتريد من الرجل أن يستمع إليها فقط باهتمام ومجرد إنصاته وتعاطفه يريحها، أما الرجل فيستخدم اللغة للتعبير عن معلومات ولا يقصد إثارة أي مشاعر سلبية قد تحدثها هذه المعلومات إذا أساءت الزوجة فهمها.

للحديث مع الرجل وخصوصاً في حال الخلاف أو الطلب قواعد:

كوني صريحة ومباشرة.

كوني مختصرة.

استخدمي «هل من الممكن» لأنه يكون أكثر ميلاً للموافقة إذا كان لديه الحق في الرفض، أما صيغة الطلب بالأمر فهي تغريه بالرفض، وعندما يصمت الرجل بعد أن تعرضي عليه مشكلة ما أو في أثناء حديثك معه عن أي أمر مشترك فلا تسيئي تفسير صمته فهو باختصار ليس لديه ما يقوله فامنحيه فرصة ليفكر.

٦. عندما يكون الرجل في موقف سلبي

عامليه كأنه إعصار وتجنبيه حتى يمر.

إن للزوج علم وفن، بل هو معجزة توجد بين شخصين غريبين تماماً عن بعضهما بعضاً، لينصهرا معاً في بوتقة واحدة ويصير كل منهما أقرب للآخر من نفسه التي بين جنبيه.

فأثري نفسك بتعلم المزيد من قواعد وأصول علم الزواج وقومي بصقل موهبتك الخاصة في فن الزواج وأعيدي اكتشاف زوجك لتحييا معاً حياة جديدة أكثر سعادة وتناغماً ■

بقلم: كمال عبدالمنعم محمد خليل

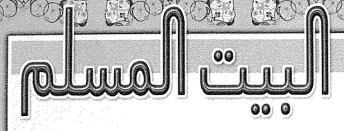
هموم الشراء بالتقسيط على الأسرة

لكل أسرة لها ضرورات وحاجات لا يمكن أن تستغني عنها، وكذلك لها كماليات يمكن للحياة أن تستمر من دونها، والأسرة المحسنة للتدبير هي التي تقدم الضرورات على الكماليات، ويحكم هذا التصرف المستوى الاقتصادي لكل أسرة، فإذا ما كان المستوى الاقتصادي للأسرة مرتفعاً، فإن توافر الحاجات الضرورية والكمالية لتلك الأسرة لا يشكل أي عبء عليها، ولا يدخلها في دوامة الشراء بالأجل أو بالتقسيط، أما إذا كانت الأسرة ذات مستوى اقتصادي متواضع أو محدود - وهو حال معظم الأسر في أكثر بلدان عالمنا الإسلامي - فإن توافر متطلبات تلك الأسرة يتوقف على حسن تقدير مدى الحاجة إلى ما يرغبون في شرائه، وللأسف، فإن مسألة الشراء لأي أسرة حتى ولو كانت فقيرة تحكمها أمور عدة خلافاً للحالة الاقتصادية التي تعيشها وأكثر ما يدفع بعض الأسر إلى اقتناء الأشياء النظرة المقارنة إلى الأسر الأخرى، ونقصد بذلك مقارنة أحوالهم بأحوال أسر أخرى ميسورة الحال، تمتلك كذا وكذا، فتدفعهم الغيرة والحمية إلى اقتناء مثل ما عند غيرهم، ولو دفعهم ذلك إلى الاقتراض أو الشراء بالأجل، وإن كان هذا أو ذاك فهو هم يضاف إلى الهموم التي تتحملها الأسرة، بل إن هذا الهم لا يكاد يفارق الأسرة، فما إن انتهت من أقساط سلعة، حتى تبدأ في سداد أقساط سلعة جديدة، وهكذا تظل هذه الأسرة في دوامة الشراء بالتقسيط لا تفيق منها ولا تنتهي.

والمسلم مطالب بأن يكون وسطاً في كل مطالبه وفي كل أحواله لأن الوسطية شعار الأمة المسلمة قال تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً) (البقرة:١٤٣)، من أجل ذلك لا ينبغي أن يقتني المرء المسلم إلا ما يحتاجه وما يقدر على سداد ثمنه حتى لا يسبب خلاف ذلك المشكلات التي تهدد كيان الأسرة واستقرارها.

وعلى الزوجين أن يتفاهما في أمور الشراء لما يحتاجه منزلهما، فيحسنان التقدير ويحسنان التدبير بدلاً من الفرح للحظات في حال اقتناء ما يرغبون به ثم تتوالى تبعات هذا الشراء بعد ذلك.

لا يمكن لإنسان أن يحرِّم البيع والشراء، فقد أحلهما الله تعالى، ولكن الله سبحانه نبهنا إلى ألا نكلف أنفسنا فوق طاقتنا في كل الأمور، وإذا ما التزمت الأسرة المسلمة بذلك فإن الهموم لا تعرف لها طريقاً ■



سامحيني يا أمي!!

بقلم: نبيلة عبدالعزيز حويحي

بين النوم واليقظة فتحت عينيها بصعوبة... وراحت تصطاد من الفراغ المحيط بها ملامح امرأة تجلس إلى جوارها في الفراش، وبعد لحظات خانتها قواها فاستسلمت لنوم عميق، بينما تراءت لها أصابع تلك المرأة تلتف في قسوة حول رقبتها... صرخت في فزع ولم يسمعها أحد، فغرقت في بحر متلاطم من الكوابيس المزعجة.

في جوف الليل، استردت وعيها، تسللت عيناها تمسح أركان الغرفة، كانت حماتها تجلس فوق سجادة الصلاة وأمامها مصحف كبير الحجم فوق حامل خشبي... للمرة الأولى تتأمل ملامحها، كانت توحي بالطيبة والنورانية... كيف لم ترها من قبل وهي تعيش معها في مكان واحد منذ أشهر طويلة؟.

فهي منذ البدء حددت موقفها بدقة... واتخذت موقعاً مناسباً كقناص بارع تمرّس طويلاً على إصابة الهدف... جاءت محملة بتراث عقيم من حكايات الجدات ووصايا الخالات والعمات والأمهات عن ضرورة كسر شوكة الحماة وإذلالها، فاستعانت بكل ما في جعبتها من أسلحة لتحقيق المطلوب.

استقبلتها حماتها في فرح وبهجة... لكنها كانت قد عقدت العزم على بدء معركة شرسة للتخلص منها في أسرع وقت ممكن.

اختلقت المشكلات وافتعلت المشاجرات، أحالت البيت الهادئ إلى جحيم، حرمت على حماتها دخول المطبخ بحجة أنها يجب أن تقوم بإعداد طعام الزوج... حتى المذياع الصغير الذي كانت تحتفظ به حماتها في غرفتها لتملأ قلبها بما يبثه من آي الذكر الحكيم، استولت عليه بحجة أن صوته يزعجها ويسبب لها الأرق.

ولمجرد خروج الزوج إلى عمله، تبدأ هي عملها في تسميم حياة سيدة الدار حتى اضطرتها إلى لزوم غرفتها معظم الوقت، ومع ذلك لم تسلم من لسانها السليط. وما أن يعود الزوج حتى تختلي به فتشكو إليه مر الشكوى من أمه، وتذرف بين يديه دموع التماسيح محاولة أن تزرع في عقله فكرة إلقاء والدته في إحدى دور العجزة تخلصاً من مشاغباتها التي لا تنتهي.

استغلت فرصة غياب الزوج لبضعة أيام لحسم الصراع لصالحها... كانت في غرفتها تعد العدة لجولة أخيرة... وتمني النفس باليوم الذي تحزم فيها حماتها حقيبتها وترحل نهائياً عن البيت حتى تصبح هي بحق سيدة على كل شيء.



فجأة أحست بأن أقدامها تغوص في لجة عميقة... وكأن طبولاً صاخبة تدق رأسها في عنف... أطلقت آهة طويلة وحادة قبل أن تتهاوى على نفسها ككومة من الرمال ركلتها قدم غليظة بعد أن استنفدت أغراضها.

حانت من حماتها التفاتة، فنهضت مسرعة وهرولت تجاهها واحتضنتها في أمومة صافية قائلة: الحمد لله على سلامتك يابنتي.

كانت رائحتها الطيبة تتسلل إلى نفس الزوجة الشابة، فتهدأ نفسها ويقر قلبها.

تساءلت في ضعف: ماذا حدث؟

قالت الحماة مبتسمة في وداعة: لا تقلقي... إنها إغماءة بسيطة ناتجة من التوتر والإرهاق، وقد وصف لك الطبيب بعض الأدوية وقليلاً من الراحة حتى تستردي صحتك.

قلت في دهشة: أو كان هناك طبيب؟

أجابت الحماة في هدوء: لقد خفت عليك عندما سقطت في غرفتك، فاستدعيت الطبيب.

صمتت الزوجة في خجل، فواصلت الحماة كلامها قائلة: وعلى العموم يابنتي، لا داعي للتوتر أو القلق... فإنني قررت مغادرة البيت إلى إحدى دور العجزة حتى يهدأ بالك وتطمئن نفسك... ولكنني سأبقى معك حتى يمن الله عليك بالشفاء ويعود زوجك من سفره بالسلامة.

كانت الدموع تترقرق في عيني الشابة حارة ساخنة وهي تأخذ حماتها بين ذراعيها متوسلة في صوت خفيض: سامحيني يا أمي.. أرجو الله أن يغفر لي ما اقترفته في حقك من أخطاء، أرجوك لا تغادري المنزل ■

إفشاء أسرار العلاقات الزوجية جريمة شرعية تهدد كيان الأسرة!

"واقع أليم يعيشه كثير من الأزواج والزوجات بإفشاء أسرار علاقاتهم الزوجية التي تصل أحياناً إلى الوصف الدقيق لتفاصيل العلاقة"

تحقيق: فاروق الدسوقي محمد



صحفي في جريدة اللواء الإسلامي - مصر

الحياة الزوجية «أسرار».. وإفشاؤها خيانة، ولا يجوز بأي حال الخوض في تفاصيل هذه العلاقات بالحديث مع الآخر أو حتى لمجرد التلميح، لأنها علاقة مقدسة حرصت عليها الشريعة الإسلامية بما يكفل لها الاستمرار والمحافظة على الأسرة من الانهيار، فلا يجوز لطرف من أطراف هذه العلاقات الأسرية سواء الزوج أو الزوجة أن يفشيا أسرار هذه العلاقة.. ولقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن إفشاء أسرار الحياة الزوجية، كما حذر الإسلام من إفشاء ما يحدث في بيت الأسرة، وبخاصة ما يحدث داخل غرف النوم، فجعل السرية سياجاً يحيط بهذه العلاقة الكريمة، ولم أكن أتخيل - مجرد خيال - أن يحظى هذا الموضوع بنصيب الأسد من اهتمام النساء..

هذه ليست ظاهرة عادية أو جزءا من عمل درامي.. ولكنه واقع أليم يعيشه كثير من الأزواج والزوجات بإفشاء أسرار علاقاتهم الزوجية التي تصل إلى الوصف الدقيق أحياناً لتفاصيل العلاقة، الأمر خطير ويحتاج إلى معالجة جادة، وخصوصاً أن الأديان السماوية وفي مقدمها - الإسلام - ترفض ذلك وتحض على سرية هذه العلاقة المقدسة، لما في ذلك من صون لها من أن يطلع عليها الآخرون، أو يحاولوا العبث بها.

علماء الدين أكدوا رفضهم التام لمثل هذه السلوكات التي تتنافى ومبادئ الإسلام وتوجيهات الرسول صلى الله عليه وسلم.

البيت المسلم

ومن جانبهم عبَّر علماء الاجتماع عن استيائهم لمثل هذه الظاهرة الخطيرة التي قد تؤدي إلى الشعور بعدم الرضا من قبل المستمعين لمثل هذه الحكايات.

جلسات نسائية

في البدء يقول الدكتور منيع عبدالحليم محمود عميد كلية أصول الدين في جامعة الأزهر: إن الأسرة هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع المسلم، ولهذا حرص الإسلام على وضع المبادئ التي يجب أن تقوم عليها بما يكفل لها الاستمرار ويحفظها من الانهيار والضياع، ولعل أهم الأسباب التي تحفظ للأسرة تماسك كيانها هو عدم إفشاء أي طرف فيها لأي سر من أسرارها، لأن إفشاء أسرار العلاقات الأسرية سواء كان ذلك من الزوج أو الزوجة أو حتى الأبناء، أمر يعرض الأسرة للتفكك والانهيار.. وقد حذر الشرع من ذلك ونهى عنه وجعل السرية أمراً مطلوباً بين الزوجين.

كما أن إفشاء الأسرار الزوجية في جلسات النساء انتهاك لكثير من الأعراض وتجاوز للحدود في غيبة وبهتان، ويجب أن تنتبه المرأة المسلمة وتحذر من الجلوس والخوض في مثل هذه المجالس التي لا تجد فيها إلا النساء الجاهلات.. اللاتي ليس لديهن سوى النيل من أعراض أزواجهن وهتك أسرارهن، وهي قضية دينية وإنسانية لا تقبل الخلق السيئ ولا الخروج على عادات وتقاليد المجتمع المتعارف عليها، فالإسلام يرفض هذه الجريمة النكراء، سواء كانت مستترة أو علانية، ويعاقب عليها أيضاً، لأنها جريمة أخلاقية فيها اعتداء على المجتمع ككل، وذلك لأن عدم التحفظ والحديث أمام الناس علانية قد يجعلهم يتعودون عليها فيتحدثون علانية على أنها سلوك عادي لاشيء من الخطأ فيه.

ويضيف الدكتور منيع قائلاً: علماء الإسلام مطالبون بتكثيف جهودهم لتوعية الناس وتنبيههم لخطورة هذه الظاهرة، فالإسلام دين بناء وتكامل، ويحض على بناء الأسر المسلمة الناضجة، ولا يشجع على إفشاء أسرار العلاقات الزوجية، بل يرفض هذه التصرفات ويعاقب عليها.

أين الحياء؟

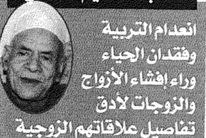
ويؤكد الدكتور عبد العظيم المطعني أستاذ الدراسات العليا في جامعة الأزهر، أن انعدام التربية والتجرد من الأخلاق الفاضلة وفي مقدمها الحياء وراء ما يحدث من إفشاء أزواج وزوجات أسرار علاقاتهم الزوجية، مشيراً إلى أن الشيطان الرجيم قد يسيطر على بعضهم فيصور لهم هذه السلوكات على أنها ليست سلوكاً خاطئاً، ويرون في ذلك تحقيقاً لكمال الشخصية، ومن المؤثرات التي ترسّخ هذه المفاهيم الخاطئة تلك الأفلام الكوميدية السخيفة التي تتخذ من التهريج والسير في الاتجاهات المعاكسة وجلوس الرجال والفتيات ليحكوا لبعضهم بعضاً أسرار العلاقات الزوجية أمام الشاشات، مما أثر على الجماهير، وترتب على ذلك خلو فكري لديهم مما يدفعهم للحديث في أي شيء وعن أي شيء وهم لا يدركون خطورة ما يتحدثون عنه من تأثير على كيان الاسرة، أو ما قد يسببه من انهيار لهذه الأسرة.

ويضيف قائلاً: إن الزواج علاقة مودة ورحمة، والله تعالى سن الزواج حتى يعمر الكون بالبشر في صورة أسر تتكون ثم تستمر، وتسير على المنهج الذي أمرنا به سبحانه وتعالى، فيجب احترام كل طرف من أطراف الأسرة للآخر، وأن ينتبه إلى ضرورة عدم إفشاء أسراره الزوجية حتى إلى أقرب المقربين.

د. منيع عبد الحليم:

يجب نبذ السلوكات الخاطئة في المجتمع حتى لا يتعود عليها الناس ويعتبروها صحيحة

د. عبد العظيم المطعني:



انعدام التربية وفقدان الحياء وراء إفشاء الأزواج والزوجات لأدق تفاصيل علاقاتهم الزوجية

استقرار نفسي

وتضيف الدكتورة إيمان الشريف أستاذة علم الاجتماع والخبيرة في المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، أن إفشاء أسرار الزوجية له آثار نفسية بالغة الخطورة، وينتج منه كارثة اجتماعية تهدد الكيان الأسري بالتفكك والانهيار، ويجب أن يكون علاج هذه الظاهرة عن طريق التربية، وإعداد النشء على القيم والمبادئ الإسلامية السامية، وألا يشب الطفل فينشأ على سماع والدته وهي تقص تفاصيل الحياة الزوجية لجيرانها، أو والده وهو يحكي لأحد أصدقائه، لأنه حتما سيقلدهم، لأن الطفل في مرحلة عمرية لا يستطيع أن يفرق فيها بين السلوك الصحيح والسلوك الخاطئ، وقد وجه الله تعالى أمته إلى أهمية مراعاة السرية في الحياة الزوجية في قوله عز وجل: (هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ) البقرة:١٨٧، واللباس هو الذي يستر ولا ينكشف.. ومن أهم الأمور التي يجب أن تحاط بالسرية ما يجرى بين الزوجين في أثناء المعاشرة الزوجية، فلا ينبغي لأي من الزوجين أن يذيع ما يجرى بينهما متباهياً بذكر التفاصيل.

وتقول: إن جميع الأديان السماوية وفي مقدمها - الإسلام - ترفض وتحرّم إفشاء مثل هذه الأسرار، ولهذا يجب تنشئة الأطفال على مبادئ الإسلام السمحة، وضرورة توعيتهم بالأضرار البالغة التي قد تنجم عن إفشاء بعض الأسرار، حتى نساعد على خلق مجتمع خال من الأمراض النفسية يتسم أفراده بالطمأنينة والاستقرار.

إن الإنسان عندما يقدم على الزواج تكون رغبته إشباع حاجات نفسية لديه، ومن أهم هذه الحاجات الاستقرار النفسي، وقد نظم الإسلام هذه العملية تنظيماً رشيداً في أحكامه وتعاليمه ومبادئه، فلا يقوم أحد طرفي العلاقة بإفشاء أسرار الآخر حتى لا ينتج من ذلك أضرار نفسية جسيمة، فالصحة النفسية بوجه عام تتلخص في كون الإنسان آمناً على حياته وأسراره وإن لم يكن هناك جهة يستأمنها على هذه الأسرار ■

لا تحكي لطفلك حكايات مرعبة

بقلم: فاطمة حسين

في دراسة تمت على مئات الأطفال في مرحلة رياض الأطفال في بعض مدارس المدن المصرية، سنتحدث عن مضامين الحكايات التي تحكى لهم من قبل الآباء والعمات والخالات والمعلمات، اكتشفنا كما هائلا من الحكايات المرعبة، ومن علاقات الخطف، والاعتداء، والقتل، وإراقة الدماء، كل هذا نقدمه لأطفالنا دون أن ندري مغبته وعاقبته ويسمع ملايين الأطفال العرب حتى اليوم من أفواد الكبار حكايات عن «أمنا الغولة» و«أبي رجل مسلوخة» و«البعبع» و«العفاريت» و«النداهة»، ولا يدري الكبار مدى الايذاء الذي يسببونه لصغارهم بهذه الحكايات.

وكثير من أطفالنا يصابون بالتبول اللاإرادي، والخوف من الظلام، ولجلجة النطق، وقضم الأظفار، وعدم الثقة بالنفس جراء هذه الحكايات المخيفة.

نتصور خطأ أننا ندخل البهجة على أطفالنا بهذه الحكايات، ولا ندري ما تسببه من تشويه في نمو شخصية أطفالنا، مما يترك بصماته على شخصية الطفل عندما يكبر.

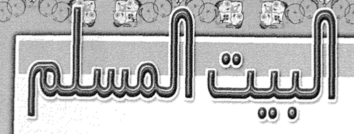
إن بعض الكبار يخافون من الأماكن المظلمة، أو رؤية الطيور أو الكلاب السوداء أو العجائز اللواتي يرتدين الثياب السوداء دون أن يدروا ما السبب؟، وعلينا أن نحفز طفولتنا فربما يعزى السر إلى هذه السنوات البعيدة عندما استمعنا إلى حكاية من أب أو أم أو جدة أو معلمة، وتركت تفاصيلها داخلنا مثل هذا الأثر البغيض، وكما يلاحظ المربي الأمريكي «فيليبس هوسلر» أن الخوف لازمة من لوازم حياتنا البشرية، وهو كذلك حال من حالات بقائنا، ومع ذلك فالحياة تتطلب منا ألا نجري مبتعدين في كل مناسبة، وعند كل تهديد ومن مظاهر نمونا، أن نعرف كيف نتحكم في هذه المخاوف، وأن نسيطر عليها، وإن كنا لا نستطيع استئصالها.

ولا ننسى أن الطفل في مرحلة ما قبل المدرسة يحتاج إلى من يحكي له حكاية مسلية، ولكن إذا دب النعاس في جفونه، على إيقاع نبرات حكايات أمنا أو أبينا، وهما - تحكيان لنا حكاية مخيفة فإنه ينام وهو يحمل في طياته الخوف، فبعضهم يلتف حول الأجداد ليتحفوا بحكاياتهم المشوقة، وربما تراجعت هذه العادات مع ظهور المربيات الأجنبيات في بيوتنا، وتغلغل التلفاز والحاسوب في حياة أطفالنا، ومع ذلك لا تزال الحكايات للأطفال تحظى بمكانة مميزة في المجتمعات الريفية والأحياء الشعبية في المدن ويمكننا أن ننوع مصادر حكايات أطفالنا، فكم من تجاربنا وخبراتنا الشخصية التي تشكل خبرات تربوية تصلح أن تقدم للصغار، ومن التراث الشعبي، ومن القصص الإسلامية المستمدة من تاريخنا الإسلامي؟، يمكنها جميعاً أن تشكل مادة لحكايات أطفالنا فتولد فيهم قيم العزة بالنفس والتواد، والتعاطف، والرحمة، والتطلع إلى الآفاق البعيدة.

وربما أزاح الكتاب المصور، وقصص

الحكايات للأطفال ما زالت تحظى بمكانة مميزة في المجتمعات الريفية والأحياء الشعبية في المدن





كثير من الأطفال يصابون بالتبول اللاإرادي والخوف من الظلام ولجلجة النطق وقضم الأظفار وعدم الثقة بالنفس جراء الحكايات المخيفة

الأطفال المطبوعة الحكاية الشفاهية عن عرشها، لكنه لم يفقدها سحرها وعذوبتها.

بيّنت الأبحاث أن الأطفال الذين لم يعتادوا الانتباه إلى الصوت البشري فسيكون ذلك عائقاً كبيراً أمامهم في المدرسة التي تعتمد على الاستماع إلى ما يقوله المعلم، والتواصل الشفوي بين المعلم والمتعلم أساس التعلم في المدرسة، والاستماع إلى الحكايات يجنب الأطفال صعوبات تعلم القراءة، وتبين إحدى الدراسات أن الأطفال الذين لم يقرأ لهم آباؤهم بانتظام غالباً ما يجدون صعوبة في الاستماع إلى الأصوات الهجائية في الكلمات، وهي مهارة أساسية لتعليم القراءة.

ليس هناك سن محددة للتوقف عن الحكي لأطفالنا، فالعديد من الأطفال يحبون أن يستمعوا إلى حكاية حتى بعد أن يتعلموا القراءة ويصبحوا منافسين.

إن سماع حكاية من الكبار أو قراءة كتاب للصغير قبل النوم تبقى من معلم الحياة الأسرية التي تحفر في الذاكرة طويلاً لكن تبقى المشكلة ماذا نحكي وماذا نقدم لأطفالنا بعيداً عن الإضرار بهم والإساءة لشخصياتهم ■

رؤية

بقلم: د.زيد بن محمد الرماني

أدب الطفولة

يعد أدب الطفولة أحد أهم العلوم الأدبية المعاصرة التي بدأت تخاطب الشرائح العمرية للأطفال في أرجاء المعمورة عبر المنهج التعليمي تارة، أو النشاط الحر الموجه نحو تذوق أنواع الأدب تارة أخرى، وإذا كان أدب الطفولة في أدب لغتنا العربية يمثل أحد التخصصات الدقيقة في الأدب العربي، فإن عمره الزمني لا يزيد عن مئة وخمسين عاماً وهو بحاجة إلى المؤصل والمنظر والمبدع والناقد والباحث والمخطط التربوي وغيرهم، وقد شهد أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحالي ازدهاراً في ميدان الاهتمام بجوانب الطفولة.

ذلك لأن الطفل ليس أمانة عند أسرته أو عائلته أو مجتمعه فحسب، وإنما هو ذخيرة الأمة وعدتها ولبنات غدها، لذلك احتشدت العلوم الإنسانية، بل بعض تخصصات العلوم التطبيقية والتجريبية، كي تبحث في مراحل الطفولة من جوانبها كافة، فلا عجب إن وجدنا الهندسة في مجال صناعة لعب الأطفال، والطب في مجال صحة الأطفال، والزراعة في مجال غذاء الأطفال، والاقتصاد في مجال اقتصادات الأطفال.

في العام ١٩٣٠م، بدأ مصطلح أدبيات الطفل في الدوريات العربية، في عناوين المقالات وبين ثناياها ظهرت إلى الوجود ملامح تأصيل جنس أدبي للطفل، أما في تراثنا، فإنه لم يغفل الالتفات إلى الطفل، رعاية وعناية، فقد لقي الطفل في ظل الإسلام الرعاية الكاملة في أتم صورها: تنشئة وتربية وتثقيفاً. وبإلقاء نظرة متأنية على أدب الطفل العربي في العصر الحديث نجد من خلالها الانعكاس الإيجابي لمردود الإفادة من موروث الحضارة العربية الإسلامية تجاه الطفل.

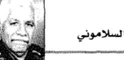
وغير خاف أن من الأهداف الرئيسة لأدب الأطفل واتجاهاته: تدعيم البناء الروحي والمادي المتوازن في شخصية الطفل، وتلقين الطفل القيم والسلوكات والآداب العامة، ورعاية الطفل الموهوب وتحفيزه وتشجيعه، والحفاظ على اللغة العربية على ألسنة الناشئة، وتشجيع الطفل على حرية التعبير وأساليب التفكير.

ختاماً: أؤكد أن الطفل رعاية وتربية وتعليماً واهتماماً بكل شؤونه، اتجاه واضح وهدف بارز من أهداف شريعتنا ■



كيف تواجه الزوجة الحياة بعد رحيل زوجها ...؟!





نعيم نعيم السلاموني

إن الخالق لا يعطي المؤمنين حياة مفروشة بالورد، بل أخبرهم بأن هناك نوعاً من الابتلاءات يتعرض لها الإنسان: (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين) البقرة:١٥٥.

وعندما تفقد المرأة شريك حياتها تفقد معه أشياء أخرى فهي تفقد الأمان والسند في الحياة وتبدأ في رصد كل تصرف لها، بالإضافة إلى أن مستواها الاجتماعي يقل إذا كان الزوج رجل أعمال ويدير مشروعات خاصة لا تستطيع إدارتها بعد وفاته أو إذا كان صاحب مركز مرموق في المجتمع، فتفقد مكانتها واهتمام من حولها لمجرد وفاته.

والبلاء نعمة في صورة نقمة، والصبر عليه من أعظم القربات إلى الله سبحانه وتعالى، والله يمتحن عباده المؤمنين حين يبتليهم: (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) محمد:٣١.

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في الصبر على البلاء فصبر على موت «خديجة» و«أبي طالب» وصبر على موت أولاده في حياته بجانب الصبر وتحمل الأذى في مشوار دعوته وكان الصبر عنواناً له طوال حياته: (واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) هود: ١١٥، (واصبر وما صبرك إلا بالله) النحل:١٢٧.

واهتم القرآن الكريم بموضوع الصبر اهتماماً كبيراً وذكره في كثير من آياته لأنه كنز من كنوز الخير لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عنده، فهو يبعد المسلم عن الجزع ويجعله قريباً من رحمته راضياً بقضائه وقدره لأن الله يريد أن يختبر عبده المؤمن فإذا نجح العبد في الاختبار وصبر عند البلاء عوّضه الله عنه خيراً، ومن أجل ذلك أمرنا الله بالصبر وحضنا على التمسك به، فقال: (يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) آل عمران:٢٠٠، والله يحب العبد الصابر: (واصبروا إن الله مع الصابرين) الأنفال:٤٦، (والله يحب الصابرين) آل عمران:١٤٦، فالصبر خير كله: (ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) النحل:١٢٦.

وأخبرنا الله عز وجل بأن الإنسان في خسر إلا من صبر: (والعصر. إن الإنسان لفي خسر. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) العصر:٣،١، والرغبة في ثواب الله لا ينالها إلا الصابرون: (ولا يلقاها إلا الصابرون) القصص:٨٠.

وعرض القرآن وصية لقمان لابنه بالصبر فقال تعالى: (يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور) لقمان:١٧.

وإذا أصيب العبد بمصيبة في أهله أو ماله أو بدنه واستقبل هذا بصبر جميل عوّضه الله عن صبره الخير الكثير ورزقه أحسن وأعظم

فقدان المرأة شريك حياتها يفقدها الأمان والسند ورصد كل تصرف لها

مما أصيب به، تقول أم سلمة رضي الله عنها: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها إلا أخلف الله له خيراً منها».

لقد أعطى الله الصابرين أشياء لم يعطها لأحد في الدنيا إنما أعطاها للصابرين الذين صبروا على ما أصابهم فقال سبحانه: (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر

البيت المسلم

الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون. أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) البقرة:١٥٥ - ١٥٧.

ويكفي الصابرين شرفاً أن الملائكة تسلم عليهم في الجنة، قال تعالى: (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) وجزاء الصابرين الجنة بغير حساب: (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) الزمر:١٠، (وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً) الإنسان:١٢.

وورد في الأثر: «إن الله إذا أحب عبداً ابتلاه فإن صبر اجتباه وإن رضي اصطفاه».

وحين ينزل قضاء الله ويموت الزوج قد تشعر المرأة بأن حياتها انتهت لأن رابطة الزواج رابطة مقدسة وهي سماها الله عز وجل رابطة المودة والرحمة والسكن. إن الرضا بالمحتوم وبما قسم الله هو أفضل الوسائل للتصالح مع النفس وقهر القلق والبدء من جديد.

والواجب عليها وقد أصبحت وحدها:

- الحداد الشرعي بالنسبة للأرملة يكون في المظهر العام وذلك بألا ترتدي الملابس التي تغري الناظر وأن تحد من زينتها، وأن تمكث في بيتها ولا تخرج إلا لضرورة وقد حددت الشريعة مدة الحداد وهي أربعة أشهر وعشراً لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى، وهي براءة الرحم من الحمل.
- بعد هذه الفترة عليها أن تفك حدادها وأن تبقى على الود وتبدأ حياتها من جديد وتكمل مسيرتها بأن تبر أهل زوجها وبخاصة ممن كان يتودد إليهم كأمه وأبيه وإخوته وأقاربه المقربين.
- أن تبدأ في تحمل مسؤوليات بيتها والإشراف على خدمة وتربية أبنائها يقول صلى الله عليه وسلم: «أنا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين»، وأشار إلى السبابة والوسطى والمرأة السفعاء الخدين هي المرأة التي أصبحت لا تهتم بزينتها لأنها لا زوج لها ومن حقها أن تتزوج لو وجدت رجلاً صالحاً يرعاها ويرعى أبناءها.
- يجب أن تكون أكثر تفاؤلاً وطمأنينة وبعداً عن جو الحزن والخوف من المستقبل وشغل الوقت في الإسهام في أنشطة اجتماعية وتربوية متعددة، يقول المولى عز وجل: (ولا تخافي ولا تحزني) القصص:٧.
- يجب كسب ثقة الأبناء وحبهم وإشعارهم بأنها قادرة على تعويض فقدانهم للأب.
- إقامة صداقات جديدة مع سيدات تجمعهن الظروف نفسها، أو ظروف مشابهة، فالمرأة أكثر قدرة على تجديد علاقاتها بالآخرين، فهي تعرف كيف تقضي ساعات اليوم في أعمال كثيرة سواء داخل المنزل أو خارجه. الأمر الذي يساعدها على عدم الاستسلام لمشاعر الاكتئاب.
- الأرملة هي لغة البطولة والصلابة في زمن الهزيمة والجبن والبغي، فبالأمس كانت زوجة تؤدي دورها فقط، واليوم صارت أرملة تضاعف مسؤولياتها وعليها أن تسد الثغرات ومواجهة المشكلات.
- القلق عدو المرأة وطريقها إلى الشيخوخة ومن ثم لا ينبغي أن يقضي الحزن على الأرملة ومن توابع الحزن تأثر الصحة النفسية والصحة النفسية إذا تأثرت تداعت معها الصحة الجسدية، وقد أمرنا الله أن نحافظ على أنفسنا فقال: (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) البقرة:١٩٥.
- محاولة تقبل التغيير الذي طرأ على حياتها اليومية من دون السماح لأي إحساس بالمرارة يتسرب إلى قلبها وحياتها، وقد حذرنا الرسول صلى الله عليه وسلم من كثرة الهموم فقال: «من سقم همه سقم بدنه»، أخرجه ابن السني وأبونعيم ووصف صلى الله عليه وسلم علاج الهم والحزن بالاستغفار والدعاء.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من لزم الاستغفار جعل الله من كل همٍّ فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب» رواه أبوداود وابن ماجه وأحمد.

وليكن في قصة أم سلمة رضي الله عنها الأسوة الحسنة لكل من توفي عنها زوجها، فقد روي عن «أم سلمة» أنه عندما توفي زوجها حزنت عليه حزناً شديداً حتى إن عينها لم تجف من البكاء وأخذت تنعاه وتنعى اليوم الذي مات فيه، فجاء إليها إخوانها من المسلمين ينصحونها بوصية الله ورسوله صلى الله عليه وسلم للمؤمن وقالوا لها إذا أصابت المؤمن مصيبة يقول: «إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها»، فقالت: وهل هناك خير من «أبي سلمة» يخلفني الله به.

وقالت: ما خلف الله عليها بما هو خير منه وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم، اللهم إنا نعوذ بك من السخط على ما نبتلى به، ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين ■



واجب المرأة إذا فقدت زوجها أن تبدأ في تحمل مسؤوليات بيتها والإشراف على خدمة وتربية أبنائها



سـن اليـأس رؤية طبية وشرعية

سن اليأس Meno-pause هو تلك النقطة الحرجة من حياة المرأة التي تتوقف عندها الدورة الطمثية بشكل كامل منهية قدرة المرأة على الإنجاب. وتبدأ هذه العملية الحيوية بين ٣ . ٥ سنوات من توقف الدورة الطمثية، وتدعى هذه الفترة مرحلة ما قبل سن اليأس، ويعتبر سن اليأس كاملاً عندما يمضي على انقطاع الدورة الطمثية أكثر من سنة، ويختلف عادة بين مرأة وأخرى حسب العمر الذي تتوقف فيه الدورة الشهرية تماماً وفي معظم الأحيان (بين أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات)، ويعزى هذا الاختلاف لعوامل كثيرة ومتنوعة.

بقلم: د. خالد سعد النجار
E-MAIL: alnaggar66@hotmail.com
alnaggar66@yahoo.com

وسن اليأس مرحلة أخيرة لعملية متدرجة يقل فيها إنتاج المبيض لهرمونات الأنوثة، حيث ينخفض هرمون الإستروجين الذي يلعب دوراً رئيساً في الحفاظ على حيوية المرأة، ويحميها من الإصابة بأمراض القلب وهشاشة العظام، كما ينخفض هرمون البروجسترون الذي يعمل في النصف الثاني من الدورة الشهرية ويهيئ بطانة الرحم لاستقبال البيضة التي يفرزها المبيض شهرياً إذا ما كانت مخصبة، فإن لم تكن مخصبة فإنه يعمل على تمزيق بطانة الرحم لتحدث الدورة الشهرية.

ويبدأ انخفاض نسب إنتاج المبيض للهرمونات خلال منتصف الثلاثينيات، وتزداد هذه العملية في نهاية الأربعينيات، وتستمر حتى ينتهي ظهور دورات الحيض نهائيًا في منتصف الخمسينيات، ويؤثر انخفاض الهرمونات على أنسجة أخرى كأنسجة الثدي، وعظام الحوض، والأوعية الدموية، ومجرى البول والجلد، وتتعرض المرأة لسن اليأس إذا ما تم استئصال الرحم جراحياً، أما إذا ما تم استئصال مبيض واحد فتظل الدورة الشهرية مستمرة طبيعية.

أعراض سن اليأس

من أكثر هذه الأعراض شيوعًا الشعور بنوبات الحرارة في جسدها hot flushes حيث تصاب المرأة بإحساس مفاجئ بالحرارة الشديدة في الجزء العلوي من جسمها، فيتوهج العنق والوجه، وقد يترافق ببقع حمراء على الصدر والظهر والساعدين، وأحياناً يعقب التوهج فترة من التعرق الغزير، ثم تتبعها قشعريرة باردة عندما تبدأ درجة حرارة الجسم تتكيف من جديد، وقد تستمر الهبّات الساخنة بضع دقائق وأحياناً تستمر أكثر من ٣٠ دقيقة، وتظهر بشكل متقطع قبل بداية الانقطاع النهائي للطمث بسنوات عدة وتقل تدريجيًا مع تقدم العمر، ووجد أن ٨٠٪ من السيدات يستمر معهن هذا العرض مدة عامين أو أقل، ونسبة أقل منهن يستمر معهن خمس سنوات، ويأتي هذا الشعور كنتيجة مباشرة لنقص الإستروجين، فتفرز الغدد في الجسم كميات أعلى من هرمونات أخرى لمعادلة هذا الانخفاض، مما يؤثر على الميزان الحراري في الجسم.



يسهم سن اليأس في تعميق المشكلات النفسية التي تعاني منها المرأة مثل حالات الاكتئاب والقلق والانفصام

وهناك تغيرات تطرأ على مجرى البول والمهبل، فيقل سمك جدار المهبل ويصبح أكثر جفافاً وأقل مرونة وأكثر عرضة للإصابة بالإنتان، وقد تسبب هذه التغيرات آلاماً في أثناء الجماع نتيجة جفاف الإفرازات المهبلية، كما يلعب الإستروجين دوراً مهماً في المحافظة على مخاطية المثانة والحالب، ولذلك يؤدي التراجع في نسبة الهرمون إلى بعض الضمور في هذه الأعضاء مما يسبب حدوث التهاب المثانة الذي يعطي أعراضاً مثل السلس البولي وتواتر البول من دون عسر بول، وقد يصاحب هذه المرحلة أيضاً تغيرات في العلاقة الزوجية، حيث يشكل انقطاع الطمث انخفاض الرغبة في النشاط الجنسي.

أما بالنسبة للحال النفسية والعاطفية فتعاني بعض النساء في هذه السن من عدم الاستقرار العاطفي فيظهر في السلوك على شكل توتر وسرعة الغضب ونوبات بكاء.

فضلاً عن ذلك يسهم سن اليأس في تعميق المشكلات النفسية التي تعاني منها المرأة مثل حالات الاكتئاب والقلق والانفصام.

هذا بالإضافة إلى هشاشة العظام التي تعاني منها نحو ربع النساء اللواتي بلغن سن اليأس ولم يتلقين أي علاج، وتبدأ الأعراض خلال ٥ . ١٠ سنوات من سن اليأس ويسهم العلاج الهرموني المحتوي على الإستروجين في تخفيف حدته، فيخفف من آلام الظهر ويؤخر تأثر عظام العمود الفقري فتتفادى بذلك المرأة احتمال نقص طولها والكسور في الفقرات التي تتعرض لها جراء ضعف العظام وهشاشتها.

وأخيراً أمراض القلب الوعائية : حيث تعتبر أمراض القلب الوعائية المرض القاتل الأول عند النساء والمسؤولة عن ٥٠٪ من الوفيات لدى النساء اللواتي تجاوزن سن الخمسين، ويُقصد بأمراض القلب الوعائية تلك الاضطرابات التي تصيب القلب والجهاز الوعائي الدوراني وتتضمن تمسك الشرايين أو ما يعرف بالتصلب العصيدي، ارتفاع الضغط الشرياني، الخناق الصدري والسكتة. ولأسباب غير معروفة يساعد الإستروجين في حماية المرأة من الإصابة بأمراض القلب الوعائية خلال فترة نشاطها الجنسي.

وسائل الرعاية الطبية

أثار الحديث عن العلاج الهرموني لأعراض سن اليأس جدلاً واسعاً بين مؤيدين ومعارضين، فانخفاض نسبة خطورة الإصابة بأمراض القلب والأوعية الدموية وأمراض هشاشة العظام، كما أظهرت نتائج بعض الدراسات انخفاض نسبة الإصابة بسرطان القولون بين السيدات المستخدمات للعلاج الهرموني بنسبة تصل إلى ٣٥٪، كل هذه الإيجابيات مقابل نتائج سلبية مزعجة لتعاطي الهرمونات من زيادة نسبة خطورة الإصابة بأمراض سرطان الثدي، وجلطات الدم في القلب والدماغ، وظهور أمراض الكبد وخطر الإصابة بسرطان بطانة الرحم للنساء اللاتي يستخدمن هرمون الإستروجين فقط دون هرمون البروجسترون (وبعض المستخدمات له يتعرضن لارتفاع ضغط الدم) كل هذا أثار القلق والمحاذير حول



العلاج الهرموني ليس الطريق الوحيد للتخلص من الشعور بأعراض سن اليأس

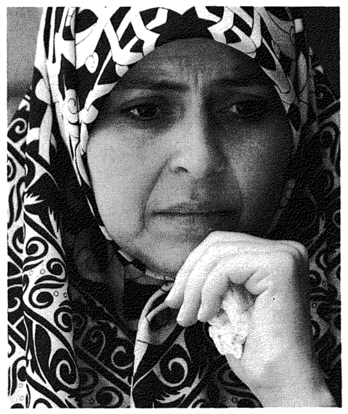
جدوى العلاج الهرموني.

ومن الملاحظ أن العلاج الهرموني ليس الطريق الوحيد للتخلص من الشعور بأعراض سن اليأس، فيمكن تخفيف الإحساس بجفاف الإفرازات المهبلية باستخدام ملطفات (مخففات الاحتكاك) وتخفيف الشعور بنوبات الحر بتجنب الأشياء التي تثيرها الأكلات الدسمة، وشرب الكحوليات وكذلك الحصول على جرعات مناسبة من فيتامين «هـ». وتعَدُّ ممارسة الرياضة والالتزام بنظام غذائي معين عامليْن مهمين في تجنب أمراض هشاشة العظام والقلب والأوعية الدموية، وكذلك تجنب الكافئين والتدخين اللذيْن يمنعان الجسم من الاستفادة بالكالسيوم.

الأحكام الشرعية لسن اليأس

١. بداية سنّ الإياس : قدّره الشافعية بـ (٦٢ سنة)، وقدره الإمام أحمد بـ (٥٠ سنة)، وذهب المالكية إلى أن أدناه (٥٠ سنة) وأعلاه (٧٠ سنة) فمن رأت الدمَ بعد السبعين فإن دمها غير حيض قطعاً، وذهب آخرون إلى أنه لا حدَّ لسن الإياس، فالتي انقطع حيضها انقطاعاً لا رجعة فيه حُكم بإياسها. ومن الوجهة الطبية العملية نرى الأخذ بهذا الرأي الأخير شرط أن يحكم بانقطاع الحيض طبيب خبير. ويمكن التحقق من ذلك مختبرياً لأن الإياس يترافق بانخفاض واضح في نسبة هرمون الإستروجين في الدم، وهو الهرمون الجنسي الرئيس الذي يفرز من المبيضين. وترتفع بالمقابل نسبة هرمونات الغدة النخامية التي تشرف على تنظيم عمل المبيضين، وهي : الهرمون المنبِّه للجُريب FSH والهرمون الملوِّتن LHوهذه المؤشرات المختبرية تساعد في الحكم على حصول الإياس.

٢ ـ ما تراه المرأة من دم بعد دخولها سن اليأس : حكمه حكم الاستحاضة وهي حَدَثٌ أصغر كالرعاف أو السَّلس، وحكم المستحاضة حكم الطاهرات في وجوب العبادات من صوم وصلاة وغيرها. فإذا انقضى حيض المرأة أو نفاسها وحُكم بأنها مستحاضَة وجب عليها أن تغتسل غُسلها للحدث الأكبر، ثم تتوضأ لكل فرض مادامت مستحاضة، ويجوز لها أن تصلي بذلك الوضوء ما شاءت من الفروض والنوافل.



٣ ـ إياس المرأة التي لم تحض: ذهب الجمهور إلى أنّ المرأة التي لم تحض قط في حياتها لا يُحكم بإياسها إلا إذا بلغت سن الإياس المعتبر، وانفرد الحنفية بالقول : إن المرأة إذا بلغت واستمر امتناع الحيض عندها فيحكم بإياسها متى بلغت ثلاثين عاماً(١). والحقائق الطبية تتماشى مع رأي الجمهور، لأن امتناع الحيض قد يكون لأسباب موضعية في الرحم، أو أسباب هرمونية مثل بعض أمراض الغدة النخامية أو غيرها من الأسباب التي تزول بإذن الله تعالى بالعلاج أو بغير علاج، ويعود للمرأة الحيض ولو كانت فوق الثلاثين، حتى تصل إلى سن الإياس الفعلي.

٤ ـ عدة طلاق الآيسة: ثلاثة أشهر من حين الطلاق، أما إن طلقها زوجها وارتفع حيضها وعَرَفَتْ ما رَفَعَهُ من رَضاع أو مرض أو نفاس فإنها تنتظر زوالَ العارضِ وعودةَ الدم وإنْ طال، إلا أن تصير في سن الإياس فعندئذ تعتدّ عدة الآيسات(٢)، أما إذا كان ارتفاع حيضها لسبب لا تعلمه فتتربص سنة كاملة (٩ أشهر للحمل + ٣ أشهر عدة الآيسة)، وقد رأت لجنة الموسوعة الفقهية الكويتية: « أن المرأة التي لم تبلغ سن الإياس، ولكن تحقق بما لا يبقى معه مجال للشك امتناع الحيض والحمل في حقها لاشك أن حكمها في الاعتداد ونحوه حكم الآيسة ولا فرق، لأن حكم الآية الكريمة ينطبق عليها لأنها ممن (يَئِسْنَ مِنَ المَحيض)، ومثال ذلك أن تكون قد استؤصل منها المبيضان والرحم بعملية جراحية، أو عطلا عن عملهما بالعلاج الإشعاعي على ما يذكره أهل الطب، وليست مثل هذه ممن عليها الانتظار سنة، ولا أن تنتظر سن الإياس بل عدتها ثلاثة أشهر على ما تنصُّ عليه الآية»(٣) ■

•• الهوامش والمصادر ••

١ ـ حاشية ابن عابدين ٢/٦٠٢-٦٠٦ (٢) المغني ٧/٤٦٥ (٣) الموسوعة الفقهية ،الكويت ٧/٢٠٠، ط ذات السلاسل.

٢ ـ تعاطي الهرمونات.. هل يعيد الشباب بعد سن اليأس؟! داليا السيد.

٣ ـ الموسوعة الطبية ـ المديرية العامة للشؤون الصحية في المنطقة الشرقية ـ السعودية.





















كيف تتعامل المرأة مع مشكلات الحمل ؟

بقلم: أنسام أبوجبارة . عمان . الأردن

الإرهاق ومشكلات النوم

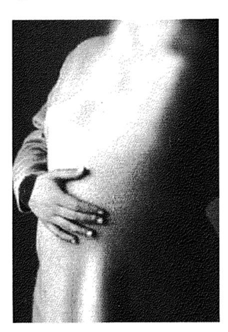
أولاً: بعض الحوامل تعانين من الإرهاق الذي لا يفيد معه أخذ قسط من الراحة أو النوم المبكر، بينما قد تجد أخريات صعوبة في النوم ليلا أو يعانين من نوم متقطع. فالهرمونات والقلق الزائد قد يكونان وراء الإرهاق ومشكلات النوم، إن إيجاد وضع مريح للنوم في الفترات المتأخرة من الحمل قد يكون مشكلة أيضاً . تشير بعض الأبحاث إلى أن أفضل وضع للنوم في أثناء الحمل هو النوم على الجانب الأيسر مع وضع وسادة بين الركبتين، استريحي كلما وجدت فرصة لذلك. أيضاً لتجنب الأرق، خذي حماماً دافئاً مما قد يريح تعب العضلات ويساعدك على الاستغراق في النوم مباشرة.

الإمساك

خلال الحمل، يؤدي كل من ضغط الرحم بسبب زيادة حجمه، وكذلك هرمون البروجستون . الذي يرخي العضلات . إلى بطء عملية الهضم، وأقراص الحديد قد تجعل الأمر أسوأ لأنها أيضاً قد تبطئ النشاط الهضمي، لذلك ننصح بتناول الأطعمة الغنية بالألياف عند الإفطار مثل الخبز المصنوع من القمح غير المقشور، والبرقوق، أو التين، وتناولي أيضاً الكثير من الخضراوات الطازجة غير المطهية والفواكه مع وفي أثناء وجباتك، بالإضافة إلى شرب الكثير من السوائل، قد يكون من المفيد لحل مشكلة الإمساك تناول كوب ماء بارد على الريق في الصباح قد يفيد في عدم إمساك البطن. ويجب ألا تغفلي أهمية التمرينات الرياضية لتجنب الإمساك، فحاولي ممارسة رياضة المشي أو السباحة ولكن بعد الحصول على موافقة طبيبك.

الحموضة

أسباب ظهور الحموضة عند الحامل حمض يفرز في الجهاز الهضمي يرتفع حتى يصل إلى المريء وهو ما يعطي الشعور بالحرقان، في المريء وتعاني الحوامل من هذا الشعور أكثر من



غيرهن لأن الجنين يدفع المعدة إلى الأعلى وهرمون البروجسترون يتسبب في ارتخاء الصمام الموجود في أعلى المعدة مما يسمح بمرور هذا الحمض. ومن ثمَّ تعاني الكثير من النساء من مشكلات عند تناول الأطعمة الحارة، والدسمة، أو تلك التي تحتوي على البصل أو الثوم، فإذا وجدت أن أطعمة معينة تهيج معدتك، فتجنبي تناولها.

آلام البطن

بعض النساء يشعرن في أثناء الحمل بآلام في البطن شبيهة بآلام الدورة الشهرية، تظهر هذه الآلام عندما تشد الأربطة التي تحمل الرحم وهذا أمر طبيعي يجب ألا تقلقي منه، وقد يساعد استخدام قربة ماء دافئة في تخفيف الألم، أو محاولة الجلوس أو الرقود مع رفع قدميك إلى الأعلى، لكن إذا صاحب الألم أعراض أخرى مثل النزيف، والحرارة، والتشنجات، فقد يكون ذلك إشارة إلى حال خطيرة مثل الإجهاض أو الولادة المبكرة، في هذه الحال، اتصلي فوراً بطبيبك.

آلام الظهر

لتجنب آلام الظهر، ارتدي حذاء كعبه منخفض واحرصي على الوضع الصحي عند الجلوس أو الوقوف، ووزعي وزنك بالتساوي على القدمين عند الوقوف، استريحي كلما أمكنك ذلك واثني ركبتيك عند الرقود لأن ذلك يحد من آلام الظهر، واحرصي أيضاً على أن تكون المرتبة صلبة بالقدر الكافي. ضعي وسادة وراء ظهرك يستند الجزء السفلي من ظهرك عند الجلوس عليها، ولا تبقي في وضع واحد لمدة طويلة، سواء في وضع الجلوس أو الوقوف، تجنبي حمل الأشياء الثقيلة، وعندما تريدين رفع شيء من على الأرض، لا تثني وسطك ولكن انزلي إلى أسفل بثني ركبتيك مع بقاء ظهرك مستقيماً. اسألي طبيبك عن التمارين الخاصة بتقوية الظهر، الساقين، والبطن، وإذا كان ظهرك يؤلمك بالفعل، فالكمادات الباردة أو الدافئة على الجزء الذي يؤلمك قد تخفف الألم.

آلام اليدين والرسغين

يأتي تنميل الأصابع وآلام الرسغين نتيجة للضغط على عصب رئيس في الرسغ، هذا العصب يتحكم في حركة اليد والأصابع. لتخفيف الألم، استرخي مع رفع ذراعيك، أو حرِّكي أصابعك بسرعة. اثني وافردي أصابعك كثيراً، ولكي تشعري براحة أكثر، افردي كفيك مع فتح الأصابع، احرصي كذلك على الأوضاع الصحية للجلوس والوقوف، لأن ارتخاء الرأس والكتفين يجعل الضغط يزيد أكثر على أعصاب الذراعين والرسغين مما يسبب الألم، ولكن اطمئني ، عادة ما تختفي هذه الحال بعد الولادة ■



ضوابط المراسلة بين الجنسين بالبريد الإلكتروني
يجيب عليها الشيخ نظام يعقوبي من موقع islam on line

هل تجوز المراسلة عبر البريد الإلكتروني بين الجنسين للتعارف إلى ثقافات العالم؟ وهل تختلف عن المراسلة عبر البريد العادي، أو عبر صفحات الجرائد والمجلات؟

- لا شك أن المحصلة واحدة، مع فارق طبيعة الوسيلة، ولكن العبرة في الحكم بالجواز أو عدم الجواز ليست في الوسيلة الناقلة للخطاب، ولكن في مضمون الخطاب عينه، وما إذا كان هذا المضمون منضبطاً بضوابط الشرع أم لا، وحيث إن هذه الوسيلة، وسيلة البريد الإلكتروني، تتيح لمستخدمها قدراً كبيراً من الخصوصية والبعد عن الرقيب وحرية التعبير والمراسلة بمختلف أنواع المصنفات الفنية، الصوتية والمرئية، فإنها تصبح أكثر إغراء من غيرها على التمادي والغواية، والاقتراب من خطوات الشيطان. وقد نهانا الله تعالى عن اتباع خطوات الشيطان فقال تعالى: (ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين) (البقرة:١٦٨)، وقوله تعالى: (يأيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر) (النور:٢١)، فالأولى الابتعاد عن ذلك، حتى لا ينجر المرء إلى ما بعد ذلك، من التدرج في موضوعات المراسلة إلى ما نهى الله عنه، فعندما نهانا الله تعالى عن الزنى نهانا عنه وعن مقدماته وعما يقربنا إليه فقال تعالى: (ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا) (الإسراء:٣٢)، ولا نقول هنا إن مثل هذه المراسلات ستؤدي بالقطع إلى الوقوع في الزنى والعياذ بالله، ولكنها تظل مظنة الوقوع فيما لا يرضي الله.

وإذا كان لابد للمرء أحياناً من المراسلة بغرض التبادل الثقافي والمعرفي في هذا الزمن الذي بدأت فيه وسيلة الإنترنت تحتل حيزاً كبيراً في حياة الناس، فالأولى أن تكون المراسلة بين أفراد من جنس واحد، ما لم يكن هناك ضرورة خاصة تقتضي المراسلة من الجنس الآخر، وفي هذه الحالة يجب التأدب والاحتياط خشية الوقوع فيما يغضب الله.



إعداد : وائل عبدالرحمن

محرك USB لضمان عدم سرقة البيانات

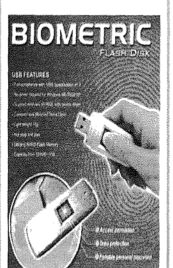
قد يحتاج بعضهم إلى أخذ الملفات الخاصة بهم من مكان إلى آخر أو نقلها، من مكان إلى مكان دون المرور بمشكلات طلب كلمة السر الخاصة بالشبكات أو التحديدات الخاصة بقدرة التخزين المتاحة.

يمكن حل هذه المشكلة بوساطة محرك جديد ظهر في الأسواق يعمل على منافذ (USB) فهو مزود بتقنية تسمح له بالتعرف إلى المستخدم عبر بصمة الإبهام لضمان عدم سرقة البيانات.

ويشتمل المحرك أيضاً على تقنية تشفير البيانات لحمايتها، فهو ذو (١٢٨) ميغابايت ويعمل مع أنظمة «ويندوز» فقط وهو قادر على خزن البيانات مدة عشر سنوات.

وفي إطار المحاولات المستمرة للحفاظ على سرية المعلومات، فقد طرحت إحدى الشركات العالمية جهازاً صغيراً من طراز Verual) (UAB Key يتم تثبيته مباشرة في أي منفذ (USB).

ويعمل الجهاز كمفتاح افتراضي في الكمبيوتر، فلكي تفتح أي ملف من ملفاتك يجب وضع هذا المفتاح في مكانه، وعند مغادرة المكان يجب أخذه، إلا أن كل ذلك يتطلب تثبيت برنامج تشغيله في الكمبيوتر وتثبيت كلمة السر. كما أنه يدعم الأجهزة التي تعمل بنظام «ويندوز» فقط.



إرشادات تحميك من أخطار الحاسوب الصحية

اتبع الخطوات البسيطة التالية لتلافي الإصابة بمتلازمة الأعراض البصرية الناتجة من استخدام الكمبيوتر.

- ابق شاشة كمبيوترك منخفضة عن مستوى الرؤية بمعدل يتراوح بين ٢٠ ـ ٣٠ درجة لتلافي الإصابة بجفاف العيون. فقد أظهرت آخر الأبحاث أن عيوننا تفرز كمية أكبر من الدموع عندما تنظر إلى الأسفل منها إلى الأمام أو إلى الأعلى.
- اخفض نسبة سطوع الشاشة للمساعدة على تقليل ارتعاشات الضوء.
- خذ استراحات قصيرة ومتكررة بتحويل النظر عن شاشة الكمبيوتر، حيث تتوافر برامج كمبيوتر تذكرك بأخذ استراحة من وقت لآخر، خذ استراحة مدة ١٥ دقيقة بعد كل ساعتين من الاستخدام المتواصل لجهاز الكمبيوتر، كما يجب أن تمنح عينيك ٢٠ ثانية من الراحة على الأقل كل ٢٠ دقيقة تحول فيها نظرك عن شاشة الكمبيوتر، وتركز على شيء بعيد.
- أينما كان ذلك ممكناً، استخدم الكمبيوتر في مكان تنيره إضاءة طبيعية أو إضاءة غير مباشرة مثل الإضاءة التي يوفرها مصباح «الهالوجين المكتبي».
- إذا كان مكتبك فيه إضاءة «فلورية مركبة» في السقف، حاول أن تضع على مكتبك إضاءة غير مباشرة، (ومعروف أن الإضاءة الفلورية المركبة في السقف تزيد من الأعراض البصَرية التي يعاني منها المرء نتيجة استخدام الكمبيوتر».
- عند أخذ استراحة أخرج في الهواء الطلق لبضع دقائق لتلافي البقاء في بيئة مكيفة لفترات طويلة مما قد يسهم بقدر كبير في إصابتك بجفاف العيون.
- إذا كان من الممكن وضع جهاز لترطيب الجو في مكان قريب من مكتبك، افعل ذلك لأن هذا يساعد على تقليص احتمالات الإصابة بجفاف العيون.
- إذا كنت ممن يستخدمون العدسات اللاصقة، يجب ألا تضع شيئاً أبداً في عينيك، مثل قطرات العيون إلا إذا نصحك طبيب العيون أو اختصاصي العناية بالعيون بذلك.

من أخبار الإنترنت

- كشفت دراسة حديثة نشرت أخيراً عن تزايد معدل تبني حلول تكنولوجيا المعلومات والاتصال في منطقة الشرق الأوسط بنحو ٢٤٪ خلال العام الماضي.
- نجح مكتوب «دوت كوم» الذي يحتل اليوم مكانة مرموقة بين المواقع العربية في مجال البريد الإلكتروني والخدمات الأخرى المساندة في تحقيق إنجاز جديد بإطلاقه مجاناً وللمرة الأولى على مستوى عالمي أكبر ضوء لرسائل على الشبكة بسعة ١٠٠٠ إم-بي.
- قال خبراء إن البرازيل أصبحت عاصمة العالم في التسلل عبر الكمبيوتر والاحتيال عن طريق الإنترنت.
- توقعت شركة «نوكيا» الفنلندية أن يرتفع عدد مستخدمي الهواتف المحمولة في الشرق الأوسط من ٥٤ مليون مستخدم العام ٢٠٠٤م إلى ١٠٥ ملايين مستخدم في العام ٢٠٠٧م.
- أعلنت الصين أن صادرات منتجات التقنيات العالية للبلاد خلال الأشهر السبعة من العام الحالي بلغت قيمتها ٨٣,٨٠ مليار دولار بزيادة قدرها ٥٨,٣٪ عن الفترة المقابلة من العام الماضي.
- أعلنت شركة «إل جي الكترونيكس» إطلاق هاتف محمول مزود بمؤشر لتحديد اتجاه القبلة بشكل دقيق ويطلق الأذان للصلوات الخمس في مواعيدها بالإضافة إلى تقويم إسلامي.

مواقع مفيدة

دليل الإرشادات الطبية

www.sehhacom

يقدم لك هذا الموقع إرشادات طبية في المجالات النفسية والعقلية والاجتماعية.

موقع بحث

www.arbic2000.com

موقع يقدم خدمة للمتعمقين للبحث عن المواقع التي يريدونها عبر توزيعها في قوائم مستقلة.

موقع ملفات «أي في أي»

ttp://www.rahul.net/jfm/avi.html

هذا الموقع يرحب بملفات «أي في آي» AFI حيث يشرحها بإسهاب كما يشرح طرح تحويلها إلى ملفات «كويك تايم» Quick Tie ويقدم الكثير من الوصلات لمواقع برامج التحويل ومواقع ذات صلة بهذا النوع من الملفات.

بطاقات عربية:

w.w.w.arabic cards.com

موقع البطاقات الإلكترونية العربية يتوافر فيه الكثير من الخيارات لإرسال بطاقة تهنئة بالبريد الإلكتروني وللكثير من المناسبات الشخصية والإسلامية.

مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية:

www.gcss.orgbh

يعد هذا المركز مؤسسة بحثية مستقلة تتخذ من لندن مقراً لها حيث يهتم بالأحداث التي تقع في الخليج العربي على وجه الخصوص بالإضافة إلى القضايا العربية والدولية ذات الصلة سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو عسكرية أو أمنية أو اجتماعية. كما يعمل على توثيق الأحداث التاريخية، والوعي بالقضايا العربية، وتعزيز أواصر التعاون الثنائي مع مختلف مراكز الأبحاث والدراسات الدولية الأخرى التي تزاول نشاطات مماثلة لطبيعةعمل المركز، بالإضافة إلى نشر الأبحاث والدراسات التي يعدها المركز باللغتين العربية والإنجليزية.

إعداد : معن خليل

بتكلفة ١,٣ بليون دولار... بيت التمويل الكويتي يعتزم إنشاء مجمع للبتروكيماويات في البحرين

أعلن بيت التمويل الكويتي في البحرين عن عزمه إنشاء مشروع لمجمع موحد لإنتاج البتروكيماويات والكهرباء والماء منتصف العام المقبل بكلفة ١,٣ بليون دولار.

وقال المدير العام للبيت في البحرين «عبدالكريم الخياط»: إن هذا المشروع الصناعي الأكبر في البحرين سيتم إنجازه على مدى ثلاث سنوات في أعقاب استكمال دراسات الجدوى لمرحلته الأولى والحصول على ترخيص صناعي للمشروع من قبل وزارة الصناعة البحرينية.

وبيَّن أن «شركات عالمية أثبتت جدوى المشروع مثل «جنرال اليكترك» و«وستون اند وبستر»، و«شيكاغو بريدج أند ايرون كمبني» وغيرها لإنتاج طاقة كهربائية إجمالية قدرها ألف ميغاوات في الساعة و٣٠ مليون غالون من الماء يومياً إضافة إلى ستة أنواع من المنتجات البتروكيماوية الأساسية.

وأشار «الخياط» إلى أن المواد البتروكيماوية التي سيتم إنتاجها في المجمع تشمل «٣١٥» ألف طن متري من الصودا الكاوية و«١٦٧» ألف طن متري من الغاز المسال و«٤٤» ألف طن متري في السنة من البنزين، بالإضافة إلى بعض الكميات من الهيدروجين والكبريت.

ويعتبر مشروع إنشاء مجمع البتروكيماويات والكهرباء والماء ثاني أكبر مشروع يبدأ بيت التمويل الاستثمار فيه في مملكة البحرين بعد أن شرع في تنفيذ مشروع «درة خليج البحرين» على مساحة أكثر من عشرين كيلومتراً مربعاً وبتكلفة تفوق البليون دولار بمناصفة مع الحكومة البحرينية.

«البركة» يجدد انطلاقته في لبنان

قال العضو المنتدب ونائب رئيس مجلس إدارة بنك البركة في لبنان «تميم جاد»: إن الرهان على العمل المصرفي الإسلامي في لبنان كان رهاناً استراتيجياً لـ«مجموعة البركة»، فهذا البلد يتمتع بنظام مصرفي ومالي متطور وبقطاع ناشط أثبت حضوره القوي في المنطقة قبل الحرب اللبنانية، كما أثبتت إعادة تأكيده بعد انتهائها، والاهتمام بهذا القطاع والتطوير المستمر لبنيته وهيكليته سيقود حتماً إلى دخول رحاب الصيرفة الإسلامية النامية في المنطقة والعالم، والتي باتت تدير موجودات تزيد عن ٢٠٠ مليار دولار، وذكرت المصادر أن «مجموعة البركة المصرفية» تضم تسعة مصارف إسلامية موزعة على بلدان عربية وآسيوية عدة وتدير أصولاً تزيد على ٤ مليارات دولار.

يذكر أن «مجموعة البركة» كانت قد اختارت أن تؤسس مصرفاً تابعاً برأسمال ١٢ مليار ليرة العام ١٩٩٢م في لبنان وفقاً للقوانين السائدة آنذاك. ولم تنتظر صدور القانون الخاص بإنشاء المصارف الإسلامية للدخول إلى السوق المعروف بازدهار قطاعه المصرفي.

«داو جونز» تطلق مؤشراً إسلامياً

قالت مؤسسة «داو جونز للمؤشرات»: إنها ستطلق مؤشراً جديداً للمستثمرين الإسلاميين في سوق الأسهم التركية.

وذكرت المؤسسة في بيان لها صدر خلال اجتماع الهيئة الدولية للتمويل الإسلامي في «اسطنبول» إن مؤشر «داو جونز» الإسلامي للسوق التركية سيتابع ١٧ شركة تبلغ قيمتها الإجمالية نحو أربعة مليارات دولار.

وأضاف البيان أنه سيتم استبعاد أسهم الشركات التي تبيع الكحول ومنتجات لحم الخنزير والتبغ والأسلحة والنظم الدفاعية والخدمات المالية وخدمات الترفيه من المؤشر.

ومن الشركات التي سيضمها المؤشر شركة «أريجلي دمير جيليك» للصلب، وشركة «أرجيليك» لصناعة الأجهزة المنزلية، وشركة «أولكر» للمنتجات الغذائية، وشركتا «فورد أوتسان» و«توفاش» للسيارات.

الوعي الاقتصادي

افتتاح بيت التمويل العربي كأول بنك إسلامي في لبنان

تم افتتاح أول بنك إسلامي، بيت التمويل العربي، في بيروت برأسمال ١٠٠ مليون دولار، ومن بين المساهمين في رأسمال البنك: «مصرف قطر الإسلامي» (الدوحة)، و«شركة أصول للإجارة والتمويل» (الكويت)، إضافة إلى عدد من المستثمرين الخليجيين أفراداً ومؤسسات.

«الإسلامي الأول» يطرح صكوكاً قيمتها ٧٥ مليون يورو

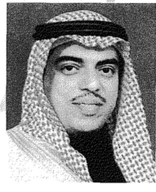
أعلن «بنك الاستثمار الإسلامي الأول» الذي يتخذ من «المنامة» مقراً له عن طرح أول إصدار لصكوك إسلامية «سندات» باليورو بقيمة ٧٥ مليون يورو.

وقال البنك في بيان أصدره: إنه قام بالتعاون مع مركز إدارة السيولة المالية بطرح الإصدار الأول من نوعه والذي يعرف باسم «يورو فرسان» بقيمة ٧٥ مليون يورو، مشيراً إلى أن «الاكتتاب في الصكوك فاق التوقعات بقيمة ٢٥ مليون يورو».

ونقل البيان عن الرئيس التنفيذي لبنك الاستثمار الإسلامي الأول «عاطف عبدالملك» قوله: «إننا على وشك إنجاز أول استثمار لتملك شركة أوروبية»، مضيفاً أن «إصدار «يورو فرسان» سيتيح للبنك زيادة كبيرة في حجم صفقاتنا في أوروبا».

وقال نائب رئيس مجلس إدارة البنك «عبدالعزيز الجميح»: إنه الإصدار الثاني «أي إصدار الصكوك الثاني للبنك»، حيث سبق له أن طرح أول إصدار من الصكوك الإسلامية في أبريل ٢٠٠٣م، بقيمة ١٠٠ مليون دولار أميركي.

وأضاف «الجميح»: «الهدف من الإصدارين هو تعزيز المركز المالي للإسلامي الأول وتوفير التمويل لأنشطته الاستثمارية المتزايدة في الأسواق الأوروبية».



عبدالعزيز الجميح

المؤسسات الإسلامية تدير ٢٥٠ بليوناً من أصل ١,٥ تريليون دولار حجم الثروات الخاصة في الخليج

تفيد نتائج أبحاث أجريت حديثاً أن الثروات الخاصة في الشرق الأوسط وخصوصاً في دول الخليج العربي تنمو بمعدل غير مسبوق، ويعود السبب في ذلك إلى أسعار النفط المرتفعة.

غير أن هناك بعض الدلائل التي تشير إلى تدفق الأموال إلى الغرب - وبخاصة الولايات المتحدة - حيث تتزايد بشكل ملحوظ في أعقاب الارتفاع الحاد في أسعار النفط، الذي شهدته المنطقة في السبعينيات، لن يتكرر مرة أخرى، مما يثير تساؤلات حول جاذبية الأصول المبنية على الدولار الأميركي للاستثمار.

ووفقاً لنتائج أبحاث أعلن عنها في المنتدى المالي الإسلامي الدولي، الذي عقد في «اسطنبول»، تشير تقديرات محافظة إلى أن الثروات الشخصية الخاصة في دول الخليج العربي تصل إلى نحو ١,٥ بليون دولار.

ومن بين التريليون ونصف التريليون دولار تلك قدر حجم الأموال التي تديرها مؤسسات إسلامية بلغ ٢٥٠ بليون دولار، أما تلك التي تديرها بيوت المال الدولية تقدر بنحو ٤٠٠ مليار دولار.

أول بنك إسلامي في بريطانيا يخطط للتوسع إلى بقية دول أوروبا

كشف رئيس أول بنك إسلامي في بريطانيا «مايكل هانلون» عن وجود خطة لدى البنك لتوسيع نشاطه إلى بقية دول أوروبا في غضون عامين أو ثلاثة أعوام من عمله في المملكة المتحدة. وأضاف «هانلون» أن البنك يتجه إلى فتح ١٥ فرعاً في المدن والمناطق البريطانية في غضون ١٨ شهراً المقبلة وخصوصاً في تلك التي تشهد كثافة سكانية إسلامية مثل «ليستر - وبرادفورد - ومانشستر وليدز - وونتنجهام» في إنجلترا و«كارديف» في إقليم «ويلز وجلاسكو» في «اسكوتلندا».

وقال: إن نحو ٧٥٪ من المسلمين في بريطانيا ملتزمون بالقواعد المالية الإسلامية، وراغبون في الحصول على الخدمات المصرفية وفق هذه القواعد، معرباً عن تفاؤله باستقطاب أغلبية مسلمي بريطانيا إضافة إلى أفراد من جماعات دينية أخرى.

أخبار موجزة

- قال «أنور البدر» نائب مساعد المدير العام لقطاع الاستثمار: إن بيت التمويل الكويتي «بيتك» باع صندوق المميز للعقارات الصناعية في الولايات المتحدة الأميركية بنحو «٣٥٠» مليون دولار، وذلك بعد ٣ سنوات من عمل الصندوق الذي كان الرابع لـ«بيتك» في السوق الأميركية، وبلغت قيمة أصوله عند شرائها ٢٩٠ مليون دولار.
- قال وزير المالية الكويتي «محمود عبدالخالق النوري»: إن مجلس محافظي البنك الإسلامي للتنمية قد وافق على طلب الكويت لاستضافة مجلس المديرين في البنك العام ٢٠٠٦م.
- تحت رعاية شركة دار الاستثمار تم تنظيم معرض فرص الاستثمار الإسلامي الدولي الأول الذي نظمه كل من «بيت المشورة للاستشارات» وشركة «بروميديا» العالمية في الكويت خلال الفترة من ١٩ - ٢٢ سبتمبر ٢٠٠٤م.

رابطة العالم الإسلامي تحذر من الفتن في العراق وتبدي قلقها لما يتعرض له السودان



دعا المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي كلاً من منظمة المؤتمر الإسلامي وجامعة الدول العربية لبذل مزيد من المساعي للتعجيل بخروج القوات الأجنبية والعمل الجاد على ما يعين العراق على تحقيق وحدة صفه وأرضه وشعبه وإعادة بناء مرافقه من خلال تعاون عربي وإسلامي ودولي.

وأعرب المجلس في بيان أصدره يوم ٩/٢٠ عن قلقه تجاه الأحداث المؤلمة في العراق والاضطراب الذي يعيشه شعب العراق وما يحدث فيه من فتن بسبب اختلاف الرؤى وتعدد الاتجاهات وتباينها في معالجة الحال التي وصلت إليها البلاد في ظل الاحتلال الأجنبي وما نتج من ذلك من ردود فعل مختلفة صاحبها خلط في الشعارات وفوضى في التعامل وسفك للدماء وعدوان على المنشآت وخطف للعاملين في المؤسسات المدنية وقتل بعضهم، ما يتنافى مع الإسلام الذي منع العدوان على الناس وحرم قتل الأنفس المعصومة.

وندد المجلس بتسلل ما سماه «منظمات صهيونية تنصيرية» إلى العراق تقوم بتنفيذ برامج تسعى إلى إفساد الشباب وإضعاف المشاعر الإسلامية والوطنية في نفوسهم ودفعهم إلى الانحراف عن السمت الإسلامي كما تعمل على التدخل في شؤون العراق وتأجيج نيران الفتن بين فئات شعبه واستغلال الأوضاع البائسة التي تعم أنحاءه لتحقيق مصالح تتعارض مع مصالح شعب العراق وحاجته الماسة إلى الاستقلال ووحدة الصف وتحقيق الأمن والسكينة. وأهاب المجلس بعلماء العراق والقيادات الدينية فيه أن يعملوا على تحقيق وحدة القيادات.

كما أعرب المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي عن القلق الشديد إزاء ما يتعرض له السودان إقليم «دارفور» معرباً عن الأسف للمبالغات التي روجت لها بعض وسائل الإعلام العالمية، من أن في «دارفور» تطهيراً عرقياً، وقتلاً جماعياً، واغتصاباً للنساء، وغير ذلك، منبهاً إلى خطورة هذه المبالغات وخطورة استغلالها واتخاذها ذريعة لتحقيق مآرب سياسية واقتصادية.

نافذة على العالم



معظم المدانين بالإرهاب في بريطانيا غير مسلمين

ذكرت دراسة أن احتمالات الاعتقال بموجب قوانين مكافحة الإرهاب الصارمة في بريطانيا زادت بين المسلمين ولكن معدل الإدانة الفعلية أكبر بين غير المسلمين.

وقالت منظمات إسلامية: إن هذه النتائج تعدُّ دليلاً آخر على استهداف الشرطة الجالية الإسلامية في بريطانيا.

ومن أجل دراسة الاعتقالات استطاع معهد العلاقات العرقية دراسة تفصيلات نحو ٦٠٩ عمليات اعتقال جرت في بريطانيا باستخدام قوانين مكافحة الإرهاب المطبقة منذ هجمات ١١ سبتمبر.

وكان يوجد بين ٢٨٧ شخصاً اعتقلوا ١٩٩ مسلماً، و٢٥ من غير المسلمين، ولم تعرف الخلفية الدينية لستة وثلاثين شخصاً.

ولكن فيما يتعلق بإدانة المحكمة للمتهمين كان المسلمون أقلية.

١٩٥ ألف شخص يموتون سنوياً في أميركا بسبب أخطاء المستشفيات

قالت شركة «هلثغريدز» في «ليكوود في كولورادو»: إن نحو ١٩٥ ألفاً يموتون سنوياً في المستشفيات الأميركية بسبب أخطاء كان من السهل تجنبها، وهو تقدير يضاعف بيانات سابقة».

وأكدت الشركة أن بياناتها تشمل الولايات الخمسين وأنها أحدث من دراسة أعدها معهد الطب العام ١٩٩٩م أفادت أن ٩٨ ألفاً يموتون سنوياً بسبب أخطاء طبية.

وقالت الطبيبة «سامنتا كولير» نائبة رئيس الشؤون الطبية في الشركة: الدراسة أظهرت أن تقرير معهد الطب قدر أعداد الوفيات بسبب أخطاء طبية بأقل من حقيقتها وأنه ليس هناك أدلة تذكر على أن سلامة المرضى تحسنت في الأعوام الخمسة الماضية».

وقالت الشركة التي تقوم أداء المستشفيات بناء على مجموعة من المعايير وتقدم المعلومات لشركات التأمين وهيئات التخطيط الصحي أن باحثيها أطلعوا على بيانات طبية على مدى ثلاث سنوات في الولايات الخمسين كلها بما فيها واشنطن العاصمة.

وأدرجت الشركة ضمن الأخطاء الفشل في إنقاذ مرضى يحتضرون وموت مرضى لم تكن حياتهم في خطر بسبب العدوى وهما عاملان لم يدرجا في تقرير معهد الطب.

ثروات الأسر الأميركية ٤٦ تريليون دولار

أعلن مجلس الاحتياطي الفيدرالي «البنك المركزي الأميركي» أن ثروات الأسر الأميركية ارتفعت إلى مستوى قياسي جديد في الربع الثاني من العام ٢٠٠٤م، في حين نمت عمليات الاقتراض خارج القطاع المالي بمعدل أبطأ.

وقال المجلس في تقريره الفصلي عن «تدفق الأموال»: إن ثروات الأسر الأميركية زادت في الربع الثاني (١,٤٪) عن الربع الأول، لتصل إلى (٤٥,٩٠٧) تريليون دولار أو ما يقارب (٤٦) تريليوناً.

وأوضح التقرير أن إجمالي حجم الاقتراض خارج القطاع المالي في الولايات المتحدة ارتفع بمعدل سنوي يبلغ (٧,٧٪) في الربع الثاني، انخفاضاً من (٩,١٪) في الربع الأول.

وبلغ إجمالي الديون خارج القطاع المالي في نهاية الربع الثاني (٢٣,٢٢) تريليون دولار.

تعداد سكان الهند وصل إلى ١,٠٢٧,٠١٥,٢٤٧

تجاوز تعداد سكان الهند ١,٠٢ مليار نسمة، كما أفاد المفوض الهندي لشؤون الإحصاء «جي كي بانتيا»، وقال «بانتيا»: إن تعداد سكان الهند تجاوز ١,٠٢ مليار نسمة في الأول من مارس العام ٢٠٠٤م.

وأوضح «بانتيا» أن «تعداد السكان في الهند بلغ عند الساعة ٠٠,٠٠ في الأول من مارس ٢٠٠٤م ١,٠٢٧,٠١٥,٢٤٧ نسمة بينهم ٥٣١٢٧٧٠٧٨ رجلاً و٤٩٥٧٣٨١٦٩ امرأة، وبحسب أرقام آخر إحصاء في العام ٢٠٠١م، فإن تعداد السكان في الهند زاد ١٨٢٢ مليون شخص في غضون عشرة أعوام من ١٩٩١م إلى ٢٠٠٠م، ولا تزال ولاية «أوتار برادش» في شمال الهند تحتل المرتبة الأولى من حيث تعداد السكان الذي بلغ ١٦٦ مليون نسمة، تليها ولاية «مهاراشترا» (غرب) ٩٧ مليوناً، ثم ولاية «بيهار» ٨٣ مليوناً، كما قال «بانتيا».

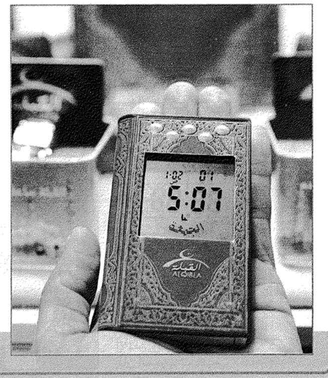
وحذر خبراء من أن الجهود المبذولة لتخفيف نسبة نمو السكان بوساطة برامج مراقبة الولادات تحت رعاية الدولة، قد تشجع السكان على اللجوء إلى إجهاض الأجنة الأنثوية.

... والمسلمون فيها ينمون بسرعة

أظهر تعداد سكاني حديث في الهند أُعدَّ على أساس ديني أن تعداد المسلمين ينمو بسرعة وهو اتجاه قال أحد المحللين: إنه قد يفاقم الاحتكاكات مع الأغلبية من الهندوس. وأظهرت بيانات التعداد أن المسلمين زادوا بنسبة (٣٦٪) إلى (١٣٨) مليوناً خلال عشر سنوات، بينما نما الهندوس «الأكبر عدداً أكثر) أي نسبة (٢٠,٣٪) في السنوات العشر الأخيرة.

ويمثل المسلمون نحو (١٣٪) من سكان الهند الذين يزيد تعدادهم عن بليون نسمة ارتفاعاً من ١٢٪) في السنوات العشر السابقة، في حين مثل الهندوس أكثر من (٨٠٪).

وأظهرت بيانات التعداد أن المسيحيين يمثلون ثالث أكبر طائفة دينية في البلاد ويبلغ تعدادهم (٢٤ مليوناً)، بينما يبلغ تعداد السيخ (١٩ مليوناً).



ساعة رقمية على هيئة القرآن الكريم تم عرضها مؤخراً. وهذه الساعة لها ميزة أنها تظهر وقت الصلاة في آلاف المدن حول العالم وهي مزودة بمنبه تصدر صوت الآذان عند حلول وقت الصلاة وذلك حسب المدينة التي يتواجد بها حامل هذه الساعة الرقمية.

إعداد: عبدالمنعم أحمد

اتجاهات

«الإرهاب الإسلامي» مصطلح خاطئ ينبغي تصحيحه



في مقال تحليلي في صحيفة «واشنطن بوست» حول تحديد معنى ومضمون مصطلح الإرهاب، كتب «كالب كار» أستاذ التاريخ العسكري في جامعة «بارد»، داعياً إلى تصحيح المفهوم السائد في حرب الولايات المتحدة على الإرهاب، يستهل الكاتب مقاله بالإشارة إلى ما ورد في تقرير لجنة ١١ سبتمبر من أن العدو الذي تواجهه الولايات المتحدة الآن ليس الإرهاب على إطلاقه، وإنما الإرهاب الإسلامي وتنظيم القاعدة - تحديداً - بأفكاره وتنظيمه.

ويعلق الكاتب أن أعضاء اللجنة قد حاولوا بذلك التحديد إعادة صياغة مصطلح الحرب الدولية على الإرهاب لتصبح الحرب الدولية على الإرهاب الإسلامي.

وأعرب الكاتب عن انزعاجه من عدم وجود تعريف دقيق وموضوعي للإرهاب على المستويين السياسي والثقافي.

وأضاف: إن الإرهاب قد تم تعريفه من قبل المؤرخين العسكريين بوصفه مجموعة من السلوكات البغيضة التي تدخل في نطاق الاسترقاق والقرصنة وأعمال الإبادة. وأنه رغم وجود مثل هذه الممارسات في أماكن قصية في عالمنا اليوم، فإن التعريف العلمي والدقيق لمفهوم الإرهاب يبتعد قليلاً عن هذا الوصف.

من أجل إقرار تعريف دقيق للإرهاب يجب، كما يقول الكاتب: أن يلقى هذا التعريف اتفاقاً وقبولاً دولياً، ويحدد الكاتب مفهومه للإرهاب بوصفه يشتمل على الاستخدام المتعمد للعنف ضد المدنيين لأغراض سياسية في الأساس.

وطبقاً لهذه الرؤية تعتبر أعمال مثل قصف الجيش الأميركي للمدنيين الألمان واليابانيين إبان الحرب العالمية الثانية من أعمال الإرهاب.

ومن جهة أخرى، تبرر بعض الدول في العالم الإسلامي مواجهتها مع جماعات الإرهاب المنظم باعتبارهم خارجين على القانون.

ويعود الكاتب في موضع آخر من مقاله إلى تقرير لجنة ١١ سبتمبر قائلاً: إن اللجنة في تعريفها للإرهاب قد تبيَّنت أنها مشكلة شائكة، وفضَّلت أن تختزل الأمر بالتعامل مع المفهوم بصورة جزئية وموقتة.

وينتقد الكاتب هذا التفسير الذي انتزع كل المعاني الأخلاقية من الحملات العسكرية التي شنتها الولايات المتحدة في أفغانستان والعراق أو في الحرب على الإرهاب بعامة.

ويستطرد الكاتب في انتقاده باعتبار هذا النمط نوعاً من الحرب بين الحداثة وثقافة العصور الوسطى، بين التقدم والرجعية. الأمر الذي جعل توصيات اللجنة أقرب إلى «صدام حضارات» بين قيم المتطرفين الغربيين وقيم المتطرفين المسلمين.

ويضرب الكاتب أمثلة لتأثير هذا التعريف السلبي للحرب على الإرهاب مثل إساءة فهم المسلمين لعبارة «الحرب الصليبية» التي استخدمها الرئيس «بوش» عقب هجمات ١١ سبتمبر واعتبار أن الحرب على الإرهاب هي حرب على الإسلام ذاته.

ويخلص الكاتب في ختام مقاله إلى القول: إنه يجب على لجنة ١١ سبتمبر تدارك الأمر وتصحيح الخطأ بتحديدها الإرهاب بالإرهاب الإسلامي، كما يجب على كل من «بوش» و«كيري» وجميع القادة السياسيين أن يساندوا هذا التصويب، فالحرب على الإرهاب لم تبدأ كحرب صليبية تقوم على الأيديولوجية، ولكنها بدأت كحرب عملية، ويجب أن تبقى كذلك ■

من نوادر مخطوطات وزارة الأوقاف الكويتية

من نوادر مخطوطات وزارة الأوقاف في دولة الكويت، مخطوط عنوانه: «الفوائد المنتخبات في شرح أخصر المختصرات» لـ«عثمان بن جامع» ـ يرحمه الله ـ.

يكتسب هذا المخطوط أهميته من نواح عدة، ذلك أنه قد خط بخط المؤلف نفسه، وكذلك لا يعرف له نسخة أخرى غيرها، حيث إن النسخة الأخرى له من ممتلكات الشيخ «صالح البسام» وهي مفقودة(١)، ومن ناحية أخرى يكتسب المخطوط نفاسته أنه من ممتلكات علامة الكويت «عبدالله بن خلف الدحيان» ـ يرحمه الله ـ قال الشيخ «محمد بن ناصر العجمي» في كتابه نوادر مخطوطات علامة الكويت الشيخ «عبدالله الخلف الدحيان» عند حديثه عن هذا المخطوط (ص٥٢) «نسخة بخط نسخي مقروء نسخها المؤلف يوم الجمعة في غرة ذي الحجة سنة ١٢٢٤هـ في مدينة «المبرز» في الحسا وقد شارك أحد النساخ في بعض الورقات في الكتاب، كما أن الذي جعلني أجزم أنه بخط المؤلف ثلاثة أمور:

أ ـ خط المؤلف فقد سبق في مخطوطة التيسير لـ«الداني» ص٢٩، تملك له على هذا المخطوط بخطه وبالموازنة بينهما تبين أنه الخط عينه.

ب ـ كثرة الضرب بالقلم على بعض السطور والكلمات والتصحيح في الحاشية بالخط عينه.

جـ ـ تاريخ نسخ الكتاب في حياة المصنف» أ.هـ.

الفوائد المنتخبات في شرح أخصر المختصرات

المؤلف: ابن جامع، «عثمان بن عبدالله بن جامع»، النجدي (ت١٢٤٢هـ).

ترجمة المؤلف(٢): «عثمان بن عبدالله بن جمعة بن جامع، الزبيري، النجدي الفقيه».

قرأ على الشيخ «محمد بن عبدالله بن محمد بن فيروز» (ت١٢١٦هـ)، فأدرك إدراكاً تاماً، ثم طلبه أهل البحرين من شيخه «ابن فيروز» ليكون قاضياً لهم ومفتياً ومدرساً، فأرسله إليهم، فباشرها سنين عديدة بحسن السيرة، والورع، والعفة، والديانة، والصيانة، وأحبه عامتهم وخاصتهم.

إعداد : إدارة المخطوطات في وزارة الأوقاف

قال عنه «ابن الحميد»: الفقيه، النبيه، الورع، الصالح.

قرأ في مكة والمدينة الفقه، المواريث، والحساب، والآداب، فاستفاد وأفاد، توفى في البحرين.

له من المصنفات:

ـ الفوائد المنتخبات في شرح أخصر المختصرات، مطبوع.

ذكره «ابن حميد» في السحب الوابلة: ٧٠٢/٢، و«ابن بسام» في علماء نجد: ١١٠/٥، ومولفا إمارة الزبير: ٦٨/٣، وانظر مجلة العرب: ٧٠٧/١٢، وذكره أيضاً «بكر أبوزيد» في المدخل المفصل: ٨٠٣/٢، ١٠١١.

ـ وقد صدر أخيراً محققاً كرسالة علمية.

الناسخ: بخط المؤلف.

سنة النسخ: ١٢٢٤هـ.

أول المخطوط: بعد البسملة، الحمد لله الذي جعل الفقه في الدين من أفضل القربات لعباده... أما بعد: فيقول الفقير إلى عفو ربه العلي «عثمان بن عبدالله بن جامع النجدي الحنبلي»، إني لما وقفت على الكتاب الموسوم بأخصر المختصرات... وجدته مع كونه في غاية الاختصار.



آخر المخطوط: ليس إقراراً بحملها لأنه ظاهر اللفظ وموافق للأصل ودخوله مشكوك فيه قوله... صحة العقد من بيع أو إجارة أو... فساده أي العقد فالقول قول مدعي الصحة لأن المسلمين يطلبون الصحة والله سبحانه أعلم بالصواب... وأصلح لي ذريتي إني تبت إليك وأنا من المسلمين.

أهداها للوزارة ورثة الشيخ «عبدالله بن خلف الدحيان» بتاريخ ٢٢ ربيع الأول ١٣٩٧هـ.

وصف النسخة، والملحوظات:

هي بخط نسخي مختلف، مصححة مقابلة، المتن بالحمرة وبعض الكلم فوقه خط بالحمرة، أو بالسواد، في أولها قيد تملك مشطوب لـ«أحمد بن عبدالله آل عقيل»، وآخر من وقفه في أولها وآخرها لـ«عبدالله بن خلف» في أولها ترجمة للمؤلف من كتاب سبائك العسجد لابن سند نقلها «عبدالله بن خلف الدحيان» على الهوامش بعض التعليقات ونقولات عن «محمد بن عبدالله بن فيروز وعبدالوهاب والبعلي»، وقيود بيع وقيود وقف وبعض الدلالات، وقد ضرب على مواضع متفرقة منها سواء بأصل النسخة أو بهامشها، والنسخة أصابها أثر رطوبة وحموضة شديدة أثرتا على الورق والحبر وهي قديمة، والنسخة كتبت على ورق مختلف وخط مغاير.

٣٧٦ق (١ ـ ٣٧٦) ـ مختلف (١٢ ـ ٣٤) ـ ٢٢,٤×١٥,٩سم

مراجع توثيق المخطوط: الدر المنضد السبيعي ٩ ص٣٤٩، السحب الوابلة ص ٧٠١، المدخل المفصل ص ٨٠٣، نوادر الأوقاف (الكويت) ص٥١.

رقم المخطوطة: ٣٩٥

الساحة الأدبية



مكانة الأخلاق في الفكر الإسلامي

في نحو ٢٦٠ صفحة من القطع المتوسط.. صدرت الطبعة الأولى من كتاب «مكانة الأخلاق في الفكر الإسلامي» للدكتور «جمال فتحي نصار».

والكتاب يوضح العلاقة الوثيقة بين الأخلاق وكل من العقيدة والعبادات والمعاملات وبيان الدور الذي تلعبه الأخلاق لتحرير الطاقات الكامنة في الكينونة الإنسانية، فيرتقي هذا الكائن في مدارج الكمال الإنساني ويصبح وجوده ذا مغزى عميق تتجلى من خلاله القدرة الإلهية في صياغة المجتمع الفاضل والحياة الكريمة لبني الإنسان، وقد تناول الكتاب في سبيل إظهار هذه الأهمية ما يلي من النقاط الرئيسة: مفهوم الأخلاق في الإسلام، الغاية من الأخلاق وعلاقتها بالعلوم الإنسانية، ومكانة الأخلاق في الإسلام، وبعض الجوانب الأخلاقية التي عالجها الإسلام، وبيان الجانب الأخلاقي عند كل من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والفلاسفة والصوفيين.



الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع في المنصورة ـ جمهورية مصر العربية.

أوراق ثقافية

في نحو ١٦٠ صفحة من القطع المتوسط، صدر عن دار «عكرمة» في دمشق كتاب «أوراق ثقافية» للأستاذ «عبدالحميد غزي بن حسن»... يتكون الكتاب من مجموعة متناثرة من المقالات التي تغوص في أعماق التراث وتلاحق القضايا الفكرية العربية والإنسانية المعاصرة.

عمر فروخ في خدمة الإسلام

في سلسلة الكتب التي يصدرها مركز البحوث والدراسات في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر، صدر العدد ١٠٢ رجب ١٤٢٥هـ تحت عنوان: «عمر فروخ في خدمة الإسلام»، تأليف أحمد العلاونة.

هذا الكتاب.. يمكن أن يشكل زاوية للرؤية، نطل من خلالها على مواقع متنوعة لرجل موسوعي، حمل هموم أمته، وكانت مرآته صافية، قادرة على الاستشعار المبكر، وتجاوز الصور إلى الحقائق، لم تخدعه طروحات التبشير وشعاراته الإنسانية، وقد خبر مؤسساته من الداخل، لأنه كان يعلم أنه ملغم بالنوايا السيئة، وأنه يشكل طليعة من طلائع الاستعمار، يهيئ له قابليات الشعوب، كما يؤهلها لتقبله... كان يرى أن الأمة تظل حية «مادام أبناؤها يشعرون أنهم متصلون بأسلافهم اتصالاً واضحاً، وماداموا يؤدون رسالة أمتهم تأدية توافق حاجاتهم المتطورة مع الزمن، وتحفظ عليهم مثلهم العليا سليمة بارزة، وتجعل من تراثهم الروحي نطاقاً يحمي وحدتهم ويسدد خطاهم».

كان شديد الاعتزاز بإسلامه: «أنا عمر فروخ المسلم، انظر إلى الثقافة من جانبها الإنساني، وأدرك أن قومي المسلمين قد أدوا في تاريخ الحضارة قسطاً عظيماً: ديناً ولغة وعلماً وفلسفة وسياسة. وأنا موقن أن المجد الذي بلغ إليه العرب بالإسلام هو مجد أسلافي، فإذا سألتني اليوم عن جنسي استغربت سؤالك: من كان أسلافي؟».

كتاب الأمة

العدد ١٠٢ رجب ١٤٢٥هـ السنة الرابعة والعشرون

عمر فروخ... في خدمة الإسلام

أحمد العلاونة

ولو لم يكن للدكتور عمر فروخ ـ يرحمه الله ـ إلا كتاب «تاريخ الأدب العربي» الذي أدى فيه أحد فروض الكفاية عن الأمة، وكتاب «التبشير والاستعمار» الذي نمّى فيه حاسة الاستشعار المبكر للأنواء والنوايا السيئة المحيطة بالأمة، والتنبه إلى كثير من الثغور المفتوحة، لكفاه.

ولا نزعم أن الكتاب الذي نقدمه أعطاه بعض حقه، وإنما هي حزمة ضوء أو أضواء على شخصيته واهتماماته، لعله يكون رائداً للجيل اللاحق، ودليلاً على أن الأمة المسلمة خالدة بخلود رسالتها، وقادرة على الإنتاج في كل مكان وزمان.

نساء النبي صلى الله عليه وسلم



اسم المؤلف: د.عائشة عبدالرحمن. دار النشر: دار المعارف

يتناول الكتاب حياة النبي ﷺ في بيته، ويعرض في صور متتابعة للسيدات الكريمات اللواتي أظلهن هذا البيت، وكان لكل منهن أثرها في حياة المصطفى صلى الله عليه وسلم، ومكانها في تاريخ البطل الذي جاء بأعظم دعوة عرفتها الدنيا منذ كانت، ويصور أيضاً حياة كل منهن زوجة وأنثى في هذا البيت الكريم على هدي من الفطرة وإيحاء من البيئة وإملاء من التاريخ، كل هذا يعرضه منهج خاص في تناول الشخصيات وأسلوب مميز في عرض الأحداث وهو أسلوب الدكتورة «بنت الشاطئ» الجذاب.

سلسلة أطفالنا بين العلم والإيمان





اسم المؤلف: عبدالله محمد عبدالمعطي

دار النشر: دار التوزيع والنشر الإسلامية

تسعى هذه السلسلة إلى الارتقاء بمشاعر أبنائنا والسمو في أحاسيسهم وكذلك مدهم بالصفاء الروحي والطهارة في القلب والنقاء في النفس حتى لا يصبحوا أصفاراً تذروها رياح الجهل والمادية والغفلة، ولن تتوافر لهم هذه المقومات السامية إلا إذا ربيناهم على جمال الاتصال بالله تعظيماً وإجلالاً، وعلى حتمية الارتباط بالأنبياء أسوة واقتداء وعلى روعة التعايش مع الكون تفكراً واعتباراً وعلى ضرورة العلم فهماً وإتقاناً.

ومن هنا تأتي أهمية هذه السلسلة باعتبارها خطوة على طريق التربية العلمية والتنشئة الإيمانية لأبنائنا حيث يتناول الكتاب الأول «الضوء علم ولعب وفن»، ويتناول الكتاب الثاني «الماء وأطفالنا العلماء»، بصورة إيمانية وعلمية وتربوية متكاملة وبطريقة علمية تناسب أطفال المرحلتين الابتدائية والإعدادية.

حرية الرأي.. الواقع والضوابط



عن دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع في مصر صدر كتاب «حرية الرأي» للمستشار «سالم البهنساوي» يقع الكتاب في نحو ١٣٥ صفحة من القطع المتوسط، تناول الكاتب من خلالها مفهوم الحرية بصفة عامة، ومفهوم حرية الرأي والتعبير والحريات في المواثيق الدولية وأثر ذلك على أحكام الشريعة، كما يتحدث عن الحرية في الإسلام من الناحية النظرية والتطبيقات العملية في عصر الرسول ﷺ ثم في فترة الخلفاء الراشدين من بعدها، كما يتناول الكتاب ضوابط الحرية في النظام الشيوعي والنظام الديموقراطي ثم في الإسلام والموقف الشرعي من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ومن المواثيق الدولية.

أخبار ثقافية

- أحرزت الكويت المركز الثالث بين ٤٠ دولة إسلامية في تفسير القرآن الكريم في المسابقة الدولية الـ«٢١» للقرآن الكريم التي افتتحت في طهران في شهر أغسطس الماضي.
- حصلت الباحثة الكويتية «فاطمة سعيد الرشيدي» على درجة الدكتوراة بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف الأولى عن رسالة عنوانها «الأحكام الخاصة بالحيوان في الشريعة الإسلامية» من جامعة الأزهر الشريف.

رسالة ماجستير

المصطلح اللساني في المعاجم الأدبية والنقدية



الأساتذة المشرفون على الرسالة وفي الإطار الأستاذ «حسين الجرادي» صاحب الرسالة

حصل الأستاذ حسين الجرادي على درجة الماجستير بتقدير ممتاز في كلية الآداب جامعة المنيا في مصر، في موضوع «المصطلح اللساني في المعاجم الأدبية والنقدية خلال النصف الثاني من القرن العشرين» وقد أشرف على الرسالة الأستاذ الدكتور «محمد نجيب التلاوي» عميد كلية الآداب في المنيا أستاذ النقد الأدبي، والأستاذ الدكتور «محيي الدين عثمان محسب» أستاذ العلوم اللغوية في كلية دار العلوم وعميدها السابق، والأستاذ المشارك في جامعة «الملك سعود» في الرياض ورأس لجنة المناقشة الأستاذ الدكتور «حامد أبوأحمد» رئيس قسم اللغة الإسبانية في كلية «اللغات والترجمة» جامعة الأزهر وبعضوية الأستاذة الدكتورة «عزة عبدالفتاح» أستاذة علم اللغة في كلية الآداب جامعة «المنيا».

وقد أثنت لجنة المناقشة على الرسالة، حيث إنها فتحت الباب أمام الباحثين لتناول هذا الموضوع الصعب وتعد الرسالة هي الأولى في الوطن العربي التي تتناول المصطلح اللساني في المعاجم الأدبية والنقدية، كما أثنت على تناول الأستاذ حسين الجرادي لهذا الموضوع المهم الذي يتوقف عند الاقتراب منه كبار الباحثين، وشبَّه الأستاذ الدكتور «حامد أبوأحمد» تناول الجرادي لهذا الموضوع بأنه بمثابة من ينحت في الصخر.

وقد استخدم الأستاذ الجرادي المنهج الوصفي التحليلي في تناوله للموضوع، حيث قام بوصف المصطلح اللساني في المعاجم الأدبية والنقدية وتحليل ترجمته ومفهومه عند النقاد ومقارنته بترجمته وتعريفه عند اللسانيين وقد قسم الأستاذ الجرادي بحثه إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب، كل باب يتكون من فصلين ثم خاتمة ومعجم يتناول مسرد بأهم المصطلحات اللسانية التي وردت في تلك المعاجم ثم ثبت بهم المصادر والمراجع.

اتقوا دعوة المظلوم ... ظهر التوقيع

كان الوزير «فخر الملك» يمشي مرة فاعترضته امرأة ورفعت إليه شكايتها، وذكرت له أن بعض غلمانه قد قتلوا زوجها، فجعل الوزير لا يلتفت إليها، فقالت له:

ذات يوم أيها الوزير أرأيت القصص التي رفعتها إليك فلم تلتفت إليها قد رفعتها إلى الله وأنا أنتظر التوقيع عليها.

فلم تمض أيام حتى قبض سلطان الدولة على الوزير فجرّده من كل أمواله وأمر بقتله، فلما سيق لحتفه تذكر كلمة المرأة المظلومة فقال بأسى وحرقة:

قد والله خرج توقيع المرأة!! وصدق الله العظيم: (ولا تحسبن الله غافلاً عمَّا يعمل الظالمون. إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار. مهطعين مُقنعي رؤسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء) إبراهيم:٤٢، وقال رسول الله ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب».

بسم الله الرحمن الرحيم

وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال. وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال. وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال. فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام

إبراهيم: ٤٤-٤٧.

بل بسيف أبي رغوان

يحكى أن «سليمان بن عبدالملك» الأموي أمر الفرزدق «همام بن غالب» الشاعر بضرب أعناق أسارى من الروم فاستعفاه «الفرزدق»، فلم يقبل سليمان وأعطى «الفرزدق» سيفاً لا يقطع شيئاً، فقال «الفرزدق»: بل أضربهم بسيف أبي رغوان مجاشع «يعني سيف نفسه» وقام فضرب عنق رومي منهم، فنبا السيف عنه، فضحك «سليمان» ومن حوله، فقال «الفرزدق» جملة أبيات منها:

لم ينب سيفي من رعب ولا دهش
عن الأسير ولكن آخر القدر
ولن يقدم نفساً عن منيتها
جمع اليدين ولا صمصامة الذكر

وحضر جرير الشاعر، وخبر بالخبر فأنشأ يقول:

بسيف أبي رغوان سيف مجاشع
ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

وابن ظالم هو «المهلب بن أبي صفرة» من أكبر القواد في الدولة الأموية.

خصال النبلاء

قال ابن الجوزي: خلقت لي همة عالية تطلب الغايات، فقلت السن وما بلغت وما أملت، فأخذت أسأل تطويل العمر، وتقوية البدن وبلوغ الآمال فأنكرت عليَّ العادات وقالت: ما جرت عادة بما تطلب فقلت: إنما أطلب من قادر يخرق العادات، وقد قيل لرجل: لنا حويجة فقال: اطلبوا لها رجيلاً، وقيل لآخر جئناك في حاجة لا ترزؤك، فقال: هلا طلبتم لها سفاسف الناس؟ فإذا كان أهل الأنفة من أرباب الدنيا يقولون هذا فلم لا نطمع في فضل كريم قادر .. إلى أن يقول: فالله الله وعليكم بملاحظة سير السلف ومطالعة تصانيفهم وأخبارهم فالاستكثار من مطالعة كتبهم رؤية لهم.

من هدي رسول الله ﷺ

عن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«عجبت من قضاء الله للمؤمن إن أمر المؤمن كله خير وليس ذلك إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»

رواه أحمد ومسلم وغيرهما.

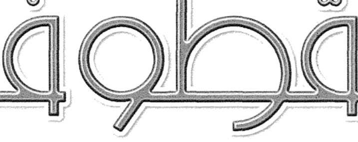
أوصني

قال رجل لأخيه أوصني فقال: ما أدري ما أقول غير أنه ينبغي لهذا العبد أن لا يفتر عن الحمد والاستغفار فإن ابن آدم بين نعمة وذنب ولا تصلح النعمة إلا بالحمد والشكر ولا يصلح الذنب إلا بالتوبة والاستغفار.

قصة مثل

من أمثال العرب قولهم: «بعد اللتيا والتي» وهما الداهية الكبيرة والصغيرة وقيل الأصل في هذا المثل أن رجلاً من «جديس» تزوج امرأة قصيرة فقاسى منها الشدائد، فتزوج امرأة طويلة فقاسى منها ضعف ما قاسى من القصيرة، فطلقها، وقال: بعد اللتيا والتي لا أتزوج أبداً، فجرى ذلك على الداهية.

إعداد: أحمد عبدالجبار



العلم أفضل من المال والملك

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:
العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد، وإذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها إلا خلف منه، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: خير سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم والملك والمال، فاختار العلم، فأعطي المال والملك معه.

الكرم خُلقٌ جميل

«قال أبوالأسود: دخل على الحسن بن علي رضي الله عنهما نفر من أهل الكوفة وهو يأكل طعاماً فسلموا عليه وقعدوا فقال لهم الحسن:
الطعام أيسر من أن يقسم عليه، فإذا دخلت على رجل منزله فقرَّب طعاماً فكلوا من طعامه ولا تنظروا، فتقدم القوم فأكلوا ثم سألوه حاجتهم فقضاها لهم».

مكارم الأخلاق ـ لابن أبي الدنيا ـ ص١١٠.

تقلب الدنيا بأهلها

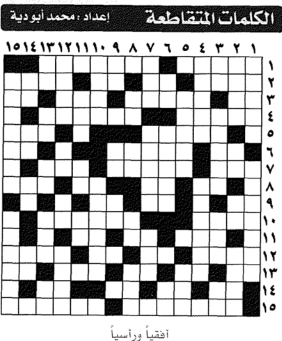
قال ابن خلكان: من أعجب ما يؤرخ من تقلبات الدنيا بأهلها ما ورد عن ابن عبدالرحمن الهاشمي قال:
دخلت على والدتي في يوم عيد الأضحى فوجدت عندها امرأة في ثياب رثة، فقالت لي والدتي:
أتعرف هذه؟
قلت: لا
قالت: هذه عبادة أم جعفر البرمكي.
فأقبلت عليها بوجهي وأكرمتها، وتحادثنا زماناً ثم قلت:
يا أمي ما أعجب ما رأيت في هذه الدنيا؟
فقالت: لقد أتى عليَّ يا بني عيد مثل هذا وعلى رأسي أربعمئة وصيفة «خادمة» وإني لأعد ابن جعفر عاقاً لي، ولقد أتى عليَّ هذا العيد، وما مناي إلا جلد شاتين افترش أحدها وألتحف بالآخر.
قال: فأعطيتها شيئاً من المال، فكادت تطير فرحاً، سبحان مغيِّر الأحوال. فدوام الحال من المحال.

طرفة

جاء رجل إلى أبي حنيفة يرحمه الله تعالى فقال له: إذا نزعت ثيابي ودخلت النهر اغتسل فإلى القبلة أتوجه أم إلى غيرها؟ فقال: الأفضل: أن يكون وجهك إلى جهة ثيابك لئلا تُسرق.

الكلمات المتقاطعة

إعداد: محمد أبو دية



أفقياً ورأسياً

١ ـ من فصحاء العرب وخطبائهم ـ الخيَّالة.
٢ ـ ضد حرام ـ في الفم ـ حرف جر ـ أداة استفهام.
٣ ـ نصف بابك ـ ألف وألف ـ أداة شرط غير جازمة ـ متشابهان.
٤ ـ الذي لا يعرف القراءة والكتابة ـ الكافل.
٥ ـ من الحمضيات ـ فوق القدم.
٦ ـ نصف سفين ـ فارقوا يوم الوداع ـ محبة.
٧ ـ ضمير المتكلم المنفصل ـ واحدة النعام ـ مدينة في صعيد مصر.
٨ ـ ضمير المتكلم المتصل ـ نصف هموم ـ والدة ـ حرف هجائي.
٩ ـ متشابهان ـ للتأوه ـ جميع.
١٠ ـ قطع خضراء من الأرض ـ المحاسبة.
١١ ـ الماضي من يذوب ـ الأمر من قام ـ بين اثنين.
١٢ ـ الذي يؤم الناس ـ نصف رنان ـ للنفي ـ محبة ورحمة.
١٣ ـ ثلثا ناب ـ جدها في إنسان ـ للتعريف ـ مدينة ألمانية ـ جدها في حجاج.
١٤ ـ مهانة ـ للتخيير ـ للتأفف ـ متشابهان.
١٥ ـ الجرأة والتقدم ـ الإغاثة السريعة.

حل العدد السابق ٤٦٩





في أول فتوى جامعة له منذ تأسيسه: بيان الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين حول:

حكم الاختطاف واتخاذ الرهائن

ليست ظاهرة الخطف واتخاذ الرهائن من خصوصيات هذا العصر، بل عرفها الإنسان في مراحل تاريخية سابقة، لكنها أصبحت اليوم كثيرة بشكل لافت، وذلك بسبب الظلم الكبير اللاحق بالشعوب المستضعفة من قبل الدول الكبرى المتسلطة، ولعدم امتلاكها السلاح المكافئ لرد العدوان عنها. ولما كان بعض المسلمين يلجؤون إلى هذه الأساليب ويتوسّعون فيها، خارجين بذلك على الحدود الشرعية، فقد أردنا بهذه الفتوى بيان الأحكام الشرعية المتعلقة بذلك ونلخصها فيما يلي:

أولاً: الخطف هو اعتداء على الآخر سواء أكان مسلماً أم غير مسلم، وهو نوع من أنواع البغي الذي نهى الله عنه وحرّمه بقوله: (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون) (النحل:٩٠)، ومن المعلوم أن الأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ليس محصوراً في المسلمين، فيكون النهي عن البغي أيضاً عاماً لجميع الخلق، وإذا كانت فطرة الإنسان تدعوه إلى ردّ العدوان حين يقع عليه، إلا أن الله تعالى أباح رد الاعتداء بمثله فقط: (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين) (البقرة:١٩٤). (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) (البقرة:١٩٠)، وأكد الله تعالى أن مجرد الاختلاف الديني حتى لو دخل مرحلة الصراع لا يسوّغ الاعتداء على الآخرين. قال تعالى: (ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا) (المائدة:٢).

ثانياً: الخطف يعتبر من الأعمال الحربية. فهو إذا جاز استثناؤه في أثناء حرب فعلية، فإنه لا يجوز إطلاقاً خارج نطاق الحرب.



الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي

١ ـ روى الطبري في تفسيره (٢٦ ـ ٥٩) عن مجاهد قال: «أقبل معتمراً نبي الله صلى الله عليه وسلم فأخذ أصحابه ناساً من أهل الحرم غافلين، فأرسلهم النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك لأنه خرج معتمراً فلم يعتبر نفسه في حالة حرب مع المشركين.

٢ كما لم يقرّ الرسول اختطاف سلمة بن الأكوع لأربعة من المشركين بعد صلح الحديبية، ظناً منه أن المشركين نقضوا الصلح. وقال صلى الله عليه وسلم «دعوهم يكن لهم بدء الفجور وثناه» (صحيح مسلم).

فالابتداء بالفجور من أخلاق المشركين وليس من أخلاق المسلمين، وإذا أبيح للمسلم الرد على الفجور بمثله، فليس ذلك لمجرد الرغبة في الانتقام، وإنما هي محاولة لمنع تكرار الفجور، ولإزالته من ميدان العلاقات الإنسانية، وقد أرشدنا القرآن الكريم إلى وسيلة أمثل لمنع تكرار الفجور، وبيّن لنا أن العفو والصفح هما اللذان يدرآن السيئة أي يمنعان تكرارها: (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) (فصلت:٣٤)، (ادفع بالتي هي أحسن السيئة) (المؤمنون:٩٦)، ووصف المسلمين بأنهم: (ويدرءون بالحسنة السيئة) (الرعد:٢٢) و(القصص: ٥٤).

بناءً على ذلك نقول: إنه لا يجوز خطف أي إنسان في غير حال الحرب الفعلية، وهو عندئذ يكون أسير حرب لا يجوز قتله بل مصيره إلى إطلاق سراحه قطعاً: (فإما منا بعد وإما فداء) (محمد:٤)، ومن باب أولى لا يجوز خطف أشخاص إذا كانوا معارضين لمحاربتنا ومتعاطفين معنا «كالصحفيين الفرنسيين وغيرهم»، ونستنكر جميع حوادث الاختطاف التي تطال أناساً لا علاقة لهم بالمحتلين، كما نطالب بإطلاق سراحهم فوراً.

ثالثاً: في حال قيام حرب فعلية، لا يجوز اختطاف الأبرياء أو المدنيين من الأعداء الذين لا يجوز توجيه الأعمال الحربية ضدهم.

والمدنيون في نظر الإسلام هم، غير المقاتلين من النساء والأطفال والشيوخ العاجزين الذين لا رأي لهم في القتال وكذلك الرهبان. وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والصبيان (متفق عليه)، فقال: «لا تقتلوا وليداً» (رواه أبوداود)، وأمر «خالد بن الوليد» رضي الله عنه فقال له: «لا تقتلن ذرية ولا عسيفاً» (صحيح سنن ابن ماجه)، والعسيف هو الأجير، وهو يشمل كل من يستأجر لأداء خدمات لا تتصل بالقتال كالعمال في المصانع، والأطباء والعاملين في المستشفيات، وأمثالهم، كما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل الشيخ الفاني (سنن أبي داود) وعن قتل الرهبان وأصحاب الصوامع الذين يحبسون أنفسهم لله (المدونة لمالك) و(جامع الأصول)، و(مصنف ابن أبي شيبة). وثبت منع قتل الرهبان عن أبي بكر رضي الله عنه، وذكر جابر بن

عبدالله كما في مصنف ابن أبي شيبة أنهم «كانوا لا يقتلون تجار المشركين»، وقد قاس جمهور الفقهاء من الأحناف والمالكية والحنابلة على هذه النصوص أنواعاً أخرى من غير المقاتلين كالمُقعد والأعمى والمعتوه وقوم في دار أو كنيسة ترهبوا وأغلقوا عليهم الباب (بدائع الصنائع للكاساني) (المغني لابن قدامة) والأجراء والحراثين وأرباب الصنائع (حاشية الدسوقي على الشرح الكبير). ووضع الإمام الشوكاني ضابطاً واضحاً للقياس على النصوص في هذه المسألة وهو عدم جواز قتل من لا يرجى نفعه للعدو، ولا ضرره على المسلمين» (نيل الأوطار للشوكاني).

بناءً على ذلك نعلن استنكارنا لاحتجاز الأطفال في «مدرسة بيسلان» في «أوسيتيا» الشمالية، وتعريضهم لتلك المجزرة البشعة رغم اعتقادنا بعدالة القضية الشيشانية وحق الشعب الشيشاني في تقرير مصيره. كما نعلن استنكارنا لاختطاف «امرأتين إيطاليتين» تعملان لحساب منظمة إنسانية، رغم إدانتنا لموقف الحكومة الإيطالية المتحالف مع القوات الأميركية المعتدية. فكل ذلك وأمثاله لا يجوز أصلاً من الناحية الشرعية، فضلاً عن أنه ليس من مصلحة المقاومة، ويجب أن نتذكر أن خيانة يهود بني قريظة يوم الأحزاب لعهدهم مع المسلمين، على الرغم من كل ما فيها من فظاعة، لم تدفع المسلمين إلى قتل الأطفال أو النساء أو تعريضهم لأي أذى.

رابعاً: إذا تم الخطف، في أثناء القتال الفعلي، فقد أصبح المخطوفون أسرى، ويجب أن يعاملوا ضمن حدود الأحكام الشرعية المتعلقة بالأسرى، ونحن نلخصها فيما يلي:

أ - يجب تسليم الأسير إلى ولي الأمر ليقضي فيه ما يرى، وليس لآسره يد عليه، وليس له حق في التصرف فيه.

ب - من الواجبات الشرعية، الرفق بالأسرى، والإحسان إليهم، وإكرامهم، وتوافر الطعام والكساء لهم، وعدم تعذيبهم، قال تعالى: (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا) (الإنسان:٨)، وقال صلى الله عليه وسلم :استوصوا بالأسارى خيراً» (رواه الطبراني وإسناده حسن)، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: «أحسنوا إلى أسراكم وقيّلوهم واسقوهم» (إمتاع الأسماع للمقريزي)، وقوله: «لا تجمعوا عليهم حر هذا اليوم وحر السلاح» (فتح الباري)، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى: «فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء» (تفسير ابن كثير).

ج - مصير الأسرى في الإسلام إطلاق سراحهم، إما مناً عليهم دون مقابل، أو مقابل فدية يقدمونها للمسلمين، والفدية قد تكون مالاً، وقد تكون مبادلة مع أسرى المسلمين، وقد تكون خدمة يقدمونها للمسلمين، كما طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعض أسرى بدر تعليم جماعة من المسلمين الكتابة مقابل إطلاق سراحهم «زاد المعاد لابن قيم الجوزية»، لقوله تعالى: (فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما مناً بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها)(محمد:٤)، وقد عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية إلى أن قبضه الله إليه.

وكثير من العلماء يقولون بعدم جواز قتل الأسير أصلاً. قال «ابن رشد» في بداية المجتهد: وقال قوم: لا يجوز قتل الأسير. وحكى «الحسن ابن محمد التميمي» أنه إجماع الصحابة. وقال «ابن كثير» في تفسيره: وقال بعضهم: إنما الإمام مخير بين المنّ على الأسير أو مفاداته فقط، ولا يجوز قتله، وقال «الألوسي»: وظاهر الآية: امتناع القتل بعد الأسر.. وبه قال «الحسن».

بناءً على ذلك نقول:

إن الأسير لا يقتل إلا استثناءً، وبقرار من ولي الأمر بناءً على حكم قضائي. وإن مجموعات المجاهدين العاملة في نطاق المقاومة ضد الاحتلال في العراق أو في غيره، لا تتمتع بصلاحيات ولي الأمر، فضلاً عما يترتب على قتل الأسرى من ضرر كبير يلحق بالمقاومة نفسها، ويشوه قضية الشعب العراقي المجاهد. ولذلك فإننا نعلن استنكارنا لقتل «النيباليين» وغيرهم من الرهائن الذين لم يقوموا بأعمال قتالية أصلاً، ولو صحّ أنهم قدموا خدمات للقوات المحتلة فهي لا تبرر قتلهم شرعاً.

خامساً: لا يجوز احتجاز المدنيين من الأعداء كرهائن وتهديدهم بالقتل، بسبب عمل يرتكبه أو يمتنع عنه غيرهم، وليسوا مسؤولين عنه، ولا يمكنهم منعه، كما حدث عند احتجاز الأطفال والمدرسين في «مدرسة بيسلان» في «أوسيتيا» الشمالية، وذلك لسببين اثنين:

الأول: أن من أهم قواعد العدل بين الناس لا يسأل أحد عن عمل غيره، وألا يحاسب على جريمة اقترفها غيره، هذه القاعدة الشرعية أكدها القرآن الكريم في كثير من آياته، قال تعالى: (ولا تكسب كل نفس إلا عليها) (الأنعام:١٦٤)، (ولا تزر وازرة وزر أخرى) (الإسراء:١٥)، (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها) (فصلت:٤٦)، (من يعمل سوءا يجز به) (النساء:١٢٣).

وقد أكد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه القاعدة في كثير من أحاديثه منها قوله: «لا يجني جان إلا على نفسه» (رواه ابن ماجه)، وقوله: «لا تجني نفس على أخرى» (رواه النسائي وابن ماجه)، وقد صرحت بعض الأحاديث بمنع قتل المعاهدين من غير المسلمين كقوله صلى الله عليه وسلم: «من قتل نفساً معاهدة بغير حلها حرّم الله عليه الجنة أن يشم ريحها» (رواه النسائي).

الثاني: أنه حتى في حال الحرب الفعلية، قد يتعرض المدنيون للقتل بسبب الأعمال الحربية، كما لو وقعت غارة على معسكر العدو فأصابت من هو قريب منه، وقد أجاز الفقهاء ذلك حين يقع من غير قصد، أما تقصُّد قتل المدنيين الذين منع الإسلام قتلهم فهذا لا يجوز، فإذا كان تقصد المدنيين من الأعداء بالقتل غير جائز في أثناء المعركة، فكيف يجوز قتلهم بدم بارد وهم أسرى؟

وليس من أخلاق المسلمين أن يتدنوا إلى فعل ما تفعله قوات الاحتلال من سلوك غير متحضر، يتمثل في قتل عشرات الآلاف من المدنيين العراقيين من النساء والأطفال والشيوخ بحجة ضرب المقاومة.

والواجب على المسلمين كافة الالتزام بالأحكام الشرعية التي لخصناها فيما سلف بيانه. والله سبحانه وتعالى أعلم.

الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي

رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

٧ شعبان ١٤٢٥هـ ٢١ سبتمبر ٢٠٠٤م ■

مسك الختام

افتحوا الأبواب... وأطلقوا الطيور

بقلم:
عبدالستار خليف

لماذا توقف الطائر المغرِّد عن الغناء؟! كان يغني وينشد أعذب الألحان، هذا العصفور الصغير - الحبيس في القفص - لم يتوقف لحظة واحدة، عن الغناء، لم يتوان عن بث روح المرح والسرور بين جنبات البيت، لإسعاد كل العائلة من حوله، بينما كل فرد فيهم منهمك في شؤونه، ومتفكر في أحواله وحل مشكلاته، لم يفكر لحظة واحدة في هذا الطائر الحبيس.

لماذا توقف الطائر الصداح - إلى الأبد - عن الغناء بأعذب الألحان الشجية النقية الصافية التي تثير كوامن الشجن عند البشر؟!

لم نشعر به، أو نحسُّ بوجوده، أو نصغي لآهاته وعذاباته في الحبس إلا بعد صمته!!

أحسسنا بأن ألحانه كانت رائعة وصادقة، وأنه عاش طوال عمره حبيساً في قفصه - وحيداً - يغني لنا، ونحن... ماذا كان موقفنا حياله؟ كنا نطرب وننتشي ونستريح من هموم الدنيا، ولا نفكر فيه.

مسكين هذا الطائر الصداح، كان يقدم عصارة ذهنه وقطرات من دمه... ونحن ننصت ونصغي ونطرب، ونهتز طرباً، ولا نفكر فيه... وهو مصدر هذه السعادة وهذه النشوة وهذا الطرب الروحي المجرد من كل نشوة حسية أو دنيوية.

لم يتطرق إلى أذهاننا - ذات يوم - أنه داخل قفص، حبيس.. يبث السعادة بين أرجاء البيت الكبير، تسري الطمأنينة من خلال ألحانه داخل النفوس القلقة الحائرة، وهو الذي يبث شكواه ونجواه من خلال ألحانه وأغانيه معبراً عن آماله وأحلامه، لتصل إلى أسماع البشر خارج السوار والقيود والقضبان، التي تفصله وتحجزه وتقف حائلاً بينه وبين الحرية والانطلاق في أرجاء الكون الرحب الشاسع.

وعندما نتذكره، ونفتح له الأبواب، ونرفع الأسوار، ونزيل القيود، ونحطم الأغلال، ونترك له حرية الاختيار للطيران والتحليق بعيداً في آفاق الكون الرحب... عندئذ يكون قد صمت وتوقف عن الغناء للأبد!!.

وبعد أن نواريه التراب، ونعود أدراجنا للبيت من جديد، نحس بأننا فقدناه، خسرناه، ولم نهتم به أو نعطيه حقه أو نسأله عن ما يريده أو، أو... لكن للأسف إن هذا الإحساس جاءنا بعد فوات الآوان.

الطائر المسكين.. كان يسعدنا، وكنا في واد آخر.. بعيداً عنه.. وكلما اشتدت أحزانه، أعطى لنا أعذب الألحان... حتى توقف القلب النابض المتدفق بالحب والعطاء.

يا طائري المسكين.. يا طائري الحبيب، اشتقنا لك، اشتقنا إلى كلماتك وألحانك، لتزيل عنا الهموم والأحزان وغبار الزمن الخؤون... لم نعرف قيمتك وقدرك إلا الآن، الآن.. في هذا الزمن التعيس المرير.

وغداً.. تبدأ الحكاية من جديد.. نبدأ في البحث عن طائر آخر، ضحية جديدة، أسير آخر، نضعه في القفص، في الحبس الانفرادي، في العذاب المهين...

ليغرد لنا أعذب الألحان، نسعد نحن، ويشقى هو، نضحك ويبكي هو، ومع نشوة السعادة نهتز ونتمايل طرباً.. وننساه، وننساه، ثم يموت ونحن في غمار السعادة، على حساب آلام الطائر المغرِّد الحبيس.

ونتساءل عند نهاية كل حكاية:

- لماذا مات الطائر المسكين داخل القفص؟!

كان يأكل ويشرب.. لماذا مات؟ لماذا مات؟!

ألا تعرفون لماذا مات...

أناشد أصحاب القلوب الرحيمة - إن كان للرحمة معنى في قاموس حياتهم - أن افتحوا الأبواب، أبواب الأقفاص والزنازين والسجون... وأطلقوا الطيور الحبيسة والسجينة والأسيرة.

أطلقوا سراحها.. لتعود إلى أعشاشها وأفراخها الصغيرة مرة أخرى، لتعود إلى الغناء من جديد.. في رحاب الكون العظيم ■